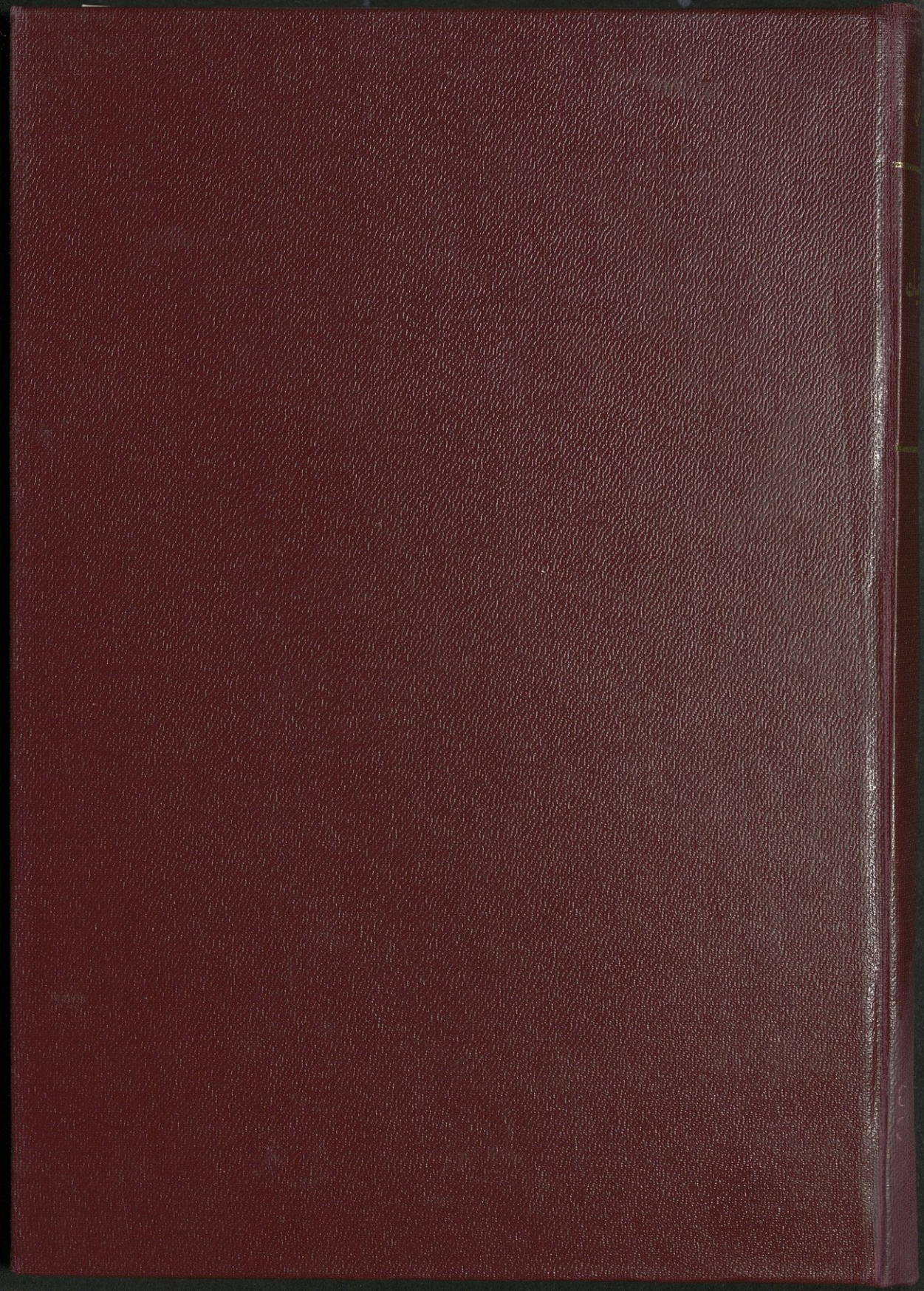
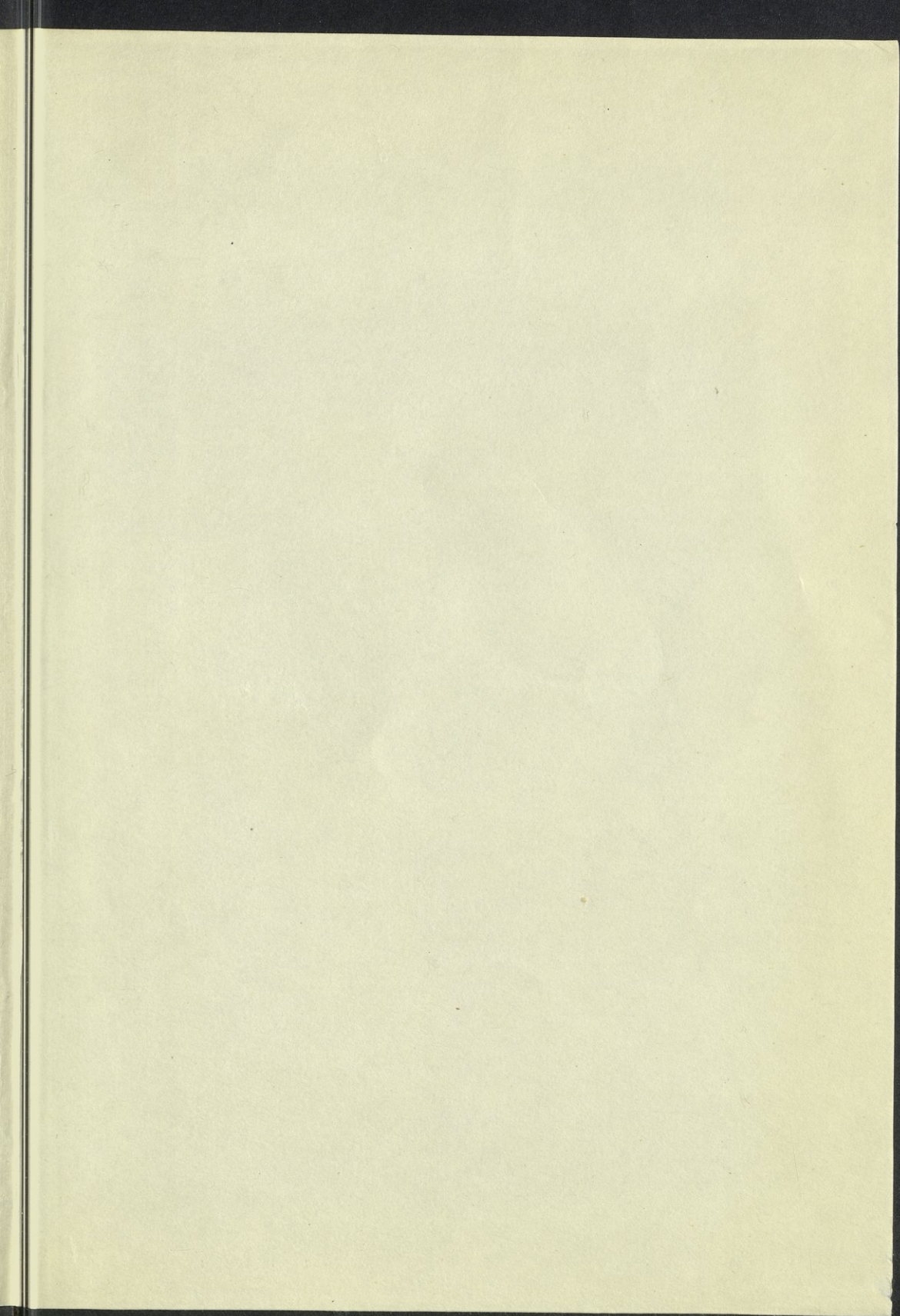
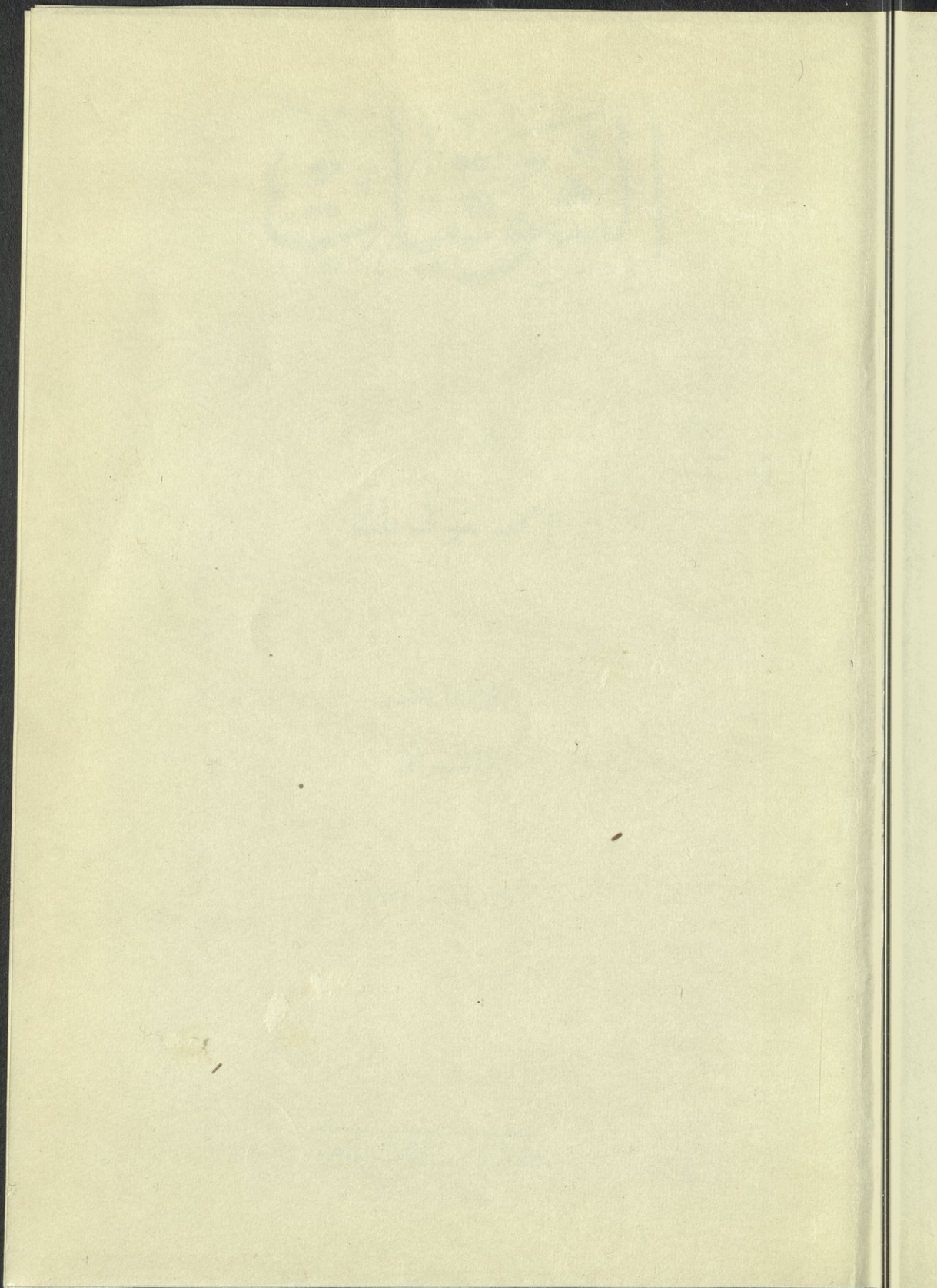


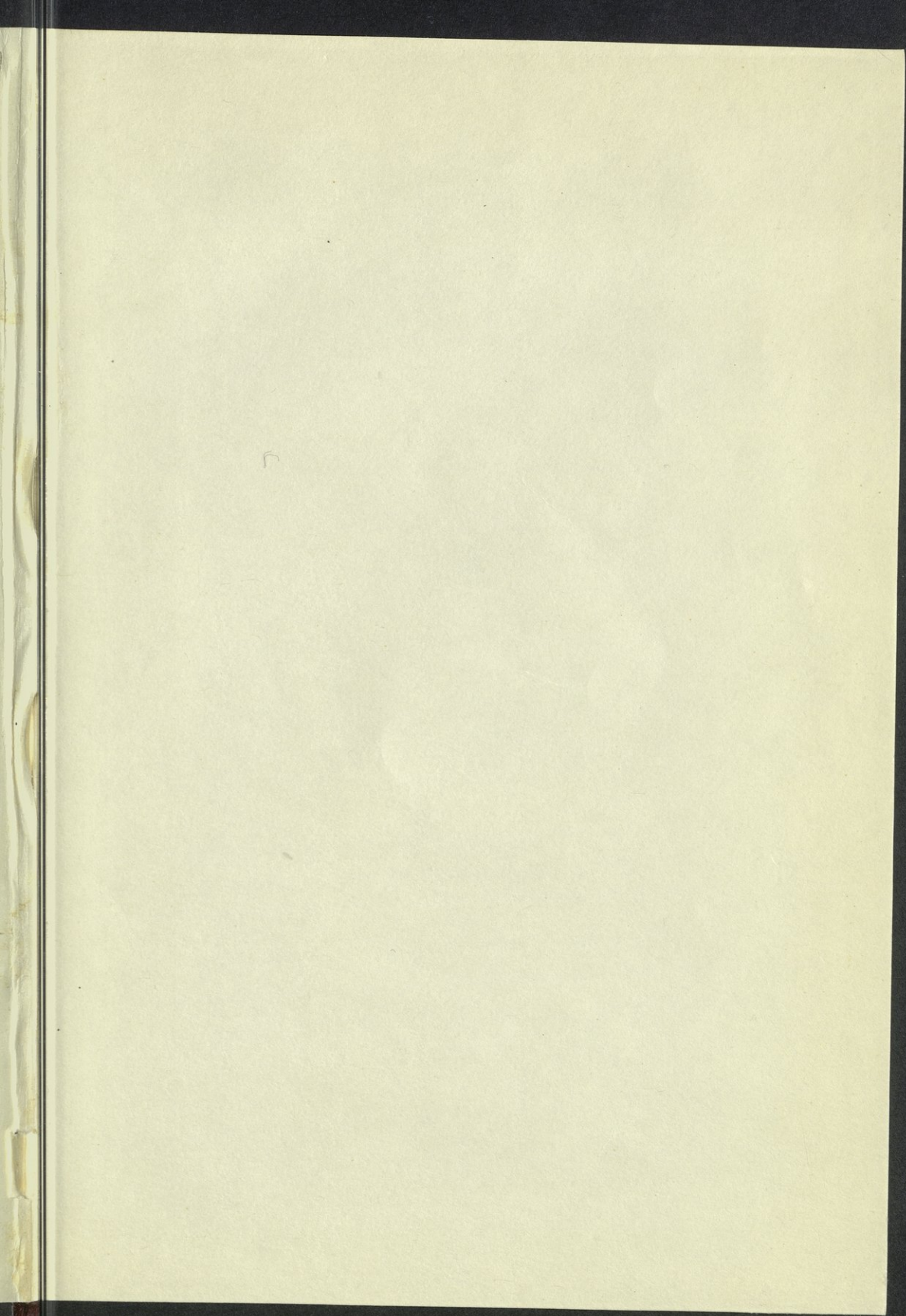


AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BLIND

N. MAKHOUL
BINDERY
14 OCT 1972
Tel. 260458







الشوقيات

892.71
Sh5985A
V.3
C.3

للرحوم
أحمد متوفى بك
892.78
Sh5985A
1950
V.3
C.1

الجزء الثالث

المراثي

١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م

مطبعة الاستقامة بالقاهرة
تأليف نوبار باشا في ١٢

كتاب في تاريخ مصر

89.508
A. 3292.1
كتاب في تاريخ مصر

[جميع الحقوق محفوظة لل المؤلف]

كتاب في تاريخ مصر

كتاب في تاريخ مصر

١٩١٩ - ١٩٧١



كتاب في تاريخ مصر

سليمان باشا أباطه (*)

مَنْ ظَنَّ بَعْدَكَ أَنْ يَقُولَ رِثَاءً فَلْيَرِثْ مِنْ هَذَا الْوَرَى مَنْ شَاءَ
 فَجَعَلَ الْمَكَارِمَ فَاجِعٌ فِي رَبِّهَا وَالْمَجْدَ فِي بَانِيهِ وَالْعِلْيَاءَ
 وَنَعَى النِّعَةَ إِلَى الْمَرْوَةِ كَنَزَهَا وَإِلَى الْفَضَائِلِ نَجْمَهَا الْوَضَاءَ
 أَبَا مُحَمَّدٍ آتَمَدَ فِي ذَا النُّوَى وَأَرْفُقَ بِآلِكَ وَأَرْحَمَ الْإِبْنَاءَ
 وَاسْتَبَقَ عِزَّهُمْ (بَطْهَرَاءَ) الَّتِي كَانُوا النُّجُومَ بِهَا وَكَانَتْ سَمَاءُ (١)
 أَدَجَى بِهَا لَيْلُ الْخُطُوبِ وَطَالَمَا مُلِئَتْ مَنَازِلُهَا سَنَى وَسَنَاءُ (٢)
 وَإِذَا سَلِيمَانَ اسْتَقْلَّ مُحَلَّةً كَانَتْ بِسَاطًا لِلنَّدَى وَرَجَاءُ (٣)
 فَأَنْظُرْ مِنَ الْأَعْوَادِ حَوْلَكَ هَلْ تَرَى مَنْ بَعْدَ طِبِّكَ لِلْغَفَاةِ دَوَاءُ (٤)
 سَارَتْ جَنَازَةٌ كُلُّ فَضْلٍ فِي الْوَرَى لَهَا رَكِبَتِ الْآلَةُ الْحَدْبَاءُ (٥)

(*) سليمان باشا أباطه : أحد سراة مصر السكبار ، وكان في حياته كبير الأمراء الأباطية الشهيرة ، وقد أسندت إليه وزارة المعارف العمومية سنة ١٨٨٢ ، وتوفي سنة ١٩٠١
 (١) طهراء : علم على بلدة الفقيده ، وهي من أعمال إقليم الشرقية بمصر .
 (٢) تدجى الليل وأدجى : كلاهما بمعنى أظلم . والسنى - بالقصر - : الضوء . والسناء - بالمد - : الرفعة .

(٣) المحلّة في الأصل : هي الناحية التي ينزل بها القوم ، ولا تقل عن مائة بيت ، والمراد هنا بقوله « استقل محلة » أي إنه كان عميدها المنفرد بزعامتها وبالعامل لرفعها .
 (٤) الأعواد : جمع عود ، يطلق على المنبر ، وعلى السرير للحى أو الميت . وكان رجل من العرب يلقب « ذا الأعواد » لأنه كان يحمل دائما في سرير . والشعراء العطاء يستعملون الأعواد للموتى وقلماء يستعملون النعش ، تعظيما للموت وتكريما للميت . قال الشريف الرضى : أرأيت من حملوا على الأعواد ... الخ . والعفاة : جمع عاف ، وهو كل طالب فضل أو رزق .

(٥) الجنّازة ، بكسر الجيم وفتحها ؛ وقيل بالكسر : هي الميت ، وبالفتح : هي النعش وقيل بالعكس ، وأرجح تعريف يتناسب مع مألوف عصرنا هو إطلاقها بالكسر على سرير الميت والمشيعين له . والآلة الحدباء : كناية عن النعش ، وشكله أحذب كما هو معروف

وَيْدَيْتُمْ الْإِيْتَامُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَرَمَى الزَّمَانُ بِصَرْفِهِ الْفُقَرَاءَ^(١)
 وَلَقَدْ عَهِدْتُكَ لَا تُضَيِّعَ رَاجِيًا وَالْيَوْمَ ضَاعَ الْكُلُّ فِيكَ رَجَاءً
 وَعَلِمْتُ أَنَّكَ مَنْ يَوَدُّ وَمَنْ يَبْقَى فَقَفَّ الْغَدَاةَ لَوْ اسْتَطَعْتَ وَفَاءً
 وَذَكَرْتُ سَعْيِكَ لِي مَرِيضًا فَانِيًا فَجَعَلْتُ سَعْيِي بِالرَّثَاءِ جَزَاءً
 وَالْمَرْءُ يُذَكَّرُ بِالْجَمَائِلِ بَعْدَهُ فَأَرَفَعَ لِذِكْرِكَ بِالْجَمِيلِ بِنَاءً^(٢)
 وَأَعْلَمُ بِأَنَّكَ سَوْفَ تُذَكَّرُ مَرَّةً فَيَقَالُ أَحْسَنَ أَوْ يَقَالُ أَسَاءَ
 أَبْنِيهِ كَوْنُوا لِلْعَدَى مِنْ بَعْدِهِ كَيْدًا وَكُونُوا لِلْوَلَى عَزَاءً
 وَتَجَلَّدُوا لِلْخُطْبِ مِثْلَ ثِيَابِهِ أَيَّامَ كَانِ يُدَافِعُ الْأَرْزَاءَ
 وَاللَّهِ مَا مَاتَ الْوَزِيرُ وَكَنْتُمْ فَوْقَ التَّرَابِ أَعَزَّةَ أَحْيَاءَ

(١) صرف الزمان : نوابه وحدثانه .

(٢) جمائل : جمع جميلة ، والمقصود أن المرء يذكر بصنيعه الجميلة أو بمأثرته الجميلة ،
 غذف الموصوف ثم جمع الصفة واستعملها . أقول وهذه صنعة قصد بها التجميل الفني في
 الكلام بذكر الجمائل والجميل في البيت .

مصطفى باشا فهمي (*)

يأيها النّاعى أبا الوزراء هذا أوانٌ جلائلُ الانبياءِ
 حُثَّ البريدُ مشارقا ومغاربا وأركبُ جناحَ البرقِ فى الارجاءِ (١)
 واستبك هذا الناسَ دمعا أو دمّا فاليومُ يومٌ مدامع ودماء
 لم تنسِ للأحياءِ غيرَ ذخيرةٍ ولتَ وغيرَ بقيّة الكبراءِ
 رُزء البرية فى الوزير زيادةً فيما أَلَمَ بها من الارزاءِ
 ذهبت على أثرِ المشيّع دولةً برجالها وكرائم الاشياءِ
 ندمانُ (إسماعيل) فى آثاره ذهبوا ، وتلك صُبايةُ الندماءِ (٢)
 وليدوا على راحِ العلا وترعرعوا فى نعمة الاملاك والامراءِ
 أودى الردى بمهذب لا تنهى إلّا إليه شمائلُ الرؤساءِ
 صافى الاديم أغترّ أبلج لم يزدُ فى الشيبِ غيرَ جلالَةٍ ورؤاهِ (٣)
 مُتجنب الخيلاء إلا عِزّة فى العزِّ حُسْنٌ ليس فى الخيلاءِ

(*) مصطفى باشا فهمي : كان إلهاما موقفا لأمير الشعراء حين كناه بأبى الوزراء فهو
 والد الزعيمة العظيمة صفية زغلول زوجة الزعيم الخالد سعد زغلول ، وكان ياورا للخديو
 إسماعيل ، ووزيرا فى عهد توفيق ، رئيسا للوزارة . ثم استقال ثم عاد للرأسة ولم يتركها
 إلا لمرضه قبيل الحرب ، وقد توفى أول سنة ١٩١٤ م .

(١) البريد : كلمة فارسية ، معناها القطع ، كانوا يقطعون أذنان وأعراف الخيل
 المستعملة لنقل رسائلهم علامة لها حتى لا يعوقها أحد فى الطريق ، وأول اصطناع العرب
 لهذه الطريقة كان فى زمن معاوية ، وكانوا يسمون الخيل المستعملة فى ذلك خيل البريد ،
 ونحن نطلق كلمة البريد على رسائل البوستة وغيرها كما هو معروف ، والمقصود بقوله
 « حث البريد » « واركب جناح البرق » ، هو الأمر للناعى بإذاعة النعي فى الدنيا بأسرع
 وسائل الإذاعة ، والغرض من ذلك هو إظهار ما لالنبي من قيمة وعلو شأن .

(٢) الندمان - بفتح النون الأولى - : جمع نديم ، وهو الظريف السكيس أو المجالس
 على الشراب . وإسماعيل : هو سمو الخديو إسماعيل .

(٣) الرواء فى المرء : هو مظهر السيادة والعظمة .

- عَفَّ السَّرَائِرِ وَالْمَلَا حِظِّ وَالْخُطَا نَزِهَ الْخِلَاقِ طَاهِرِ الْأَهْوَاءِ (١)
مُتَدَرِّعٍ صَبْرَ الْكِرَامِ عَلَى الْأَذَى إِنَّ الْكِرَامَ مَشَاغِلُ السَّفَهَاءِ
نَقَمُوا عَلَيْهِ رَأْيَهُ وَصَدِيقَهُ وَالْحُكْمُ لِلتَّارِيخِ فِي الْآرَاءِ
وَالرَّأْيُ إِنْ أَخْلَصَتْ فِيهِ سَرِيرَةٌ مَثَلُ الْعَقِيدَةِ فَوْقَ كُلِّ مِرَاءِ (٢)
وَإِذَا الرِّجَالُ عَلَى الْأُمُورِ تَمَاقَبُوا كَشَفَ الزَّمَانُ مَوَاقِفَ النُّظَرَاءِ
يَأْيُهَا الشَّيْخُ الْكَرِيمُ تَحِيَّةً أَنْدَى لِقَابِكَ مِنْ زُلَالِ الْمَاءِ
هَذَا الْمَصِيرُ ، أَكَانَ طَوَّلَ سَلَامَةٍ أَمْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا قَلِيلَ بَقَاءِ
مَاذَا أَنْتِفَاعُكَ بِاللَّيَالِي بَعْدَمَا مَرَّتْ بِكَ السَّبْعُونَ مَرَّةً عَشَاءِ (٣)
أَوْ بِالْحَيَاةِ ، وَقَدْ مَشَى فِي صَفْوِهَا عَادَى السَّنِينَ وَعَاثَ عَادَى الدَّاءِ
مَنْ لَمْ يَطْبُبْهُ الشَّبَابُ قَدَاؤُهُ حَتَّى يَغَيِّبَهُ بَغِيرُ دَوَاءِ
قَسَمَاتُ وَجْهِكَ فِي الشَّرَابِ ذَخَائِرُ مِنْ عَقَّةٍ وَتَكْرُمٍ وَحَيَاءِ (٤)
وَلَكُمْ أَغَارَ عَلَى مُحْيَا مَا جَدِ وَطَوَى مَحَاسِنَ مَسْمُوحٍ مَعْطَاءِ (٥)
كَمْ مَوْقِفٍ صَعِبٍ عَلَى مَنْ قَامَهُ ذَلَّلَتْهُ وَنَهَضَتْ بِالْأَعْيَاءِ
كَبِيرُ الْغَضَنْفَرِ يَوْمَ ذَلِكَ زَادَهُ مِنْ نَخْوَةٍ وَحَيِّيةٍ وَإِبَاءِ (٦)

(١) الملاحظ : جمع ملحظ ، اسم مكان لما تقع عليه اللحاظ . يقول : إنه عفيف القلب وعفيف الأعين فلا يقع لحظه على الريب .

(٢) الرأى : الجدل .

(٣) يقصد سبعين عاما ، ولكنه في استعمال لفظ السبعين يجري مجرى العرب الفصحاء في استعمال هذا اللفظ للدلالة على الكثرة فقط لا العدد بعينه ، وفي هذا الباب جاء القرآن الكريم : (إن تستغفر لهم سبعين مرة) فليس المقصود عدد الاستغفار ولكنه يراد الدلالة على كثرتة .

(٤) القسَمَات : ملامح وتقاسيم الوجه .

(٥) مسموح — بفتح الميم — : واسع السباحة ، وفي القاموس المحيط : « يقال إن فيه لمسحا ، كسكن ، أى متسعا » . والمعطاء : كثير العطاء .

(٦) الغضنفر : اسم من أسماء الأسد .

من يَكْذِبُ النَّارِخَ يَكْذِبُ رَبَّهُ وَيُؤْسِيهِ لِلْأَمْوَاتِ وَالْأَحْيَاءِ
 السَّلَامَ لَوْ لَمْ تَوَدِ أَمْسٍ يَجْرِحُهَا أَوَدَتْ بِهِذَى الطَّعْنَةِ النَّجْلَاءُ (١)
 لَوْ أَخَّرْتُ فِي الْعَيْشِ بَعْدَكَ سَاعَةً لَبَكَّتْ عَلَيْكَ بِمَدْمَعِ الْخَفْسَاءِ (٢)
 أَنْفَضُ غُبَارَكَ عَنْكَ وَانْظُرْ هَلْ تَرَى إِلَّا غُبَارَ كَتِيبَةٍ وَلِوَاءِ
 يَأْوِيحَ وَجْهِ الْأَرْضِ أَصْبَحَ مَا تَمَّا بَعْدَ الْفَوَارِسِ مِنْ بَنِي حَوَاءِ
 مِنْ ذَائِدٍ عَنْ حَوْضِهِ أَوْ زَائِدٍ فِي مُلْكِهِ مِنْ صَوْلَةٍ وَثَرَاءِ
 أَوْ مَانِعٍ جَارًا يُنَاضِلُ دُونَهُ أَوْ حَافِظٍ لِعَهْدِهِ مِيفَاءِ (٣)
 يَتَقَاذِفُونَ بِذَاتِ هَوْلٍ لَمْ تَهَبْ حَرَمَ الْمَسِيحِ وَلَا حِمَى الْعَذْرَاءِ (٤)
 مِنْ مُخْدَنَاتِ الْعِلْمِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَمُتْ عَوَاقِبُهَا عَلَى الْعِلَاءِ

* *

لَهْفِي عَلَى رُكْنِ الشَّيْخِ مُهْدَمًا وَالْحَامِلَاتِ الشَّكْلَ وَالْيَتَامَ (٥)
 وَعَلَى الشَّبَابِ بِكُلِّ أَرْضٍ مَصْرَعٌ لَهُمْ وَهَلْكَ تَحْتَ كُلِّ سَمَاءٍ
 خَرَجُوا إِلَى الْأَوْطَانِ مِنْ أَرْوَاحِهِمْ كَرَّمٌ يَلِيقُ بِهِمْ وَخَضُّ سَخَاءِ (٦)

(١) يشير إلى اتفاق موته مع نشوب الحرب العالمية ، كأنه يقول : إن اتفاق موت المرث مع نشوب الحرب لم يكن إلا لأن المتوفى كان ساما لقومه يشبه السلم العام للناس ، فهو والسلم توأمان .

(٢) يقول في هذا البيت : إن السلم لو عاشت بعد الفقيده ساعة لبككت عليه بمدمع الخنساء ، وهي شاعرة عاشت في صدر الإسلام اشتهرت بمرانيها في أخيها صخر . وهذا البيت تأكيد لمعنى البيت قبله .

(٣) ميفاء : كثير الوفاء .

(٤) بذات هول : أى مقذوفات موصوفة بأنها ذات هول ، وهذا من باب إقامة الصفة مقام الموصوف .

(٥) الشَّكْل : فقد الأبناء . واليتام : من اليتيم . وهو في الناس فقد الأب ، ويكون في غير الناس فقد الأم .

(٦) المحض : الخالص من كل شيء .

من كلِّ بانٍ بالمنيَّة في الصِّبا لم يَتَّخِذْ عِرْسًا سِوَى الهَيْجَاءِ (١)
 المُرْضِعَاتِ سَكْبَنَ في وَجْدَانِهِ حُبَّ الدِّيارِ وبغْضَةَ الأَعْدَاءِ
 وقرْزَنَ في أَذُنَيْهِ يَوْمَ فِطَامِهِ أَنَّ الدَّمَاءَ مُهُورَةُ العُلِيَاءِ

* * *

أَبَا البَنَاتِ رُزِقْتَنَّ كَرَامًا ورُزِقْتَ في أَصْهَارِكَ الكَرَمَاءِ
 لَا تَذْهَبَنَّ عَلَى الذَّكُورِ بِخُسْرَةٍ الذَّكْرُ نَعَمَ سُلَالَةُ العِظَاءِ
 وأرى بُنَاةَ المَجْدِ يَثْلُمُ بِمَجْدِهِمَ ما خَلَفُوا مِنْ طَالِحٍ وَغَثَاءِ (٢)
 إِنَّ البَنَاتِ ذَخَائِرُ مِنْ رَحْمَةٍ وَكَنُوزُ حُبِّ صَادِقٍ وَوَفَاءِ
 والسَّاهِرَاتُ لِعَلَّةٍ أَوْ كِبَرَةٍ والصَّابِرَاتُ لَشِدَّةٍ وَبَلَاءِ
 والبَاكِياتُ حِينَ يَنْقَطِعُ البَسَاءُ والزَّائِرَاتُ فِي العَرَاءِ النَّائِ (٣)
 وَالذَّاكِرَاتُ مَا حَيَّيْنِ تَحْدُثَانِ بِسَوَالِفِ الحُرَمَاتِ وَالْآلَاءِ
 بِالْأَمْسِ عَزَاهُنَّ فَيْكَ عَقَائِلُ وَالْيَوْمَ جَا مَلَهُنَّ فَيْكَ رِثَائِ
 وَأُيُوكَ مَا الدُّنْيَا سِوَى مَعْرُوفِهَا وَالْبِرِّ ، كُلُّ صَنِيعَةٍ بِجَزَاءِ
 أَجْزِعَنَّ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِنَّ الَّذِي مِنْ قَبْلَهُنَّ جَرَى عَلَى الزَّهْرَاءِ ، (٤)
 عَذْرًا لهنَّ إِذَا ذَهَبْنَ مَعَ الْإِسَى وَطَلَبْنَ عِنْدَ الدَّمْعِ بَعْضَ عَزَاءِ
 مَا كُلُّ ذِي وَلَدٍ يُسَمَّى وَالِدًا كَمَنْ مِنْ أَبٍ كَالصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ
 هَبُّهُنَّ فِي عَقْلِ الرِّجَالِ وَحُلُمِهِمَ أَقْلُوبُهُنَّ سِوَى قُلُوبِ نِسَاءِ؟

(١) يقال : بنى على فلانة ، إذا اتخذها زوجة . والعرس - بكسر العين - : الزوجة
 يصف هذا الشباب السخي بروحه للأوطان بأنه يألف الحروب ويحبها كما يحب غيره من
 الناس الزوجات والعرائس والعيشة الوادعة .

(٢) الغناء - بضم الغين - : الفاسد . (٣) الخلاء : البعيد ويعنى به هنا : القبور .

(٤) الزهراء : فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلوات الله عليه . والذي جرى عليها

هو موت أبيها سيد الخلق .

أبو هيف بك (*)

اجعل رثاءك للرجال جزاءً وابعثه للوطن الحزين عزاءً
 إن الديار تُريقُ ماء شئونها كالأمهات وتدبُ الأبناء (١)
 تُكل الرجال من البنين وإنما تُكل الممالك فقدها العلماء
 يجزعن للعالم الكبير إذا هوى جزع الكتائب قد فقدن لواء (٢)
 علم الشريعة أدركته شريعة للموت ينظم حكمها الأحياء (٣)
 عانى قضاء الأرض علم محصل واليوم عاجل السماء قضاء
 ومضى وفيه من الشباب بقية للنفع أرجى ما تكون بقاء
 إن الشباب يُحبُّ جمًّا حافلاً وتحبُّ أيام الشباب مِلاء (٤)
 بالأمس كانت لابن هيف غضبة للحق نذكرها يداً يضاء (٥)
 مشيت البلاد إلى رسالة (ملتر) وتحفرت أرضاً لها وسماء (٦)

(*) هو فقيه العلم والقانون عبد الحميد بك أبو هيف ، شغل منصب الأستاذ بكلية الحقوق ومنصب القيم على دار الكتب المصرية ، وقد وقف في معارضة مشروع ملتموفا قانوناً لامعاً . فاقتن اسمه من ذلك الحين بأعلام المجاهدين الكبار في قضية البلاد ، وقد توفي سنة ١٩٢٦ . (١) ماء الشئون : الدموع .

(٢) الكتائب : جمع كتيبة ، رمى الجماعة أو الفرقة من الجيش لها لواء ، أى رئيس تلتف وحدتها حوله (٣) الشريعة : القانون .

(٤) الملاء : الأغنياء المتمولون ، الواحد منهم ملىء . ومن معانى الملاء أيضاً : الحسنو القضاء : يقول : إن الشباب يحب كثيراً على أى حال ، ولكن أيام الشباب يحين أكثر وهن في غنى من المال الكثير ومن تولى المناصب ، كالحال في شباب الفقيه : (٥) يريد غضبته على مشروع ملتر وموقفه في طليعة معارضيه .

(٦) اللورد ملتر : هو أحد وزراء إنجلترا ، ورسالته التي مشت البلاد إليها وتحفرت لها : هى تقريره المشهور ، بعث من لندن مع أربعة من رجال مصر الساسة ، وكادت البلاد تتأثر بهذا المشروع لولا الفقيه ومعه نفر قليل جدا قاموا بمحلتهم ضده ، وفي هذه الحملة نشر الفقيه بحوثاً قانونية في تنفيذ المشروع كانت من أهم مراجع رجال السياسة في رفضه بعد .

فلحْتُ أعرجَ في زوايا الحق لم أعلم عليه ذمّة عرجاء (١)
ارتدت العاهاتُ عن أخلاقه لسموّهنَّ وحلتِ الأعضاء
عظفته عطفَ القوس يوم رماية وثنته كالماضى فزاد مضاء (٢)
لما رأى (التقرير) ينفضُ سُمّه سبقَ الحواة فأخرج الرقطاء (٣)
هتكَ الحماية والرجالُ وراءها يتلمسون لها الستور رياء
ما قَبَّحوا بالصبح من أشباحها راحوا إليك فحسنوه مساء
يا قسيم الدارِ التي قد أُخرجت للمدجلين منارة زهراء (٤)
وترى لديها الواردين فلا ترى إلا ظمًا ينزلون رواء (٥)
وتجالسُ العلماء في حُجراتها وتسامرُ الحكماء والشعراء
تكفيك شيطان الفراغ وتعتنى بالجاهلين ترُدّهم عقلاء
دارُ الذخائر كنت أكملَ كتبها مجموعة وأتمّها أجزاء
لما خلت من كنز عليك أصبحت من كل أعلق الكنوز خلا (٦)
هزّ الشبابُ إلى رثائك خاطري فوجدت فيّ وفي الشباب وفاة

(١) كانت ساق الفقيده مبتورة ، وكان يمشي على ساق صناعية .

(٢) في هذا البيت وصف لهيئة الأعرج ، بلغ من جماله أنه قد يحبب المشية العرجاء للناس فتأمل . والماضى : السيف .

(٣) قوله « سبق الحواة فأخرج الرقطاء » لا يمكن أن يكون هناك أبلغ في الإعجاز وأدق في الإعجاز من هذا الكلام ، فقوله « سبق الحواة » صورة كاملة تريك كيف وثب الفقيه فوق أمّام المشروع كما يثب الحاوي فيقف أمام جعر الحية . وقوله « فأخرج الرقطاء » أعظم ما يمكن في تصوير ذلك المشروع ، فقد نبه على اسم السكامن فيه بالرغم من جماله الظاهري ونعومته الشبيهة بنعومة الحية .

(٤) الدار ، هي دار الكتب المصرية ، وكان الفقيه يشغل منصب مديرها .

(٥) الرواء : الماء الكثير .

(٦) أعلق السكوز : نفّأسها ،

(عبد الحميد) ألا أُسرُّكَ حادثاً
 قم من صفوف الحقِّ تلقَ كتيبةً
 وتر الكِنانةَ شِيهاً وشبابها
 بجمع السلامِ الصُّحف من غاراتها
 في كلِّ وجدان وكلِّ سريرةٍ
 وغداً إلى دين العشيرةِ ينتهى
 لا يحجبون على تجنيهم ولا
 والاهل لا أهلاً بجبل ولاهم
 كذبَ المريبِ يقولُ بعد غدٍ لنا
 قلبي يُخدِّثني وليس بخافني
 يكسُو عظامك في البلى السراء؟ (١)
 ملومةً وترَ الصفوف سواء
 دون (الفضية) عُرْضةً وفداء
 وتألفَ الاحزابَ والزعماء
 خلفَ الودادِ الحقدَ والبغضاء
 منْ خالف الاعمامَ والآباء
 يجدون إلا الصَّفحَ والإغضاء
 حتى تراهم بينهم رُحماء
 خُلفُ يُعيدُ ويُبدى الشَّحناء
 أن العقولَ ستقهرُ الاهواء

يا (سعد) قد جرت الامور لغاية
 سبحانه جمع القلوب من الهوى
 الفلكُ بعد العسرِ يُسرُ أمرها
 وتأهبت بك تستعدُّ لزاخر
 رجعت براكبها إلى ربانها
 فاشدُّ بأرباب النهى سُكَّانها
 من ذا الذي يختارُ أهل الفضل أو
 أخرجُ لآبناء الحضارةِ مجلساً
 الله هَيَّأَها لنا ما شاء (٢)
 شتى وقوى حوله الضعفاء
 واستقبلت ربحَ الامور رُخاء
 تطأُ العواصف فيه والانواء
 تلقى الرِّجاء عليه والاعباء
 واجعل ملاك شرعها الاكفاء (٣)
 يزنُ الرجال إذا اختارُك ساء
 يُبقي على اسمك في العصور ثناء

(١) الحادث : هو حادث ائتلاف الأحزاب المصرية في وقت نظم هذه القصيدة التي تعد من مفاخر المراثي في الشعر العربي .

(٢) سعد : هو الزعيم الحالد الذكر سعد باشا زغلول ، وكان رئيس البرلمان في عهد ذلك الائتلاف .

(٣) السكان : مؤخر السفينة . وملاك الشيء : قوامه الذي يملك به .

مولانا محمد علي (*)

يَبْتَ عَلَى أَرْضِ الْهَدْيِ وَسَمَائِهِ الْحَقُّ حَائِطُهُ وَأُسُّ بِنَائِهِ
الْفَتْحُ مِنْ أَعْلَامِهِ وَالطَّهْرُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالْقُدْسُ مِنْ أَسْمَائِهِ
تَخُونُ مَنَاقِبُهُ عَلَى شَعْبِ الْهَدْيِ وَتُطِلُّ سُدَّتُهُ عَلَى سَيْنَائِهِ (١)
مَنْ ذَا يَنَازَعُنَا مَقَالَدَ بَابِهِ وَجَلَالَ سِدْنِهِ وَطَهَرَ فَنَائِهِ ؟
وَمُحَمَّدٌ صَلَّى عَلَى جَنَابِهِ وَاسْتَقْبَلَ السَّمَحَاتِ فِي أَرْجَائِهِ
وَالْيَوْمَ حَضَمَ النَّاسُ مَا تَمُّ أَرْضُهُ وَحَوَى الْمَلَائِكُ مِهْرَجَانُ سَمَائِهِ
يَا (قُدْسُ) هَيْتِي مِنْ رِيَاضِكَ رُبُوعَةٍ لِنَزِيلِ تُرْبِكَ وَاحْتِفَلْ بِلِقَائِهِ (٢)
هُوَ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ جَلْ جَلَالُهُ أَوْ مِنْ سَيُوفِ الْهِنْدِ عِنْدَ قَضَائِهِ
فَتَحَّ النَّبِيُّ لَهُ مَنَاحَ بُرَاقِهِ وَمَعَارِجَ التَّشْرِيفِ مِنْ إِسْرَائِهِ
بَطُلُ حَقُوقِ الشَّرْقِ مِنْ أَحْمَالِهِ وَقَضِيَّةُ الْإِسْلَامِ مِنْ أَعْبَائِهِ
لَمْ تُنْسِهَ الْهِنْدُ الْعَزِيزَةُ رَقَّةً لِلشَّرْقِ أَوْ سَهْرًا عَلَى أَشْيَائِهِ
وَقَبَاؤُهُ نَسِجَ الْهِنُودِ فَهَلْ تُرَى دَفَنُوا الزَّعِيمَ مَكْفَنًا بِقَبَائِهِ ؟ (٣)
(النَّيْلُ) يَذْكُرُ فِي الْحَوَادِثِ صَوْتَهُ وَالتَّرْكُ لَا يَنْسُونَ صَدَقَ بَلَائِهِ

(*) هو كبير زعماء الهند المسلمين . توفي سنة ١٩٣١ ، وكان لا يألُو جهداً في خدمة الإسلام في شتى أقطاره ، وقد أقيمت له في القاهرة حفلة تأبين كبيرة ألفت فيها هذه القصيدة .

(١) السدة : باب الدار .

(٢) يا قدس ، لأنه دفن في القدس .

(٣) القباء - بفتح القاف - : نوع من الثياب .



قل للزعيم محمد نزل الاسى (بالنيل) واستولى على بطحائه (١)
فشى إليك بحفنه وبدمعه وإلى أخيك بقلبه وعزائه (٢)
اجتزته خواك في أطرافه ولو آنتظرت حواك في أحشائه
ولقد تعود أن تمر بأرضه مر الغمام بظله وبمائه
نم في جوار الله ما بك غربته في ظل بيت أنت من أبنائه
الفتح وهو قضية قدسية يا طالما ناضلت دون لوائه
أفتى بدفنك عند سيدة القرى مفت أراد الله في إفتائه (٣)
بلد بنوه الاكرمون قصورهم وقبورهم وقف على نزلائه (٤)
قد عشت تنصره وتمنح أهله عوناً فكيف تكون من غربائه

(١) محمد هو الرنى .

(٢) يريد بأخيه : مولانا شوكت على وقد آلت إليه زعامة المسلمين في الهند بعد أخيه
(٣) سيدة القرى : المقصودة هي القدس الشريف ، ولابد للدفن في هذا الحرم من
تصريح ديني يصدره مفتي الإسلام هناك ، ولا يصرح بذلك إلا لمن ثبت نفعه للإسلام وللعرب
(٤) يقصد بالبلد : فلسطين وسوريا جميعا . وكثيرا ما هتف أمير الشعراء بكال هذه
البلاد إعجابا بأخلاقهم .

سيد درويش (*)

- (١) كلَّ يومٍ مِهْرَجَانُ كَلُّوا فِيهِ مَيْتًا بِرِيَّاحِينَ الثَّنَاءُ
لَمْ يَعْلَمْ قَوْمُهُ حَرْفًا وَلَمْ يُضَيَّ الْأَرْضَ بِنُورِ الْكَهْرُبَاءِ
جُومِلَ الْأَحْيَاءُ فِيهِ وَقَضَى شَهَوَاتِ أَهْلِهِ وَالْأَصْدَقَاءِ
مَا أَضَلَّ النَّاسَ . حَتَّى الْمَوْتُ لَمْ يَخْلُ مِنْ زُورٍ لَهُمْ أَوْ مِنْ رِيَاءِ (٢)

* *

- إِنَّمَا يُبْكِي شُعَاعُ نَابِغٍ كَلِمَاتُ رَبِّهِ الدَّهْرُ أَضَاءُ
مَلَأَ الْأَفْوَاهُ وَالْأَسْمَاعُ فِي ضَجَّةِ الْمَحْيَا وَفِي صَمْتِ الْقَنَاءِ
حَاطَظَ الْفَنِّ وَبَانِي رُكْنِهِ (مَعْبُدُ) الْإِلْحَانِ (لِاسْتَحْقُ) الْغَنَاءِ (٣)
مَنْ أَنَاسٍ كَالدَّرَارِيِّ جُدْدٍ فِي سَمَوَاتِ اللَّيَالِي قُدْمَاءِ
غَرَسَ النَّاسُ قَدِيمًا وَبَنَوْا لَمْ يَدُمُ غَرْسٌ وَلَمْ يَخْلُدْ بِنَاءُ
غَيْرِ غَرْسٍ نَابِغٍ أَوْ حَجَرٍ عِبْقَرِيٍّ فِيهِمَا سِرُّ الْبَقَاءِ
مَنْ يَدٍ مُوَهَّوْبَةٍ مُلْهِمَةٍ تَغْرِسُ الْإِحْسَانَ أَوْ تَبْنِي الْعِلَاءَ

* *

- بُلْبُلٌ لِاسْكَنْدَرِيٍّ أَيْكُهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ فِي السَّمَاءِ (٤)
هَبَطَ الشَّاطِئُ مِنْ رَايِيَةِ ذَاتِ ظِلٍّ وَرِيَّاحِينَ وَمَاءِ

(*) الشيخ سيد درويش . كان رحمه الله يعد في طليعة المجددين في الموسيقى العربية ، وقد ألفت هذه القصيدة في حفلة أقيمت لذكراه في سنة ١٩٣١ .

(١) المهرجان : الاحتفال ، معرب .

(٢) الزور : الكذب .

(٣) معبد وإسحاق : رجلان من أشهر رجال الغناء والموسيقى .

(٤) كان رحمه الله من نشء الإسكندرية . والأيك : في الأصل هو الشجر الملتف الكثير . يقول : إنه إذا كان لكل بلبل من أيك يتخذة عشا ، فهذا البلبل الاسكندري أيكه ليس محله الأرض ، ولكن السماء هي محله اللائق به .

يَحْمِلُ الْفَنَّ نَمِيرًا صَافِيًا غَدَقَ النِّبْعَ إِلَى جَيْمِلِ ظِلْمَاءِ (١)
 حَلَّ فِي وَادٍ عَلَى فُسْحَتِهِ عَزَّتِ الطَّيْرُ بِهِ إِلَّا الْحَدَاءِ
 يَمْلَأُ الْأَسْحَارَ تَغْرِيدًا إِذَا صَرَفَ الطَّيْرَ إِلَى الْإِيكَ الْعِشَاءِ
 رُبَّمَا اسْتَلْهَمَ ظُلُمَاءُ الدُّجَى وَأَتَى السُّكُوكِبَ فَاسْتَوْحَى الضِّيَاءِ
 وَرَى أَذْنِيَهُ فِي نَاحِيَةٍ يَخْلِسُ الْأَصْوَاتَ خَلَسَ الْبَغَاءِ
 فَتَلَقَّى فِيهِمَا مَا رَاعَهُ مِنْ خَفِيِّ الْهَمْسِ أَوْ جَهْرِ النَّدَاءِ

* *

أَيُّهَا الدَّرُوشُ قُمْ بُثَّ الْجَوَى وَاشْرَحِ الْحُبَّ وَنَاجِ الشُّهَدَاءِ
 أَضْرِبِ الْعُودَ تَفْهُ أَوْتَارُهُ بِالَّذِي تَهْوَى وَتَنْطَلِقُ مَا تَشَاءِ
 حَرَّكَ النَّأْيَ وَنَحْ فِي غَابِهِ وَتَنْفَسُ فِي الثَّقُوبِ الصُّعْدَاءِ (٢)
 وَأَسْكُبُ الْعَبْرَةَ فِي آمَاقِهِ مِنْ تَبَارِيحٍ ، وَشِيحٍ ، وَعِزَاءِ
 وَأَسْمُ بِالْأَرْوَاحِ وَأَرْفَعُهَا إِلَى عَالَمِ الْأَلُطْفِ وَأَقْطَارِ الصَّفَاءِ (٣)

* *

لَا تُرِقْ دَمْعًا عَلَى الْفَنِّ فَلَنْ يَعْدِمَ الْفَنُّ الرُّعَاةَ الْأَمْنَاءِ
 هُوَ طَيْرُ اللَّهِ فِي رَبْوَتِهِ يَبْعَثُ الْمَاءَ إِلَيْهِ وَالْغِذَاءِ
 رَوَّحَ اللَّهِ عَلَى الدُّنْيَا بِهِ فَهِيَ مِثْلُ الدَّارِ ، وَالْفَنُّ الْفِنَاءِ
 تَكْتَسِي مِنْهُ وَمِنْ آذَارِهِ نَفْحَةُ الطَّيِّبِ وَإِشْرَاقَ الْبَهَاءِ (٤)
 وَإِذَا مَا حُرِّمَتْ رِقَّتُهُ فَشَتَّ الْقِسْوَةَ فِيهَا وَالْجَفَاءِ

(١) الغدق - يفتح العين والدال - : الكثير .

(٢) الصعداء - بضم الصاد وفتح العين - : تنفس ممدود .

(٣) عالم اللطف : هو عالم المعاني والأرواح ، ولا تسمو إليه الأنفس إلا في أوقات

الصفاء والانفراح .

(٤) آذار : شهر من فصل الربيع ، أجمي .

وإذا ما سِئِمَتْ أو سِقِمَتْ طاف كالشمس عليها والهواء
وإذا الفنُّ على المُلْكِ مشى ظهر الحسنُ عليه والرَّواء
قد كسا الكَرَنُكَ مصرًا ما كسا من سَيِّ أَيْلَى اللَّيَالِي وَسَنَاء
يُرْسِلُ اللهُ بِهِ الرُّسُلَ على فتراتٍ من ظُهورٍ وخَفَاء
كلِّها أَدَّى رَسولٌ ومَضَى جاءَ مَنْ يُوفِي الرِّسالاتِ الأَدَاء

* *

سَيِّدَ الفنِّ أَسْتَرِحَ من عَالَمٍ آخِرُ العَهْدِ بُنْعَمَاهُ البَلَاء
ربما ضَمَقَتْ فلم تَنَعَمْ به وَسَرَى الوَحْيُ فَتَسَّكَ الشَّقَاء
لقد أَسْتَخْلَفْتَ فَنًّا نابِغًا دَفَعَ الفنُّ إِلَيْهِ بِاللَّوَاء
إِن في مُلْكٍ فَوَادٍ بُلْبَلًا لم يُتَّخْ أَمْثالُهُ لِلْخُلَفَاء (١)
ناحِلٌ كالكَرَةِ الصُّغْرَى سَرَى صَوْتُهُ في كُرَةِ الأَرْضِ الفُضَاء
يَسْتَحِي أَنْ يَهْتَفَ الفنُّ به وَجَمالُ العَبَقْرِياتِ الحَيَاء

(١) يراد بالبلبل هنا : الموسيقى النابغة الأستاذ محمد عبد الوهاب ، وهو الذى حل
لواء التجديد فى الموسيقى بعد الشيخ سيد درويش .

عمر المختار (*)

- ركزوا رُفَاتِك في الرمال لِيَوَّاءَ يَسْتَنْهَض الوادى صَبَاح مَسَاءَ (١)
يا وَيَحْجُم ، نَصَبُوا مَنَارًا مِنْ دِيم تُوحى إِلَى جَيْلِ الْغَسَدِ الْبَغْضَاءِ (٢)
مَا ضَرَّ لَوْ جَعَلُوا الْعِلَاقَةَ فِي غَدٍ بَيْنَ الشَّعْبِ مَوْدَّةً وَإِخَاءَ ؟
جُرْحٌ يَصِيحُ عَلَى الْمَدَى وَضَحِيَّةٌ تَتَلَسَّسُ الْحَرِيَّةَ الْحِمَاءَ (٣)
يَأْيِهَا السَّيْفُ الْمَجْرَدُ بِالْقَلَا يَكْسُو السَّيْفُ عَلَى الزَّمَانِ مَضَاءَ
تلك الصَّحَارَى غَمْدُ كُلِّ مُهَنْدٍ أَبْلَى فَأَحْسَنُ فِي الْعَدُوِّ بَلَاءَ
وَقُبُورُ مَوْتَى مِنْ شَبَابِ أُمِّيَّةٍ وَكُھُولِهِمْ لَمْ يَبْرَحُوا أَحْيَاءَ
لَوْ لَازَ بِالْجُوزَاءِ مِنْهُمْ مَعْقِلٌ دَخَلُوا عَلَى أَبْرَاجِهَا الْجُوزَاءَ (٤)
فَتَحُوا الشَّامَالَ سُهُولَهُ وَجَبَالَهُ وَتَوَغَّلُوا فَاسْتَعْمَرُوا الْخَضْرَاءَ
وَبَنَوْا حَضَارَتَهُمْ فَطَاوَلَ رَكْنُهَا (دَارَ السَّلَامِ) وَ (جَلَقَ) الشَّمَاءَ (٥)

(*) شهيد الساميين والعرب بطل طرابلس الخالد عمر المختار ، هو من الأسرة السنوسية أصحاب الطريقة السنوسية ذات النفوذ الروحاني العظيم في كثير من أقطار الإسلام . ظل يقاتل الطليان في سبيل الذود عن وطنه وقومه حتى قبضوا عليه وأعدموه شنقا سنة ١٩٣١ ، وأشيع وقتئذ أنهم سلكوا في إعدامه سبلا بشعة متوحشة ، ولم يرحموا سنه التي نيفت على التسعين .

(١) ركز اللواء : غرزه في الأرض . وهذا استعمال لغوى مشتق من الركيزة ، وهي قطع الفضة والذهب والمعادن ، كان العرب في الجاهلية يحفرون لها في الأرض ويسمونها الدقائق . فقله « ركزوا رفاتك » استعمال أريد به الإشارة إلى أن هذه الرفات من النفائس والذخائر التي يرض بها ويحرص عليها .

(٢) المنارة : موضع النور ، وجعلها منارة من دم : هولون من التبشيع العجيب ، كأنه يعجب كيف جعلوا موضع النور والائتناس محلا للتغير والإزعاج .

(٣) الحرية الحمراء : هي المكتسبة بالدم ، إشارة إلى قولهم : الحرية شجرة لا تنبت إلا بالدماء .

(٤) الجوزاء : نجم معروف في السماء .

(٥) دار السلام : بغداد . وجلق : دمشق .



خَيْرَتَ فَاخْتَرَتِ الْمَيْتَ عَلَى الطَّوَى لَمْ تَبْنِ جَاهًا أَوْ تَلَمْ ثَرَاءَ (١)
 إِنْ الْبَطُولَةَ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الظَّامِ لَيْسَ الْبَطُولَةُ أَنْ تُعَبَّ الْمَاءَ
 لِأَفْرِيقِيَا مَهْدَ الْأَسْوَدِ وَلَحْدُهَا ضَجَّتْ عَلَيْكَ أَرَا جَلًّا وَنَسَاءَ
 وَالْمُسْلِمُونَ عَلَى اخْتِلَافِ دِيَارِهِمْ لَا يَمْلِكُونَ مَعَ الْمَصَابِ عِزَاءَ
 وَالْجَاهِلِيَّةُ مِنْ وَرَاءِ قَبُورِهِمْ يَكُونُ زَيْدُ الْخَيْلِ وَالْفُلُحَاءُ (٢)



فِي ذِمَّةِ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَحَفَظَهُ جَسَدُ (بِرْقَةٍ) وَوَسَدَ الصَّحْرَاءَ (٣)
 لَمْ تُبْقِ مِنْهُ رَحَى الْوَقَائِعِ أَعْظَمًا تَبَلَى وَلَمْ تُبْقِ الرِّمَاحُ دِمَاءَ
 كَرُفَاتٍ نَسْرٍ أَوْ بَقِيَّةِ ضَيْغَمٍ بَاتًا وَرَاءَ السَّافِيَّاتِ هَبَاءَ (٤)
 بَطَلَ الْبِدَاوَةُ لَمْ يَكُنْ يَغْزُو عَلَى « تَنَكِّ » وَلَمْ يَكْ يَرْكُبُ الْأَجْوَاءَ (٥)
 لَكِنْ أَخُو خَيْلٍ حَمَى صَهْوَاتِهَا وَأَذَارَ مِنْ أَعْرَافِهَا الْهَيْجَاءَ



لَبَّى قِضَاءَ الْأَرْضِ أَمْسٍ بِمَهْجَةٍ لَمْ تَخْشَ إِلَّا لِلْسَّمَاءِ قِضَاءَ
 وَافَاهُ مَرْفُوعَ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ سُقْرَاطُ جَرَّ إِلَى الْقُضَاءِ رِدَاءَ
 شَيْخَ تَمَالِكٍ سَنَّهُ لَمْ يَنْفَجِرْ كَالطُّفْلِ مِنْ خَوْفِ الْعِقَابِ بَكَاءَ
 وَأَخُو أُمُورٍ عَاشَ فِي سَرَائِمِهَا فَتَغَيَّرَتْ فَتَوَقَّعَ الضَّرَاءَ

(١) الاسم : الجمع .

(٢) الفُلُحَاءُ : لقب عنتره العبسي ، أما زيد الخيل فعلم على فارس بهذا الاسم .

(٣) لإقليم من طرابلس الغرب حاضرتة برقة ، اشتهرت بوقائمه الحربية المتعددة التي حدثت بين العرب والطلليان .

(٤) السافيات : الرياح .

(٥) تنك : هي الدابة المستعملة في الحروب .

الأسد تَزَارُ في الحديد ولن ترى في السجنِ ضَرْغًا مَ بَكَى استخذاه
وأنى الأسير يجرُّ ثِقْلَ حديدِه أسدٌ مُجَرَّرٌ حِمَّةً رَقْطَاهُ
عَضَّتْ بِسَاقِيهِ الْقَيْوُدُ فلم يَنْوُ ومشت بهيكله السنون فَنَاهُ
تسعون لو ركبت مَنَاكِبَ شَاهِقٍ لترجلت هَضْبَاتُهُ إِيْعِيَاهُ (١)
خفيت عن القاضى وفات نصيبُهَا من رَفَقَ جُنْدَ قَادَةٍ نُبْلَاهُ
والسنُّ تعطف كل قلبٍ مهذَّبٍ عرف الجدودَ وأدرك الآبَاهُ

* *

دفعوا إلى الجَلَادِ أَغْلَبَ مَا جَدَا يَأْسُو الْجِرَاحَ وَيُطْلِقُ الْأَسْرَاءُ
ويُشَاظِرُ الْأَقْرَانَ ذُخَرَ سَلَاحِهِ وَيُصِفُّ حَوْلَ خِيَوَانِهِ الْأَعْدَاءُ (٢)
وتخبروا الجبل المَهِينَ مَنِيَّةً لَلَيْثِ يَلْفِظُ حَوْلَهُ الْحَوْبَاءُ (٣)
حَرَمُوا الْمَمَاتَ عَلَى الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا من كَانَ يُعْطَى الطَّعْمَةَ النُّجْلَاءُ
إِنِّي رَأَيْتُ يَدَ الْحِصَارَةِ أُولَعَتْ بِالْحَقِّ هَدْمًا تَارَةً وَبَنَاءُ
شَرَعَتْ حَقُوقَ النَّاسِ فِي أَوْطَانِهِمْ إِلَّا أَبَاةَ الضَّمِيمِ وَالضَّعْفَاءُ

* *

يَا أَيُّهَا الشَّعْبُ الْقَرِيبُ أَسَامِعْ فَأَصْوِغْ فِي عُثْمَرَ الشَّهِيدِ رِثَاءُ
أَمْ أَلْجَمْتُ فَالِكَ الْخُطُوبُ وَحَرَمْتُ أَذْنِيكَ حِينَ تُتَخَاطَبُ الْإِصْغَاءُ
ذَهَبَ الزَّعِيمُ وَأَنْتَ بَاقٍ خَالِدٌ فَانْقُدْ رَجَالِكَ وَآخِرَ الزُّعْمَاءُ
وَأَرَحْ شَيْوُخَكَ مِنْ تَكَالُيفِ الْوَغَى وَأَحْمِلْ عَلَى فِتْيَانِكَ الْأَعْبَاءُ

(١) الشاهق : الجبل . والتسعون : هـى التسعون عاما التى يحدد بها عمر المرتضى حين قبضوا عليه ليعدموه .

(٢) الخوان : مائدة الطعام .

(٣) الحوباء : النفس .

عبد الحليم العلابى بك (*)

لقد أبى زعيمكم النداء عزاء أهل دمياط عزاء
 وإن كان المعزى والمُعزى وكل الناس في البلوى سواء
 جُفنا كُلُّنا بعلائي كركن النجم أو أسنى علاء
 أرق شباب دمياط عليها وأنشطهم لحاجتها قضاء
 وخيرُ بيوتها كرمًا وتقوى وأصلا في السيادة وانتماء
 فقى كالرُمحِ عاليةً وعودًا وكالصمصام إفريندا وماه (١)
 وأعطى المالَ والهَمَمَ العوالى ولم يُعطِ الكرامة والإباء
 شبابُ ضارِعِ الرِّيحانِ طيبًا ونازعه البشاشة والبهاء
 وجندى القضية منذ قامت تعلم تحت رايتها اللقاء
 ورُوع شيخها العالى بيوم فكان بمنسكبيه له وقاء (٢)
 سعى لضميره ولوجه مصرٍ ولم يتولَّ يفتظرُ الجزاء

وتعش كالغمام يرفُ ظلاً إذا ذهب الزحامُ به وجاء
 ولم تقع العيونُ عليه إلا أثار الحزن أو بعث البكاء

(*) عبد الحليم بك العلابى : كان عالية دمياط ، توفى سنة ١٩٣٢ ، بعد أن ترك له في القضية المصرية مواقف مذكورة . اشتهر منذ نشأ بعلو الهمة وتقوى الكلمة ، فانتخب للجالس النيابة بالنيابة عن دائرة دمياط عدة مرات ، وانتخب لمنصب سكرتير حزب الأحرار الدستوريين فكان في رجالات ذلك الحزب من يشار إليهم ، وكان من أمير الشعراء بمنزلة الصهر والصديق .

(١) عالية الرمح : نصفه الأعلى الذى يلى السنان . والصمصام : السيف . وإفرينده وماؤه : كلاهما تمييز لجوهره .

(٢) يقصد « بشيخها العالى » المغفور له سعد باشا زغلول .

عَجَبْنَا كَيْفَ لَمْ يَخْصَرْ عُودًا وَقَدْ حَمَلَ الْمُرُوءَةَ وَالْوَفَاءَ
مَشَتْ دِمِيَاظُ فَالْتَفَتَ عَلَيْهِ تُنَازِعُهُ الذَّخِيرَةُ وَالرَّجَاءُ

بَنِي دِمِيَاظُ ، مَاشِيٌّ بِيَاقٍ سَوَى الْفَرْدِ الَّذِي احْتَكَرَ الْبَقَاءَ
تَعَالَى اللَّهُ لَا يَبْقَى سِوَاهُ إِذَا وَرَدَتْ بَرِّيَّتُهُ الْفَنَاءُ
وَأَنْتُمْ أَهْلُ إِيْمَانٍ وَتَقْوَى فَهَلْ تَلْقَوْنَ بِالْعَتَبِ الْقَضَاءَ
مَلَائِمٌ مِنْ بَيْوتِ اللَّهِ أَرْضًا وَمَنْ دَاعَى الْبُكُورِ لَهَا سِمَاءَ
وَلَا تَسْتَقْبِلُونَ الْفَجْرَ إِلَّا عَلَى قَدَمِ الصَّلَاةِ إِذَا أَضَاءَ
وَتَرْتَقِبُونَ مَطْلَعَهُ صِغَارًا وَتَسْتَبْقُونَ غُرَّتَهُ نِسَاءَ
وَكَمْ مِنْ مَوْقِفٍ مَاضٍ وَقَفْتُمْ فَكُنْتُمْ فِيهِ لِلْوَطَنِ الْفِدَاءَ
دَفَعْتُمْ غَارَةً شَعَوَاءَ عَنْهُ وَذُدْتُمْ عَنْ حَوَاضِرِهِ الْبَلَاءَ

أَخِي (عَبْدَ الْحَلِيمِ) وَلَسْتُ أَدْرَى أَدْعُو الصَّهْرَ أَمْ أَدْعُو الْإِخَاءَ
وَكَمْ صَحَّ الْوَدَادُ فَكَانَ صِهْرًا وَكَانَ كَأَقْرَبِ الْقُرْبَى صِفَاءَ
عَجِيبٌ تَرَكْتَ الدُّنْيَا سَقِيمًا وَكُنْتَ النَّحْلَ تَمَلَّأَهَا شِفَاءَ (١)
وَكُنَّا حِينَ يَعْضُلُ كُلُّ دَاءٍ نَجِيءُ إِلَيْكَ نَجْعُكَ الدَّوَاءَ
مَضَتْ بِكَ آلَةٌ حَدْبَاءُ كَانَتْ عَلَى الزَّمَنِ الْمَطِيَّةَ وَالْوِطَاءَ (٢)
وَسَارَتْ خَلْفَكَ الْأَحْزَابُ صَفًّا وَسِرَّتْ فَكُنْتَ فِي الصَّفِّ اللَّوَاءَ
تُوَلَّفُ بَيْنَهُمْ مَيْتًا وَتَبْنَى كَعَهْدِكَ فِي الْحَيَاةِ لَهُمْ وَلَا

(١) يريد تشبيهه المساعي الكثيرة النبيلة التي كان يقوم بها المرتضى بهـ سلم النحل .

(٢) الآلة الحدباء : النعش .

حافظ إبراهيم (*)

قد كنتُ أُوثر أن تقولَ رثائي يا مُنصفَ الموتى من الأحياء
لكن سبقتُ ، وكلُّ طولِ سلامةٍ قدَّرُ وكلُّ منيةٍ بقضاء
الحقُّ نادى فاستجبت ولم تزل بالحقِّ تحفلُ عند كلِّ نداء
وأنتَ صحراءَ الإمام تَذوب من طول الحنين لساكن الصحراء (١)
فلقيت في الدار الإمامَ محمداً في زمرة الأبرار والحنفاء (٢)
أثرُ النعيم على كريم جبينه ومرشدُ التفسير والإفتاء
فشكوتما الشوق القديم وذقتما طيب التداني بعد طول تنائي
إن كانت الأولى منازلَ فُرقةٍ فالسمحة الأخرى ديارُ لقاء (٣)
ووددتُ لو أني فذاك من الردى والكاذبون المرجفون فِدائي
الناطفون عن الضغينة والهوى الموغرو الموتى على الأحياء
من كلِّ هدامٍ وبني مجده بكرايم الانقراض والأشلاء
ما حطموك وإنما بك حُطموا من ذا يُحطَّم رفرف الجوزاء؟ (٤)

(*) هو المرحوم محمد حافظ إبراهيم بك ، شاعر سباق معدود في الطليعة . وكان يلقب بشاعر النيل . توفي سنة ١٩٣٢ ، فرثاه أمير الشعراء شوقي بك بهذه القصيدة التي ينبيء مطلعها على مبلغ تقديره لصاحبه ووفائه له .

(١) صحراء الإمام : المقبرة التي دفن بها ، وهذه الصحراء تنسب للإمام الشافعي لوقوع ضريحه رضي الله عنه في نطاقها .

(٢) الإمام : هو المرحوم الشيخ محمد عبده العالم الديني الكبير ، وقد اشتهر المرحوم حافظ في حياته باكتساب عطفه ورضاه .

(٣) الأولى : الحياء الدنيا .

(٤) الرفرف : ما يجعل عليه طرائف البيت . والجوزاء : نجم معروف في السماء .

فالتعبير بررفرف الجوزاء : كناية عن أسفي مواضع الشرف والسمو .

أَنْظُرْ فَأَنْتِ كَأَمْسٍ شَأْنُكَ بَاذِخٍ فِي الشَّرْقِ ، وَاسْمُكَ أَرْقَعُ الْأَسْمَاءِ
بِالْأَمْسِ قَدْ حَلَيْتِنِي بِقَصِيدَةٍ غَرَّاهُ تُخَفِّظُ كَالْيَدِ الْبَيْضَاءِ^(١)
غَيْظَ الْحَسُودِ لَهَا وَقَتْتُ بِشُكْرِهَا وَكَمَا عَلِمْتَ مَوَدَّتِي وَوَفَائِي
فِي مَحْفَلٍ بَشَّرْتُ أَمَالِي بِهِ لَمَّا رَفَعْتَ إِلَى السَّمَاءِ لِيَوَائِي
يَا مَانِحَ السُّودَانِ شَرْخَ شَبَابِهِ وَوَلِيَّهِ فِي السَّلَامِ وَالْهِجَاءِ
لَمَّا نَزَلْتَ عَلَى خَمَائِلِهِ نَوَى نَبْعُ الْبَيَانِ وَرَاءَ نَبْعِ الْمَاءِ
قَلَدَتْهُ السَّيْفَ الْحَسَامَ وَزِدَّتُهُ قَلْبًا كَصَدْرِ الصَّعْدَةِ السَّمَاءِ^(٢)
قَلَمٌ جَرَى الْحَقَبَ الطُّوَالَ فَمَا جَرَى يَوْمًا بِفَاحِشَةٍ وَلَا بِهَجَاءِ^(٣)
يَكْسُو بِمِدْحَتِهِ الْكِرَامَ جَلَالَةً وَيُشَيِّعُ الْمُوتَى بِحُسْنِ ثَنَاءِ



إِسْكَندَرِيَّةُ يَا عُرُوسَ الْمَاءِ وَخَمِيلَةَ الْحِكْمَاءِ وَالشُّعْرَاءِ^(٤)
نَشَأَتْ بِشَاطِئِكَ الْفَنُونَ جَمِيلَةً وَتَرَعَرَعْتَ بِسَمَائِكَ الزُّهْرَاءِ
جَاءَتْكَ كَالطَّيْرِ الْكَرِيمِ غَرَائِبًا فُجِّعَتْهَا كَالرَّبَّوَةِ الْغَنَاءِ
قَدْ جَمَّلُوكَ فِصْرَتِ زِينَةِ الثَّرَى لِلْوَافِدِينَ وَدُرَّةَ الدَّأْمَاءِ

- (١) بربد القصيدة التي أنشأها المرحوم حافظ وأنشدها في المهرجان العظيم الذي أقيم في القاهرة ، وقد حضرت إليه وفود الأقطار العربية ، وظل سبعة أيام تكررنا لمبايعة أمير الشعراء شوقي بإمارة الشعر في الشرق العربي عامة ، وهي التي يقول فيها :
- أمير القوافي قد أنبت مبايعا * وهذى وفود الشرق قد بايعت مي
- (٢) الصعدة : قناة الرمح ينبت عودها مستويا .
- (٣) الحقب : جمع حقة - بكسر الحاء - وهي المدة من الزمن أو السنة .
- (٤) نظم المرحوم شوقي هذه القصيدة وهو في الإسكندرية ، فكان لابد لشاعريته المستوعبة من وصف هذه المدينة وفاء لإقامته فيها وقتئذ .

غَرَسُوا رُبَاكَ عَلَى خَمَائِلِ بَابِلِ وَبَنَوْا قُصُورَكَ فِي سِنَا الْحِمَاءِ (١)
 وَاسْتَحْدَثُوا طُرُقًا مَنُورَةً الْهَدَى كَسَبِيلِ عِيسَى فِي فُجَاجِ الْمَاءِ (٢)
 تُخْذِي كَأْمَسٍ مِنَ الثَّقَافَةِ زِينَةً وَتَجْمَلِي بِشَبَابِكَ النُّجَبَاءِ
 وَتَقْلِدِي لُغَةَ الْكِتَابِ فَإِنَّهَا حَجَرُ الْبِنَاءِ وَعُدَّةُ الْإِنْشَاءِ
 بَنَتِ الْحَضَارَةَ مَرَّتَيْنِ وَمَهَّدَتْ لِلْمَلِكِ فِي بَغْدَادَ وَالْفَيْحَاءِ
 وَسَمَّتْ بِقُرْطُبَةٍ وَمَصْرَ فُخْلَتَا بَيْنَ الْمَمَالِكِ ذِرْوَةَ الْعَلِيَاءِ (٣)
 مَاذَا حَشَدْتَ مِنَ الدُّمُوعِ «لِحَافِظٍ» وَذَخَرْتَ مِنْ حَزَنِ لَهٍ وَبِكَاءِ؟
 وَوَجَدْتَ مِنْ وَقْعِ الْبَلَاءِ بِفَقْدِهِ إِنَّ الْبَلَاءَ مَصَارِعُ الْعِظَمَاءِ
 اللَّهُ يُشْهَدُ قَدْ وَفِيَتْ سَخِيَّةً بِالْدمْعِ غَيْرَ بَخِيلَةٍ الْخُطَبَاءِ
 وَأَخَذْتَ قِسْطًا مِنْ مَنَاحَةِ مَاجِدِ جَمِّ الْمَآثِرِ طَيْبِ الْأَنْبِيَاءِ
 هَنَفَ الرُّوَاةُ الْحَاضِرُونَ بِشَعْرِهِ وَحَدَا بِهِ الْبَادُونَ فِي الْبِيدَاءِ (٤)
 لُبْنَانُ يَسْكِيهِ وَتَبْكِي الضَّادُ مِنْ حَلَبٍ إِلَى الْفَيْحَاءِ إِلَى صَنْعَاءِ
 عَرَبُ الْوَفَاءِ وَفَوْا بِذِمَّةِ شَاعِرِ بَانِي الصُّفُوفِ مُؤَلِّفِ الْأَجْزَاءِ
 يَاحَافِظُ الْفُصْحَى وَحَارَسَ مَجْدَهَا وَإِمَامَ مَنْ نَجَلَتْ مِنَ الْبُلْغَاءِ (٥)
 مَا زِلْتَ تَهْتَفُ بِالْقَدِيمِ وَفَضْلِهِ حَتَّى حَمِيَتْ أَمَانَةُ الْقَدَمَاءِ
 جَدَدْتَ أَسْلُوبَ (الْوَلِيدِ) وَلَفْظَهُ وَأَتَيْتَ لِلدُّنْيَا بِسِحْرِ (الطَّائِي) (٦)

(١) بابل : موضع مدينة بالعراق ينسب إليها السحر والخر . والحمراء : قصر مشهور في الأندلس .

(٢) الفجاج - بكسر الفاء - : جمع فج - بفتحها - الطريق الواسع بين الجبلين .

(٣) قرطبة : إحدى عواصم الأندلس الكبرى ، وكانت في المغرب مثل بغداد في المشرق ، كلتاها منبع للعلوم والفنون في أزهر عصور الإسلام .

(٤) البادون : السائرون في البادية .

(٥) نجلت : أى ولدت .

(٦) الوليد : هو أبو عبادة البحتري الشاعر العباسي الشهير . والطائي : هو حبيب الطائي الشهير بأبي تمام .

وجريت في طلب الجديد إلى المدى حتى اقترنت بصاحب البؤساء^(١)
 ماذا وراء الموت من سلوى ومن دعة ومن كرم ومن إغضاء ؟
 أشرح حقائق ما رأيت ولم تزل أهلاً لشرح حقائق الأشياء
 رتب الشجاعة في الرجال جلائل وأجلهم شجاعة الآراء
 كم ضقت ذرعاً بالحياة وكيدها وهتفت بالشكوى من الضراء
 فهللم فارق يأس نفسك ساعة واطلغ على الوادي شعاع رجاء
 وأشر إلى الدنيا بوجه ضاحك خلقت أسيرته من السراء
 ياطلما ملأ الندي بشاشة وهدى إليك حائج الفقراء
 اليوم هادنت الحوادث فاطرح عبء السنين وألق عبء الداء
 خلقت في الدنيا بياناً خالداً وتركت أجيالاً من الأبناء
 وغداً سيذكرك الزمان ولم يزل للدهر إنصاف وحسن جزاء

(١) البؤساء : كتاب لفكتور هيجو ، عربيه الفقيه .

محمد تيمور (*)

ضربوا القباب على اليباب وتَوَوَّأ إلى يوم الحساب^(١)
 همّدوا وكلُّ محزك يوما سيسكن في التراب
 نزّلوا على ذئب البلي فتضيفوا شرّ الذئاب
 وكانهم صرعى كَرّى بالقاع أو صرعى شراب
 فإذا صحّوا وتنبهوا فالله أعلم بالمآب

من كل منفصّ الوفو د هناك مهجور الجناب
 موروث كل مَضْنَة إلا الذخيرة من ثواب^(٢)

يَا نَائِحَاتِ مُحَمَّد نُحِشْنَهُ غَضَّ الإهاب
 في ماتم لم تخل فيه المكرمات من انتحاب
 تبكى الكريم على العشيّرة والحيب إلى الصباح
 حسب الحمام دموعك المستهله من عتاب^(٣)
 فارجعن فيه لحكمة أوجئن فيه إلى احتساب
 في العالم الفانى مصيبر العالمين إلى ذهاب
 من سار لم يئن العنا ن ومن أقام إلى آقرب

(*) محمد تيمور ، أديب كبير اشتهر بوضع القصص الاجتماعية ، ولكن الموت لم يمهله فاخترم شبابه في سنة ١٩٢١ .

(١) القباب : جمع قبة . والمقصود بضرب القباب هنا : هو الكفاية عن المقبرة .

(٢) المَضْنَة : هي المنيء النفيس يكون موضعا للضرب به .

(٣) الحمام - بكسر الحاء - : الموت .



يا وارث الحسب الصميم وكاسب الأدب الباب
وابن الذي علم الرجا لُ حياءه من كل عاب (١)
وكانه في كُتبه عثمان في ظل الكتاب (٢)
ماذا نقيمت من الشبا ب وأنت في نِعَم الشباب
مُتحلياً هبة النبو غ مطوق المنح الرغاب
ولم الترحل عن حيا ة أنت منها في ركاب
لم تعد شاطئها ولم تبلغ إلى ثبج العُباب (٣)



رفقاً على محزونة الـ أبياتٍ موحشة الحجاب (٤)
فقدتك في العمر الطيرير وفي زها الدنيا الكعاب (٥)
تبكى وتندب إلها بين الأفانين الرطاب
وانظر أباك ونكله ورزوحه تحت المصاب
لو كان يملك سرّ يو شع ردّ شمسك من غياب (٦)

(١) وابن الذي... الخ : هو المرحوم أحمد باشا تيمور ، كان عالماً بجاناً اشتهر بالاطلاع الواسع وباقتناء أثمن الكتب .

(٢) يشبهه والد الفقيد في إقباله على الكتب في شيخوخته بعثات بن عفان الخليفة الثالث الذي مات والكتاب العزيز في يده . (٣) العباب : البحر . وثبجه : وسطه .

(٤) موحشة الحجاب : كناية عن شدة مصاب هذه السيدة . يقال : إن خدرها أقفر من الأنس حتى صار يبعث الوحشة والهلع في قلب صاحبته .

(٥) العمر الطيرير : هو سن الشباب . ويقصد بقوله « الدنيا الكعاب » أنه كان يعيش في دنيا مزهوة بنعيمها وثروتها .

(٦) يوشع — كما في التوراة — هو يشوع بن نون اصطفاه الله وأرسله لبني إسرائيل بعد موسى ، وأمره بمحاربة الجبارين ، ففي بعض وقائعته ابتهل إلى الله أن تقف الشمس حتى ينتقم من أعدائه ، فوقف ولم تغرب مدة يوم أو نحو ذلك .



أَعْلَيْتَ غَيْرِكَ مِنْ جَلَالِنَا مُمِثِلٌ فِي جُدَدِ الشَّيَابِ
وَكَسَا غُرَائِبَ جِدِّهِ حُلَلًا مِنْ اهْزَلِ الْعُجَابِ
مُتَمِيزًا حِينَ الْمَيِّتِ زُ لَيْسَ مِنْ أَرْبِ الشَّبَابِ
أَفُقَ الْعَلَا بَكَتَ الشَّهَابِ بَ عَلَيْهِ لِأَذَنِّبِ الشَّهَابِ
يَا رَبُّ يَوْمَ ضَاقَ ذُرُّهُ عُكَ فِيهِ بِالْحَسَدِ الْغَضَابِ
سَمِعَهُمْ فَأَنْتَ جَمَعْتَهُمْ الشَّهْدُ مَائِدَةُ الذَّبَابِ
خُذْ مِنْهُمْ نَقْدَ الْعَفَا فَوَدَّعَ لَهُمْ نَقْدَ السَّيَابِ
دُونَ النَّبُوغِ وَأَوْجِهِ مَا لَا تَعُدُّ مِنَ الصَّعَابِ
فَإِذَا بَلَغْتَ الْاَوَّجَ كُنْتَ مَتِ الشَّمْسُ تَهْزَأُ بِالضَّبَابِ (١)



لَا تَبْعِدَنَّ فَهَذِهِ آمَالُ قَوْمِكَ فِي اقْتِرَابِ
أَشْرَفُ بَرُوحِكَ فَوْقَهُمْ مَلَكَايِرُ فَرْفِ فِي السَّحَابِ
وَانْظُرْ بَعِينَ مُرَّهَاتٍ عَنِ زُخْرِفِ الدُّنْيَا الْكَذَابِ
تَرَى مِنْ لِدَاتِكَ أُمَّةً كَسَتِ الدِّيَارَ جَلَالَ غَابِ (٢)
أُسْدٌ تَجُولُ بِغَيْرِ ظُفْرِ رَأَوْ تَصُولُ بِغَيْرِ نَابِ
جَعَلُوا الثَّبَاتَ سِلَاحَهُمْ نَعِمَ السِّلَاحُ مَعَ الصَّوَابِ
أَمَّا الْأُمُورُ فَإِنَّهَا بَلَغَتْ إِلَى فُصْلِ الْخُطَابِ
فَإِذَا مَلَكَتْ تَوَجُّهًا لَلَّهِ فِي قُدْسِ الرِّحَابِ
سَلْ فَاتَحِ الْاَبْوَابَ يَفْ سَتَحِ لِلْكِبَانَةِ خَيْرَ بَابِ

(١) الأوج : العلو .

(٢) لدات الإنسان : هم المقاربون له في السن . والغاب : جمع غابة ، وهي مأوى الآساد

(٣) يصف شباب الأمة المصرية في ثورة سنة ١٩١٩ و سنة ١٩٢٠ .

يعقوب صروف (*)

سماؤك يا دنيا خداعُ سَرابٍ وأرضك عمران وشيكُ خراب (١)
وما أنت إلا جيفة طال حولها قيام ضباب أو قعودُ ذناب
وكم ألجا الجوعُ الأسودَ فأقبلت عليك بظفر لم يعفّ وناب
قعدت من الاطعمان في مقطع السرى ومرؤا ركابًا في غبار ركاب
ووجدت عليهم في الوداع بساخر من اللحظِ عن ميّت الاحبة نابي (٢)
أقاموا فلم يؤنسك حاضرُ صحبةٍ ومالوا فلم تستوحشني لغياب
تسوقين للموت البنين كقائد يرى الجيش خلقًا هيئنا كذباب
رأى الحرب سلطانًا له وسلامة وإن آذنت أجناده بتياب (٣)
ولولا غرور في لبّانك لم يجد بنوك مذاق الضرّ شهد رُصاب (٤)
ولا كنت للأعشى مشاهد فتنةٍ وللسُّعَد العاني بحال وثاب (٥)
ولا ضل رأى الناشئ الغز في الصبا ولا كثر بعد الفرصة المتصابي
ولا حسب الحفار للموت بعدما بنى يديه القبر ألف حساب
يقولون يرثي كلّ خلٍّ وصاحب أجل إنما أقضى حقوق صحابي

(*) هو الدكتور يعقوب صروف : أحد صاحبي مجلة المقتطف وجريدة المقطم .
كان متبتلا للعلم معدودا في طليعة الكتاب والعلماء الذين يشار إليهم بالبنات ،
توفي سنة ١٩٢٨

(١) السراب : هو ما يرى في وسط النهار كأنه الماء . ووشيك : سريع .

(٢) النابي : السكيل .

(٣) يقال : آذنته بكذا ، أى أنذرتة . والتياب : الهلاك .

(٤) اللبان - بتشديد اللام مضمومة - : جمع لبانة ، وهي الحاجة يطلبها الإنسان
من غير احتياج إليها ، بل بدافع من علو الهمة والرغبة . والرضاب : هو ريق الإنسان
مادام في فمه .

(٥) العاني : المقيد ، ومن هنا سمي الأسير بالعاني ، لأن من شأنه أن يقيد .

جزيتهم دمعى فلما جرى المدى جعلت عيون الشعر حسن ثوابي
كفى بذرى الأعوادِ منبرَ واعظ وبالمستقلّ لها لسانَ صواب (١)
دعوتك يا يعقوب من منزلِ البلي ولولا المنايا ما تركت جوابي
أذكرُكَ الدنيا وكيفَ ولم يزل لها أثراً شهدَ بفيك وصاب (٢)
حملنا إليك الغارَ بالأمسِ ناضراً وسُقنا كتابَ الحمدِ نلوا كتاب (٣)
وما أنفكت الدنيا وإن قل لبُها لسانَ ثوابٍ أو لسانِ عقاب
ألا في سبيلِ العلمِ خمسونَ حجةً مضت بين تعلّمٍ وبين طُلاب
قطعت طوالى ليلها ونهارها بآمالِ نفسٍ في الكمالِ رغب
رأى الله أن تلقى إليك صحيفةً فنزّهتها عن هوشةٍ وكِذاب (٤)
ولم تتخذها آلةَ الحقدِ والهوى ولا مُنتدى لغوٍ وسُوقِ سباب
مشينا بنورى عليها وبيانها فلم تُسر إلا في شُعاعِ شهاب
وعشنا بها جيلينَ قتت عليهما معلّمَ نشءٍ أو إمامَ شَباب
رسائلَ من عفوِ الكلامِ كأنها حواشى عيونٍ في الطُروسِ عذاب (٥)
هى المحض لا يشقى به ابنُ تيممة غداة ولا يشقى به ابنُ خضاب (٦)

(١) بالمستقلّ لها : أى براكيها .

(٢) الشهد : غسل النعل ، والصاب : المر .

(٣) إشارة إلى الاحتفال بالفقيد في اليوبيل الفضى لمجلته المقتطف . والغار : ورق شجر كانت تتخذ منه أكاليل الظافرين .

(٤) هذه الصحيفة هى مجلة المقتطف التى تعد بحق أمجد صحيفة علمية أدبية فى الشرق العربى كله وكان الفقيد مختصاً بتحريرها .

(٥) قوله « كأنها حواشى عيون ... الخ » . العيون : هى عيون الماء ويقصد بجواشيتها : النباتات والزهور التى تنبت حوالها .

(٦) المحض : هو الخالص من كل شئ ، وابن تيممة وابن خضاب : يقصد بالأول البغى الناشئ ، وبالثانى الشايب الذى يخضب شعره .

(١) سهولٌ من الفصحى وقفت بها الهوى
على ما لديها من رُبى وهِصاب
(٢) وما ضمت بين الشرق والغرب مشيةً
كما قيل في الأمثال حجلُ غراب
فلم أرَ أنقى منك سُمعةً ناقلٍ
إذا وسمَ النقلُ الرجالَ بعباب
وكم أخذ القول السرى مُعزَّب
فما رده لِاسمٍ ولا لِإنصاب
وقدَّت على الفصحى بخيرات غيرها
فوالله ما ضافت مناصب باب
وقدَّما دنت (يونان) منهاو (فارس)
و(روما) حلَّوا في فسيح رحاب
تبَّلت للعالم الشريف كأنه
حقيقةٌ توحيدٍ وأنت صحابي
وجشمت ميدان السياسة (فارساً)
وكلُّ جوادٍ في السياسة كابي (١)
وكنّا ونمرُّ في شغاب فلم يزل
بنا الدهر حتى فضَّ كلَّ شغاب
رأى الثورة الكبرى فسلَّ يراعَه
لنحطيم أغلال وفك رقاب (٢)
وما الشرق إلا أسرةٌ أو عشيرةٌ
تلمُّ بنها عند كل مُصاب

سلامٌ على شيخ الشيوخ ورحمةٌ
تحدَّرُ من أعطاف كلِّ سحاب
ورقافُ ربحان يروحُ ويغتدى
على طبيباتٍ في الخلالِ رطاب
وذكري وإن لم نفسَ عهدك ساعةً
وشوقٌ وإن لم نفتكر بياباب
وويح السَّوافي هل عرضن على البلي
جيبنك أم سترتهُ بِحجاب (٣)

(١) المقصود بفارس في هذا البيت هو الدكتور فارس نمر الشريك الثاني للفقيد في مجلتي المفتض والمقطم ، ولكنه الشريك المختص بالسياسة كما كان الفقيد مختصا بالعلم ، وقوله : وكل جواد في السياسة كابي ، إشارة رقيقة إلى المثل القائل لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة .

(٢) يريد أن الدكتور نمر لم يشاغب حبا في المشاغبة ، ولكنه كان متأثرا بفكرة عامة .

(٣) السوافي : الزياح .

وهل ضنَّ ماءً كان فيه كأنه حياةً يتولَّى في الصلاة كعاب^(١)
ويا لحياةٍ لم تدع غير سائلٍ أكانت حياةً أم خلية داب^(٢)
وأين يدُّ كانت وكان بنائها يراعاةً وشيٍ أو يراعاةً غاب
ولهفنى على الأخلاق في ركن هيكل بيطن الثرى رثَّ المعالم خابي

* *

تعيش وتمضى في عذابٍ كلذة من العيش أو في لذة كعذاب
ذهبنا من الأحلام في كل مذهب فلما انتهينا فُسرت بذهاب
وكل أخى عيشٍ وإن طال عيشه تُرابٌ لعمُر الموت وابنُ تراب

(١) البيتول : المنقطعة عن الرجال وعن الدنيا إلى الله تعالى .

(٢) الداب ، بمعنى الدأب .

حسين شيرين بك (*)

أرأيت زين العابدين مُجَهَّزًا نقلوه نقلَ الوردِ من محرابه (١)
 من دار توأمة وصنو حياته والاول المألوف من أترابه (٢)
 ساروا به من باطل الدنيا إلى بحبوحه الحق المبين وغابه (٣)
 ومضوا به لسبيل آدم قبله ومصاير الاقوام من أعقابه
 تحنو السماء على زكى سريرته ويمسُ جيد الأرض طيب ركابه
 وتطيب هام الحاملين وراحهم من طيب حمّله وطيب ثيابه
 وكان مصرَ بجانبيه ربوة آذارُ آذنها بوشك ذهابه
 ويكاد من طرب لعادته الندى ينسلُّ للفقراء من أثوابه (٤)
 الطيبُ ابن الطيبين وربما نضح الفقى فأبان عن أحسابه
 والمؤمنُ المعصوم في أخلاقه من كل شائنة وفي آدابه
 أبدأ يراه الله في غلس الدجى في صحن مسجده وحول كتابه

(*) حسين بك شيرين : كان مثالا عاليا من أمثلة مكارم الأخلاق ، وكانت بينه وبين أمير الشعراء صداقة تشبه القرى ، وقد توفي في سنة ١٩٣١ ، فنظم فيه هذه القصيدة رثاء له وتعزية لشقيقه إسماعيل بك شيرين .

(١) أراد تشبيهه بعلى زين العابدين ابن سيدنا الحسين رضى الله عنهما ، وفي زين العابدين هذا يقول الشاعر الفرزدق :

ما قال « لا » قط إلا في تمهده * لولا التمهيد كانت لاءه « نعم »

وتجهز الميت : تهيئه له القبر .

(٢) الصنو : الأخ الشقيق . والتوأم : المولود مع غيره في بطن ، وهذه حال الفقيد

مع أخيه . والأتراب : لدات المرء وزملاؤه الذين ولدوا في سن متقاربة معه .

(٣) بحبوحه المكان : وسطه .

(٤) الندى : الكرم .

وَيُرَى الْيَتَامَى لَا تُذِنَ بظله ويرى الأراملَ يَعْتَصِمْنَ بِيَاةِ
ويراه قد أدى الحقوق جميعها لم يَفْسَ منها غير حق شبابه
أدى من المعروف حِصَّةَ أهله وقضى من الإحساب حقَّ صحابه (١)



(مهويش) أين أبوكِ اهل ذهبوا به لم لم يُعَدَّ آياتَ يومِ إِيَابِهِ؟ (٢)
قد وكلَّ الله الكريمَ وعينَه بك فاحسبنيه على كريم رحابه
ودعى البكا يَكْفِيهِ ما حَمَلْتِهِ من دَمْعِكَ الشاكي ومن تسكابه
ولقد شَرِبْتَ بِمُحَادَثِ يا طالما شَرِبْتُ بناتُ العالمين بصابه
كل امرئ غادٍ على عُوَادِهِ وسؤا لهم: ما حاله ماذا به ؟
والمرءُ في طلب الحياة طويلا وخُطى المنية من وراء طلابه
في بَرٍّ (عَمَلِكِ) ما يقوم مكانه في عطفه وحنانه ودعابه



(إسكندرية) كيف صبرك عن فتى الصبر لم يُخْلَقْ لمثل مُصَابِهِ (٣)
عَطِلْتَ سَمَاوُكَ من بريق سحابها وخبا فضاؤك من شعاع شهابه
زينُ الشباب قضي ولم تنزودي منه ولم تتمتعى بقرابه
قد ناب عنك فكان أصدق نائبٍ والشعبُ يهوى الصدق في نُؤَابِهِ
أَعْلَيْتِهِ اتَّخَذَ الأمانةَ مرةً سبباً يبلِّغه إلى آرابه
لو عاش كان مؤملاً لمواقفٍ يرجوها الوادى كرامَ شبابه

(١) المعروف هنا ، بمعنى البر بالناس والقيام بواجب المحتاجين .

(٢) مهويش : اسم تركي ، وهو علم على ابنة الفقيد .

(٣) كان الفقيد من الإسكندرية منشأ ، وعضو مجلس بلديتها .

يُحَلِّوْ عَلَى الْإِلْبَابِ هِمَّةَ فِكْرِهِ وَيُنَاوِلِ الْأَسْمَاعَ سِحْرَ خُطَابِهِ
وَيُنِيقُ كَيْدِيْنَهُ بِحَقِّ بِلَادِهِ وَيُنِيقُ بَعْدَ الْمُسْلِمِينَ كَيْدَابَهُ (١)

* *

تَقْوَاكَ (إِسْمَاعِيلُ) كُلُّ عِلَاقَةٍ سَيَبُثُّهَا الدَّهْرُ الْعُضْوُضُ بِنَابِهِ (٢)
إِنَّ الَّذِي ذُقْتَ الْعَشِيَّةَ فَقَدَهُ بَتَّ اللَّيَالِي مُوجِعًا لِعَذَابِهِ
فَارَقْتَ صِنُوكَ مَرَّتَيْنِ فَلَاقَهُ فِي عَالَمِ الذِّكْرِ وَبَيْنَ شُعَابِهِ (٣)
مَنْ عَادَ الذِّكْرَ تَرُدُّ مِنَ النَّوَى مَنْ لَا يَدِينُ لَنَا بَطِيَّ غِيَابِهِ
حَلْمٌ كَأَحْلَامِ الذِّكْرِ وَسُنَانُهُ مُسْتَعَذَّبٌ فِي صَدَقِهِ وَكَذَابِهِ
أَسْكَبَ دُمُوعَكَ لَا أَقُولُ اسْتَبَقَهَا فَأَخُو الْهَوَى يَسْكِي عَلَى أَحْبَابِهِ

—————

- (١) الديدن : العادة .
(٢) إسماعيل بك شيرين ، شقيق المرنى .
(٣) يشير هذا البيت إلى أن الفقيد كان مغترباً في سويسرا طيلة زمن الحرب السكبرى .

محمد عبد المطلب (*)

- قام من غلته الشاكي الوصب وتلقى راحة الدهر التعب^(١)
 أيها النفس أصبري وأسترجي هتف الناعي بعبد المطلب^(٢)
 نزل الشرب على من قبله كل حي منتهاه في الشرب
 ذهب اللين في إرشاده كالأب المشفق والجد الحذب
 القريب العتب من معنى الرضا والقريب الجد من معنى اللعب
 والاخ الصادق في الوء إذا ظهر الإخوان بالوء الكذب
 خاشع في درسه محتشم فيك في مجلس الصفو طرب
 قلد الاوطان نشأ صالحاً وشابا أهل دين وحسب
 ربما صالت بهم في غدها صولة الذولة بالجيش اللجب^(٣)
 جعلوا الأفلام أرماعهم وأقاموها مقامات القضب
 لا يميلون إلى البغي بها كيف ينبغي من إلى العلم انتسب ؟
 شاعر البدو ومنهم جانا كل معنى رق أو لفظ عذب
 قد جرت السهم صافية جريان الماء في أصل العشب
 سلمت من عنت الطبع ومن كلفة الأفلام أو حشو الكتب^(٤)

(*) هو الأستاذ محمد عبد المطلب أستاذ الأدب في مدرسة دار العلوم . كان ينظم الشعر مؤثراً في نظامه طريقة البادين ، ولذلك كان يلقب بشاعر البدو . وقد توفي سنة ١٩٣١ ، وأقيمت له حفلة تأبين أقيمت فيها هذه القصيدة .

(١) يريد بالوصب : المتعب من مرض أو من علو الهمة .

(٢) الاسترجاع ، هو قول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٣) الجيش اللجب : الكثير العدد والعدة .

(٤) العنت : المشقة .

قد نزلت اليومَ في باديةٍ عَمَرَتْ فيها (امرأ القيس) الحقب (١)
ومشى (المجنون) فيها سالياً نفى اللوعة عنه والوصب (٢)
أعير الناسَ لساناً ينظموا لك فيه الشعرَ أو يُنشوا الخطب
قمِ صفِ الخلدِ لنا في مُلكه من جلال الخلق والصُّنع العجب
وثمارٍ في يواقيتِ الربِّ وسُلافٍ في أباريقِ الذهب (٣)
وانثر الشعرَ على الأبرارِ في قُدُسِ الساحِ وعُلوِّ الرحب
واستعر (رضوان) عودى قصب وترنمَ بالقوافي في القصب (٤)
واسقى بالمعنى إلهياً كما تتساقون الرحيق المنسكب
كلما سبَّحت للعرشِ به رَفَعَ الرحمنُ والرُّسلُ الحجب
قمِ تأمل ! هذه الدارِ وقى لك من طلابها الجمعُ الأرب (٥)
وقَتِ الدارُ لباني رُكنها وقضى الحقُّ بنو الدارِ النُجب (٦)
طلبوا العلمَ على شيوخهم زمناً . ثم إذا الشيخ طُلب
غاب عن أعينهم لكنه مائلٌ في كل قلبٍ لم يغب
صورةٌ مُحسنة ما تختفى ومثالٌ طيبٌ ما يحتجب
رجلٌ الواجبِ في الدنيا مضى يُنصفُ الأخرى ويقضى ما وجب
عاش عيش الناسِ في دنياهم وكما قد ذهب الناسُ ذهب
أخذ الدرسَ الذي لُقنه عُجمُ الناسِ قديماً والعرب

(١) امرؤ القيس : الشاعر الجاهلي المعروف .

(٢) المجنون : مجنون ليلي ، من شعراء البادية كاهي القيس .

(٣) يواقيت الربا : الأكام المنفتحة بالورود والثمار التي تشبه الياقوت .
والسلاف : الخمر .

(٤) رضوان : هو الملك القائم على الجنة ، والقصب : الزمار أو الناي الذي يترنم به .

(٥) الجمع الأرب : أي الكثير الحصافة والسكاسة والدهاء .

(٦) النجب : جمع نجيب .

يرثى جدّته (*)

خُلِقْنَا لِلْحَيَاةِ وَلِلْمَمَاتِ وَمِنْ هَذَيْنِ كُلُّ الْحَادِثَاتِ
وَمَنْ يُوَلِّدُ يَعِشْ وَيَمُتْ كَأَنْ لَمْ يَمُرْ خَيَالُهُ بِالْكَائِنَاتِ
وَمَهْدُ الْمَرْءِ فِي أَيْدِي الرَوَاقِ كَمَعْشِ الْمَرْءِ بَيْنَ النَّائِحَاتِ (١)
وَمَا سَلِمَ الْوَلِيدُ مِنْ اشْتِكَاءِ فَهَلْ يَخْلُو الْمُعَمَّرُ مِنْ أَذَاةِ (٢)
هِيَ الدُّنْيَا قِتَالٌ نَحْنُ فِيهِ مَقَاصِدُ لِلْجَسَامِ وَلِلْقَنَاءِ
وَكُلُّ النَّاسِ مَدْفُوعٌ إِلَيْهِ كَمَا دُفِعَ الْجَبَانُ إِلَى الثَّبَاتِ
تُرْوَعُ مَا تَرْوَعُ ثُمَّ تُرْمَى بِسَهْمٍ مِنْ يَدِ الْمَقْدُورِ آتَى
صَلَاةَ اللَّهِ يَا (تَمَزَّارُ) تَجْزَى ثَرَاكَ عَنِ التَّلَاوَةِ وَالصَّلَاةِ
وَعَنْ تَسْعِينَ عَامًا كُنْتَ فِيهَا مُشَالًا الْحَسَنَاتِ الْفُضْلِيَّاتِ
بَرَرْتَ الْمُؤْمِنَاتِ فَقَالَ كُلُّ لَعَلِّكَ أَنْتِ أُمُّ الْمُؤْمِنَاتِ
وَكُنْتَ فِي الْفَضَائِلِ بَاقِيَاتٌ وَأَنْتِ الْيَوْمَ كُلُّ الْبَاقِيَّاتِ
تَبَنَّاكَ الْمُلُوكُ وَكُنْتَ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْبَنِينَ أَوْ الْبَنَاتِ
يُظَلُّونَ الْمَنَاقِبَ مِنْكَ شَتَّى وَيُؤْوُونَ التَّقَى وَالصَّالِحَاتِ
وَمَا مَلِكُوكَ فِي (سُوقٍ) وَلَكِنْ لَدَى ظِلِّ الْقَنَاءِ وَالْمَرْهَفَاتِ

(*) جدّته : هي المرحومة السيدة (تمزار) معتوقة جنتمکان إبراهيم باشا والى مصر ،
وسترى في القصيدة كيف بلغت الجدة المحترمة تلك المنزلة العالية .

(١) المهدي : الموضوع بهياً للطفل . والرواق : جمع راقية ، والراقية عند العرب هي
الأم أو نحوها ، تضع التمام والتعاويد على الطفل حفظاً له من العين أو من الشياطين ،
على زعمهم .

(٢) العمر : هو الذي يعد له في العمر . يقول في هذه الأبيات الثلاثة : إن الدنيا
لا ثبات لها ؛ فالإنسان فيها كأنه خيال بل كأنه لم يوجد ، فالراقيات والنائحات والمهد
والنعش والصغر والكبر لقاء الأقدار سواء ، فلا شيء يرد الموت ولا يمنع القدر .

عَنْتَ لَهُمْ (بمورة) بنتَ عشر وسيفُ الموت في هام الكُمة (١)
فَكَتَ لَهُمْ وللرحمن صيدا وواسطة لعقد المسلمات
تَبَعْتَ مُحَمَّدًا مِنْ بَعْدِ عِيسَى لخيرك في سنينك الاوليات
فَكَانَ الْوَالِدَانِ هَدًى وَتَقْوَى وكان الولد هذى المعجزات
وَلَوْ لَمْ تَظْهَرِ فِي الْعَرَبِ إِلَّا بأحمد كنت خير الوالدات (٢)
تَجَاوَزْتَ الْوِلَادَ فَآخِرَاتٍ إلى نحر القبائل واللغات
وَأَحْكَمَ مِنْ تَحْكَمَ فِي يَرَاعٍ وأبلغ من تبلى من دواة
وَأَبْرَأَ مِنْ تَبْرَأَ مِنْ عَدَاءٍ وأنزه من تنزه من شمات
وَأَصَوْنَ صَائِنَ لِأَخِيهِ عَرْضًا وأحفظ حافظ عهد اللدات
وَأَقْتَلَ قَاتِلَ لِلدَّهْرِ خُبْرًا وأصبر صابر للغاشيات
كَأَنِّي وَالزَّمَانُ عَلَى قِتَالٍ مُسَاجِلَةً بِمِيدَانِ الْحَيَاةِ (٣)
أَخَافُ إِذَا تَشَاقَلْتُ اللَّيَالِي وأشفق من خفوف النائبات
وَلَيْسَ بِنَافِعِي حَذَرِي وَلَكِنْ إِبَاءً أَنْ أَرَاهَا بَاغِتَاتٍ

(١) عننت لهم . . . الخ : مأخوذة من قولهم « عن الصيد للصائد » إذا ظهر .
ومورة : علم على صقع بعينه هو الوطن الأول لجدته . والسكامة : جمع كى ، وهو الفارس
المدجج بالسلاح . بعد أن قال إن جدته كانت متبناة للملوك بين كيف وقع لها ذلك ،
فقال : إنما لاحت للفرسان المغيرين على وطنها (مورة) فأخذوها أسيرة حرب ، وهي
لم تتجاوز العاشرة ، وكان هذا خيرها حيث أكرمها الله فنشأت مسلمة ونزلت من الملوك
بمنزلة بناتهم .

(٢) أحمد : هو الاسم الشريف لأمير الشعراء . يقول لجدته في هذا البيت : إذا لم
يكن لك نسب في العرب إلا ولادتك لى لكنت بهذا خير أمهات العرب . ولقد وضع
هذا البيت نفسه توأما لبيت المتنبي الذي يخاطب به أمه فيقول :

ولو لم تسكوني بنت أكرم والد * لسكان أباك الضخم كونك لى أما

(٣) المساجلة في القتال : هي من قولهم « الحرب سجال يوم لك ويوم عليك »

أَما مَوْتٌ من الفلك العوادي و (برجله) يَحُطُّ الدائرات
تأمل هل ترى إلا شِباكاً من الأيام حولك مُلَقِيَات
ولو أن الجهات خُلِقْنَ سَبْعاً لكان الموتُ سابعةَ الجهات
لَعاً للنعش لأُحْبَباً ولكن لاجلك يا سماءَ المَكْرَمات ^(١)
ولا خائتَه أيدى حامليه وإن ساروا بصبري والآنَاة
فلم أر قبله المَرِيخَ مُلَقًى ولم أسمع بدفن النيرَات
هناك وقفتُ أسألك أَتَشَادَا وأمسك بالصفات وبالصفاة ^(٢)
وأنظرُ في ترابك ثم أغضى كما يغضى الأبى على القَداة
وأذكر من حياتك ما تَقْضَى فكان من الغداة إلى الغداة

(١) لما : كلمة دعاء. يقال للعاشر ، تقول « لعا له » إذا أردت سلامته ، و « لا لعا له » إذا أردت غير ذلك .
(٢) الصفاة : الحجر الصلب ، والمقصود بها هنا القبر .

محمد عبده (*)

مفسر آى الله بالامس بيننا قم اليوم فسر للورى آية الموت
رحمت ، مصير العالمين كما ترى وكل هناء أو عزاء إلى فوت
هو الدهر ميلاد فشغل فأنتم فذكر كما أبى الصدى ذاهب الصوت (١)

(*) هو الأستاذ الإمام محمد عبده مفتى الديار المصرية . توفى سنة ١٩٠٥ ، وقد ظهرت أسمى ملكاته فى فهم وتفسير القرآن الشريف .
(١) يقول : إن الإنسان يشبه الصوت ، وذكره من بعده يشبه الصدى . والصدى : هو ما يرد على الصوت شبيهاً بصوته ، ويقال له الرجع أيضاً .

رياض باشا(*)

مات في المواكب أم حياة ونعش في المناكب أم عظام
ويومك في البرية أم قيام وموكبك الأدلة والشيات (١)
وخطبك (بارياض) أم الدواهي على أنواعها والتأزلات
يجل الخطب في رجل جليل وتكبر في الكبير النائبات
وليس الميت تبكيه بلاد كمن تبكي عليه النائحات

وهل تلقى منايها الرواسي فتوى ثم تضمرها قفلة (٢)
وتكسر في مراكزها العوالى وتدق في التراب المرهفات (٣)
ويغشى الليث في الغابات ظهرا وكانت لا تقربها الحصاة
ويرمى الدهر (نادى عين شمس) ولا يحصى لواءهم الرماة (٤)
أجل حملت على النعش المعالى ووسدت التراب المكرمات
وحملت المدافع ركن سلم يشيعة الفوارس والمشاة
وحل المجد حفرة وأمسى يطيف به النوايح والبسكة

(*) يقترن تاريخ رياض باشا بتاريخ كبار الحوادث في مصر منذ الحديوي لإسماعيل إلى أواخر حكم عباس الثاني تقريبا ، فتاريخه في الواقع هو تاريخ مصر طيلة هذه الحقبة من الزمن .

(١) الشيات : جمع شية ، وهي العلامة : يشبه يوم مات رياض بيوم القيامة ، ويشبه جنازته بأشراط وعلامات القيامة .

(٢) القفلة : الصحراء .

(٣) العوالى : الرماح . والمرهفات : السيوف .

(٤) نادى عين شمس : موضع المؤتمر الذى أقامه أعيان المسلمين ردا على المؤتمر الذى أقامه أعيان القبط في فترة من الخلاف وقع بين الطائفتين المصريتين ، لا أعادها الله .

هوَى عن أَوْجِ رَفْعِيهِ (رياضٍ) وحازته القرونُ الخالياتُ
 كأن لم يَمِلْ الدنيا فعلا ولا هتفت بدولته الرواة
 نَعَاهُ (البرق) مُضْطَرَبًا فاجت نجوم في السماء مُحَلَّقات
 كأن الشمسَ قد بُعِيت عِشاء إليها فهي حَسْرَى كاسفات
 صَحِيفَةُ غَابِر طُوِيَتْ ووَلَّتْ على آثار من دَرَجُوا وفاتوا
 يقول الآخرون إذا تَلَوْهَا كذلك فَلْيَلِدُنْ الاتِّهَات
 جزى الله الرضا أبوى (رياضٍ) هما غَرَسَا وللوطنِ النبات
 بنو الدنيا على سَفَرٍ عَقِيمٍ وأَسْفَارُ النَوَابِغِ مرجعات
 أرى الاموات يَجْمَعُهُمْ نَشُورٌ وكم بُعِثَ النَوَابِغُ يوم مانوا
 صلاحُ الارضِ أحياءٌ وموتى وزينتها وأنجمها الهُدَاة
 قرائنهم وأيديهم عليها هدى ويسارةٌ ومُحَسَّنَات
 فلو طُلبَتْ لهم دِيَةٌ لَقَالَتْ كنوزُ الارضِ نحن هي الدِّيَّاتُ

أبا الوطنِ الأسيفِ بَكَتْكَ مصر كما بَكَتِ الآبَ الكَهْفَ البَنَاتُ
 قضيت لها الحقوقَ فَنَى وكهلا ويوم كَبِرَتْ وانخَنتِ القَنَاةُ
 ويومَ النَهْيِ للأمراءِ فيها ويوم الآمرون بها العِصَاةُ (١)
 فكنت على حكومتها سِرَاجًا إذا بَسَطْتَ دُجَاهَا المُشْكِلَاتُ
 يزيد الشيبُ نَفْسَكَ من حياة إذا نَقَصَتْ مع الشيبِ الحَيَاةُ
 وتملوكُ السُّنُونِ قَوًى وعِزَمًا إذا قِيلَ السُّنُونُ مُشَبَّطَاتُ

(١) يشير إلى أيام الثورة العرابية في مصر وإلى لون الحكم قبيل تلك الثورة .

- كَيْفَ الْهَنْدِ أَيْلَى حِينَ فَلَّتْ وَرَقَّتْ صَفْحَتَاهُ وَالظُّبَاتُ (١)
 رَفِيعُ الْقَدْرِ بِالْأَمْصَارِ يُرْنَى كَمَا نَظَرْتُ إِلَى النَّجْمِ السُّرَاةِ (٢)
 كَأَنَّكَ فِي سَمَاءِ الْمُلْكِ (يُحْيِي) • وَأَلُّكَ فِي السَّمَاءِ النِّيَّاتِ (٣)
 تَسُوسُ الْأَمَرَ لَا يُعْطَى نَفَاذًا عَلَيْكَ الْأُمُورُ وَلَا الشُّهَاتُ
 إِذَا الْوُزَرَاءُ لَمْ يُعْطُوا قِيَادًا نَبَذَتْهُمْ كَأَنَّهُمْ النَّوَاةُ
 زَمَاعٌ فِي أَنْفَاضٍ فِي آخْتِيَالٍ كَذَلِكَ كَانَ (بِسْمَرْك) الثَّبَاتُ (٤)
 صِفَاتٌ بَلَّغَتْكَ ذُرَى الْمَعَالِي كَذَلِكَ تَرَفَّعَ الرَّجُلُ الصِّفَاتِ
 وَجَدْتَ الْمَجْدَ فِي الدُّنْيَا لَوْاهُ تَلَقَّاهُ الْمُقَادِيمُ الْأَبَاةُ
 وَيَبْقَى النَّاسُ مَا دَامُوا رَعَايَا وَيَبْقَى الْمُقَدِّمُونَ هُمُ الرُّعَاةُ

- (رِيَاضُ) طَوَيْتَ قَرْنًا مَاطُوتَهُ مَعَ (الْمَأْمُونِ) (دِجْلَةَ) وَ(الْفِرَاتِ) (٥)
 تَمَنَّتْ مِنْهُ أَيَّامًا تَحَلَّى بِهَا الدُّوْلُ الْخَوَالِي الْبَاذِخَاتِ
 وَوَدَّ (الْقَيْصِرَانِ) لَوْ أَنَّ (رُومَا) عَلِيهَا مِنْ حَضَارَتِهِ سِمَاتِ (٦)
 حَبَاكَ اللَّهُ (حَاشِيَتِيهِ) عُثْمَرَا وَأَعْمَارُ الْكِرَامِ مَبَارَكَاتِ
 فَقَمَتَ عَلَيْهِ تَجْرِبَةٌ وَخُبْرَا وَمَدْرَسَةُ الرِّجَالِ التَّجَرُّبَاتِ
 تَمَرُّ عَلَيْكَ كَالْآيَاتِ تَتَرَى صَنَائِعُ أَهْلِهِ وَالْمُحَدَّثَاتِ

(١) الظُّبَاتُ جَمْعُ ظُبَةٍ - بَضْمُ الظَّاءِ - حَدُّ السِّيفِ .
 (٢) السُّرَاةُ - بَضْمُ السَّيْنِ - : جَمْعُ سَارَى ، وَلَا يَكُونُ السَّرَى إِلَّا لِلْمَشْيِ بِاللَّيْلِ .
 (٣) يُحْيِي : هُوَ يُحْيِي الْبَرْمَكِي وَزَيْرَ هَارُونَ الرَّشِيدِ .
 (٤) بِسْمَرْك : وَزَيْرُ أَلْمَانِي ضَرَبَ مِثْلًا فِي الْخُنْكَ وَالْمَهَارَةِ السِّيَاسِيَةِ . وَالزَّمَاعُ :
 الَّذِي يَزْمَعُ الْأَمْرَ فِي جَرَاةٍ وَإِقْدَامٍ ثُمَّ لَا يَنْتَفِي .
 (٥) الْمَأْمُونُ : هُوَ الْمَأْمُونُ الْعَبَّاسِيُّ . وَدِجْلَةُ وَالْفِرَاتُ : نَهْرَانِ بِالْعِرَاقِ .
 (٦) سِمَاتُ : عَلَامَاتُ .

فَأَدْرَكَتَ (البخار) وكان طفلاً فشبَّ فبايعته الصافنات (١)
تجأب على جناحيه الفيافي وتحمكم في الرياح المُششآت
ويُصعد في السماء على (بروج) غداً هي في العوالم بارجات (٢)
وبينا الكهرباء نُعد خرقاً إذا هي كل يوم خارقات
ودان البحر حتى خيض عهما وقيدت بالغان السافيات (٣)
وبلغت الرسائل لا جناح يحوب بها البحار ولا أداة
كان القطر حين يجيب قطراً ضمائر بينها متناجيات

* *

رهين الرمس حدثني ملياً حديث الموت تبد لي العظات (٤)
هو الخبر اليقين وما سواه أحاديث المني والترهات (٥)
سألتك ما المنية أي كأس وكيف مذاقها ومن السقا
وماذا يوجس الإنسان منها إذا غصت بعلمها الآهات (٦)
وأى المصرعين أشد موت على علم أم الموت الفوات ؟ (٧)
وهل تقع النفوس على أمان كما وقعت على (الحرم) القطة ؟ (٨)

(١) الصافنات : الخيل .

(٢) يريد بالبروج : الطائرات .

(٣) الغان : الزمام . والسافيات : الرياح .

(٤) الرمس : القبر .

(٥) الترهات : جمع ترهة ، بتشديد الراء مفتوحة ، وهي الباطل .

(٦) الآهات - بفتح اللام - موضع الحلق من داخل الفم .

(٧) الموت الفوات : الموت المفاجئ .

(٨) القطة : الحمام أو طير يشبه الحمام ، ويقصد بالحرم : الحرم المكي حيث يحرم

صيد الطيور الاثثة به .

وتخلد أم كزعم القوم تبلى كما تبلى العظامُ أو الرُفات ؟
 تعالى الله قابضها إليه وناعشها كما انتعش النَّبات
 وجازيها النعيمَ حَمَى أَمِينَا وعيشًا لا تكدِّره أذاة
 أمثلُك ضائقٌ بالحق ذرعًا وفي بُردِك كان له حماة^(١)
 أليس الحقُّ أن العيش فانٍ وأن الحَيَّ غايته الممات
 فَنَمَ ما شئت لا توحشك دُنْيَا ولا يَحْزُنُكَ مِن عيشٍ قَوَات
 تصرمتِ الشبيبةُ والليالي وغاب الأهلُ واحتجب اللدات
 خلَّت (حليمة) مَن بناها فكيف البيتُ حولك والبنات^(٢)
 أفيهِ من (الحلة) قوتُ يوم ومن نعيمٍ ملآن (الطود) شاة^(٣)
 وهل لك من حريرهما وسادُّ إذا خُشِفَت لجنينيك الصِّفاة^(٤)
 تولى الكلُّ لم ينفعك منه سوى ما كان يلتقط العفاة
 عبادُ الله أكرمهم عليه كرامٌ في بريته أَساة
 كائنة المسيح يقوم بؤس حوالها وتقعّد بأثاسات
 أخذتُك في الحياة على هنات وأى الناس ليس له هنات ؟^(٥)
 فصفحًا في التراب إذا التقينا ولوشيتِ العداوة والشرات

(١) حماة جمع حمة ، وهى الإبرة يضرب بها النحل ونحوه .

(٢) الحليمة : حيث كانت دار الفقيد . وقوله « وكيف البيت حولك والبنات » . يسأله عن حاله فى القبر وعن زاده هناك .

(٣) الحلة : محلة روح قرية فى إقليم الغربية بمصر ، حيث كانت توجد أملاك الفقيد الواسعة .

(٤) الصفاة : الحجر والمقصود به هنا القبر .

(٥) الهنات : جمع هنة ، وهى الشئ الصغير . وقد تعرف أسباب تلك الهنات من قصيدة مطبوعة فى الجزء الأول من الشوقيات .

خَلَقْتُ كَأَنِّي (عيسى) حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي الضَّغِينَةُ وَالشَّهَاتِ
يُسَاءُ إِلَيَّ أَحْيَانًا فَأَمْضَى كَرِيمًا لَا أَفُوتُ كَمَا أَفَاتُ
وَعَقْدِي لِلرِّجَالِ وَإِنْ تَجَافَوْا مَنَازِلُ فِي الْخَفَاةِ لَا تَفَاتُ

* *

طَلَعْتُ عَلَى (النَّدَى) (بعين شمس) فَوَافَتْهَا بِشَمْسَيْنِ الْغَدَاةِ
عَلَى مَا كَانَتْ يَنْدُو الْقَوْمُ فِيهَا تَوَافَى الْجَمْعُ وَاتَّمَرَتِ السَّرَاةُ (١)
تَمَلَّكَهُمْ وَقَارَكَ فِي خُشُوعٍ كَمَا نَظَّمَتْ مُقِيمِيهَا الصَّلَاةِ
رَأَيْتَ وَجْهَ قَوْمِكَ كَيْفَ جَلَلَتْ وَكَيْفَ تَرَعَرَعَتِ مَصْرُ الْفَتَاةِ
أُجِيلَ الرَّأْيُ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتَّى تَبَيَّنَتِ الرِّزَانَةُ وَالْحَصَاةُ (٢)
وَأَنْتَ عَلَى أَعْيُنِهِمْ قَدِيرٌ وَهُمْ بِكَ فِي الَّذِي تَقْضِي حُفَاةُ (٣)
إِذَا أَبَدَى الشَّبَابُ هَوًى وَزَهْوًا أَشَارَ إِلَيْهِ حُلُوكُ وَالْأَنَاةُ
فَهَلَّا قَمْتُ فِي النَّادَى خَطِيبًا لَكَ الْكَلَمُ الْكِبَارُ الْخَالِدَاتُ
تُفَجِّرُ حِكْمَةً (التَّسْعِينَ) فِيهِ فَمَا ذَانُ الشَّيْبَةِ صَادِيَاتُ (٤)
تَقُولُ مَتَى أَرَى (الجيران) عَادُوا وَضُمَّ عَلَى الْإِخَاءِ لَهُمْ شَتَاتُ (٥)
وَأَيْنَ أُولُو النَّهْيِ مِنَّا وَمِنْهُمْ عَسَى يَأْسُونُ مَا جَرَحَ الْغُلَاةُ (٦)

(١) يندو القوم : إذا اجتمعوا ليتشاوروا في ناديمهم . والسراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف .

(٢) الحصاة : العقل والرأى .

(٣) الخفاة : جمع حفي ، وهو هنا بمعنى العالم يتعلم باستقصاء . قال الله تعالى « كأنك حفي عنها » ، أى سائل عنها باستقصاء .

(٤) التسعين . هى مدة عمر الفقيده . وصاديات ، أى ظلمات .

(٥) الجيران : هم القبط والمسلمون في مصر .

(٦) الغلاة : هم البالغون حد الإفراط في عقائدهم وآرائهم .

مَشَتْ بين العشيرة رُسُلُ شَرٍّ وفَرَّقَت الظنُونِ السِيَّاتِ
 إِذَا الثَّقَةُ أَضْمَحَلَّتْ بين قوم تَمَزَّقَت الروابطُ والصلَّاتِ
 فَنَقَى فَعَسَى الَّذِينَ أَرَبَّتْ فِيهِمْ على الأيَّامِ إِخْوَانُ ثِقَاتِ
 وَرَبٌّ مَحَبَّبٌ لَا صَبْرَ عَنْهُ بَدَتْ لَكَ فِي مَحَبَّتِهِ بَدَاةُ (١)
 وَمَكْرُوهُ عَلَى أَخْذَاتِ ظَنٍّ تَحِيهِ إِلَيْكَ التَّجَرُّبَاتِ
 بَنَى الْإِطْوَانُ هَبَّوْا ثُمَّ هَبُوا فَبَعْضُ الْمَوْتِ يَجْلِبُهُ السُّبَاتِ (٢)
 مَشَى لِلْجِدِّ خَطْفَ الْبَرْقِ قَوْمٌ وَنَحْنُ إِذَا مَشِينَا (السلحفات)
 يُعْدُّونَ الْقُوَى بَرًّا وَبَحْرًا وَعُدَّتْنَا الْإِمَانِي الْكَاذِبَاتِ

(١) البداية ، من قوله : بدا لي في هذا الأمر بدءاً ، أى ظهر لي فيه شيء .
 (٢) السبات : النوم ، وأصله الراحة ، ومنه قوله تعالى : « وجعلنا نومكم سباتاً » .

عثمان باشا غالب (*)

ضجّت لمصرع (غالب)	في الأرض (ملكة النبات)
أُمسّت (بتيجان) عليه	من الحداد مُنكّسات (١)
قامت على (ساق) لغيره	بته وأقعدت الجهات
في مأتم تلقي الطبيب	معة فيه بين النامحات
وترى (نجوم الأرض) من	جزع موأيد كاسفات
والزهر في (أكمامه)	يسكى بدمع الغاديات
حُبست أقاحي الرُبي	والعهد فيها مُومضات (٢)
وشقائق النعمان آ	بت بالحدود مخمشات (٣)
أما مصاب الطبّ فيه	ه فصل به ملاء الأساة (٤)
أودى الحمام بشيخهم	ومآيهم في المعضلات
مُلقي الدروس المسفرا	ت عن الغروس المثيرات
قد كان حرب الظلم حر	ب الجهل حرب الترهات
والمُسْتضاء بنوره	في الخافيات المظلمات
علم الوري في علمه	في الغرب مغترب الرفات

(*) عثمان باشا غالب : كان طبيبا عظيما وعالما بالنبات يشار إليه بالبنان ، توفي في باريس سنة ١٩٢٠ .

(١) التيجان للنبات : هي أكاليل الثمار ، كالأكام .

(٢) الأقاحي : جمع الأقحوان ، ويطلق هنا على النبات أو الزهر ، ولكنه في الأصل علم على نبات بعينه . والرب جمع ربوة ، وهي المكان المرتفع .

(٣) شقائق : جمع شقيقة ، وهي الموضع ينبت الأعشاب . وشقائق النعمان : موضع بعينه كثر فيه النبات المختلف الألوان والسيات ، مر عليه النعمان بن المنذر فأعجبه فقال : هو لي . فلم يعد أحد يسمه . ومن ذلك سمي شقائق النعمان وصار كل موضع ينبت مثل ذلك يقال له شقائق النعمان . والحدود في شقائق النعمان يقصد بها الورود . وتخميشها ، يعني إطحها أو قطعها .

(٤) الملاء : الجماعة من الناس . والأساة جمع آسى ، وهو الطبيب .

قد كان فيه محلّ إجلالٍ الجهابذة الثقات
ومثّل المصريّ في حظ الشعوب من الهبات
قلّ للريب إليك لا تأخذُ على الحزّ الهنات
إنّ النوابيع (أهل بد (ر) ما لهم من سيئات (١)
هم في علا الوطنِ الأداة ؤ فلا تحطّ من الأداة
وهم الالى جمعوا الضما ثر والعزائم من شتات
لهم السّجّلة في الحيا ؤ وفوق ذلك في الممات
(عثمان) فم تر آية الله أحياء (الموميات)
خرجت بنين من الدّرى وتحركت منه بنات
واسمع بمصر الهاتفين بمجدها والهاتفات
والطالبين لحقها بين السكينة والشّبات
والجاعليها قبلة عند التّرتيم والصلاة (٢)
لاقوا أبوتهم على غرّ المناقب والصفات
حتى الشباب تراهم غلبوا الشيوخ على الأناة
وزنوا الرجال فكان ما أعطوا على قدر الزّنات (٣)
قلّ للبالغين في الحقّا ثق حاضرٍ منها وآت
الفكرُ جاء رسوله وأتى يا حدى المعجزات
عيسى الشعور إذا مشى ردّ الشعوب إلى الحياة

- (١) أهل بدر : هم أول الغزاة مع محمد صلى الله عليه وسلم ، شبه النوابيع بهم .
ووجه الشبه بينهما هو سبق كل منهما لإحراز أسرى مراتب الصّرف والرفعة . نقول :
وهذا نوع من وجه الشبه لم تر شاعرا فطن إليه قبل شوق حياه الله .
(٢) الترتيم : أحد ضروب العبادة في المسيحية ، كالصلاة عند المسلمين .
(٣) الزنات : جمع زنة (كعدة) وهي المرة من الوزن .

عبد الحى^(*)

طَوَى البساط وَجَفَّتْ الأقداحُ وُغِدَتْ عواطلُ بعدكَ الأفراحُ^(١)
وَأَنْفَضَ نَادٍ بِالشَّامِ وسامراً فى مصرَ أنتَ هَزاره الصِّداحُ^(٢)
وَتَقَوَّضَتْ للفنِّ أطولُ سَرَحَةٍ يُغْدَى إلى أفيائها وُيراحُ^(٣)
والله ما أدرى وأنتَ وحيدُهُ أعلِيه يُسكى أم عليك يُنَاحُ؟
(إِسْحاقُ) ماتَ فلا صَبُوحَ و (مَعبدُ) أودى فليس مع الغُبوقِ فلاحُ^(٤)
مَلِكُ الغِناءِ أَزاله عَن تَحْتِهِ قَدَرُ يُزِيلُ الراسِياتِ مُتاحُ
فى التُّربِ فوقَ (بَنى سَويفٍ) يَتِيمةٌ ومن الجَواهر زَيْفٌ وَصِباحُ^(٥)
ما زال تاجُ الفنِّ تَبَهاً بها حَتى اسْتَبَدَّ بها الردى المُجتاحُ
لو تَسْتَطِيعُ كَرامَةً لِمَكانِها مَشَتْ الرِياضُ إِلَيهِ والادواحُ

* *

رُحماكَ (عبد الحى) أُمُّكَ شَيْخَةٌ قَعَدَتْ وَهِيضَ لَها الغدَاةُ جَنَاحُ
كُسِرَتْ عِصاها اليومَ فهِىَ بِلاعِصا وَقَضَى فَتَهاها الأَجودُ المِسامِحُ
اللهُ يَعْلَمُ إِنْ يَكُنْ فى قَلبِها جُرحُ فَنى أَحشاءِ مصرَ جِراحُ

(*) هو المرحوم عبد الحى المغنى ، ذاع صيته فى مصر وجاوزها إلى الأفطار العربية حتى عدَّ وحيد عصره وإمام فنّه . توفى سنة ١٩١٢ م .

(١) طوى البساط : تعبّر يَكْنى به عَن انتهاءِ عَواِملِ السُرورِ .

(٢) الهزار : طائرُ حَسَنِ الصَوْتِ ، وَهُوَ فارِسى ، مَعربٌ عَن هَزارِ دِستانِ .

(٣) السرحة : الشجرة العظيمة . والأفياء : جَمْعُ فاءٍ ، وَهُوَ مِن شَجَرِ الظلِّ والثر

(٤) إسحاق ومعبد : عالمان على مَغْنين . والصُّبوح : الشربُ أَوَّلُ الصِّباحِ . والغُبوق

الشرب بالعشى .

(٥) دَفنُ الفَقيدِ فى بَنى سَويفٍ وَهى بَلَدَةٌ مَشهُورَةٌ بِالقَطْرِ المِصرى . والجَواهر

الزائفة : هى ضِدُّ الجَواهرِ الصّادِقةِ الصّحِيحةِ .

والناس مَبْكِيٌّ وباك إثره
كان الندامى إن شدرت وعاقروا
فما تقول مُغْنِيًّا ومُحَدِّثًا
فارتَ دنيا أرهقتك خسارةً
يا مُخْلِفًا للوعد وعدُّك ماله
عبثت به وبك المنية وانقضى
لما بلغنا بالاحبة والمنى
زعموا نعيمك فى الجامع مازحا
الجدُّ غايه كلِّ لاهٍ لاعِبٍ
رمت المنايا إذ رميتك بلبلا
آهاته حرقُ الغرام ولفظه
وذبح حنجره على أوتارها
وفلن من ذاك اللسان حديده
وأبجن راحتك البلى ولطالما
روحٌ تناهت خفةً فتخيرت
قم غن ولدان الجنان وحورها
وبكا الشعوب إذ النوايغ طاحوا
سيان صوتك بينهم والراح^(١)
تتنافس الاسماع والارواح^(٢)
وغنمت قرب الله وهو رباح
عندى ولا لك فى الضمير براح
سببٌ إليه بأنسنا ترتاح
باب السرور تغيب المفتاح
هيات فى ربِّ العنون مزاح
عند المنية يجزع المفراح^(٣)
أرداه فى شرك الحياة جماح
سجعُ الحمام لو آهين فصاح
توسى الجراح وتذبح الاتراح
يخشى لئيم بأسها ووقاح
أسمى عليها المال وهو مباح
نُزلا تقاصرُ دونه الاشباح
وأبعث صداك فكلنا أرواح

(١) الندامى : جمع نديم . وعاقروا : من المعاقرة ، وهى شرب الراح . والراح : الخمر يشبه صوته بالخر لأن كليهما مسكر .

(٢) يقول : إن حديثه كان مثل غنائه . والمأثور عن عبد الحى أنه كان فكه الحديث بارع النكتة .

(٣) المفراح : كثير الفرح .

محمد ثابت باشا(*)

سِرُّ أبا صالح إلى الله وأترك مصرَ في مأتمٍ وحُزنٍ شديدٍ
هذه غايَةُ النفوسِ وهذا مُنتهى العيشِ مُرَّه والرغيد
هل تَرى الناسَ في طريقك إلا نعشَ كَهْلٍ تلاه نعشٌ وليد
إنَّ أوهى الخيوطِ فيما بدا لي خيوطُ عيشٍ معَلَّقٍ بالوريد^(١)
مُضغَّةٌ بين خَفَقَةِ وسكونٍ ودُمٌّ بين جَرِيَةٍ وجمود
أنزلوا في الثرى الوزيرَ وواروا فيه تسعين حِجَّةً في صعود
كنت فيها على يدٍ من حريرٍ لَلَّيالي فأصبحت من حديد^(٢)
قد بلوناك في الرياسة حيناً فبلونا الوزيرَ عبد الحميد^(٣)
أخذنا من لسان فارسٍ قسْطاً وافرَ القسم من لسان لبيد^(٤)
في ظلال الملوكة تُدنى إليهم كلَّ آوٍ لظلك الممدود
لست من مَرٍّ بالمعالم مرّاً إنما أنت دولة في فقيد
فمُ حُدِّثَ عن السنين الخوالى وفتوح المملُكين الصَّيد^(٥)

(*) هو أحد باشوات مصر الكبار . عاصر أكثر ولاء مصر من الأسرة العلوية ، وتوفي سنة ١٩٠١ بعد أن عمر حوالى تسعين عاما .

(١) الوريد : شريان - بكسر الشين - ، وهو عرق رئيسى فى جسم الإنسان . يشبه العروق فى جسم الإنسان بالخيوط ليتوصل بذلك إلى إثبات ضرورة الضعف فى الحياة وعدم بقائها .

(٢) يد من حرير ، كناية عن رفاهية العيش .

(٣) بلوناك فى الرياسة : أى اختبرناك . والوزير عبد الحميد هو عبد الحميد الكاتب المشهور

(٤) القسم : هو العطاء أو الحظ . ولبيد : شاعر عربى قديم . والغرض أن المرثى كان

ملمسا بالقارسية والعربية .

(٥) الصيد : جمع أصيد ، وهو العزير الجانب .

محمد فريد بك (*)

- كُلُّ حَيٍّ عَلَى الْمَيِّتَةِ غَادَى تَتَوَالَى الرِّكَابُ وَالْمَوْتُ حَادَى (١)
 ذَهَبَ الْاقُولُونَ قَرْنًا فَقَرْنًا لَمْ يَدُمْ حَاضِرٌ وَلَمْ يَبْقَ بَادَى (٢)
 هَلْ تَرَى مِنْهُمْ وَتَسْمَعُ عَنْهُمْ غَيْرَ بَاقٍ مَآثِرٍ وَأَيَادَى (٣)
 كُرَّةُ الْأَرْضِ كَمْ رَمَتْ صَوْلَجَانَا وَطَوَتْ مِنْ مَلَاعِبٍ وَجِيَادَا
 وَالْغُبَارُ الَّتِي عَلَى صَفْحَتَيْهَا دَوْرَانُ الرَّحَى عَلَى الْأَجْسَادِ (٤)
 كُلُّ قَبْرِ مِنْ جَانِبِ الْفَقْرِ يَسِدُو عِلْمُ الْحَقِّ أَوْ مَنَارُ الْمَعَادِ
 وَزِمَامُ الرِّكَابِ مِنْ كُلِّ قَبَجٍ وَتَحْطُّ الرِّحَالُ مِنْ كُلِّ وَادَى
 تَطْلُعُ الشَّمْسُ حَيْثُ تَطْلُعُ نَضْجَا وَتُنْجَى كَمِنْجَلِ الْخَصَادِ (٥)
 تِلْكَ حَمَرَاءُ فِي السَّمَاءِ وَهَذَا أَعْوَجُ النَّصْلِ مِنْ مِرَاسِ الْجِلَادِ
 لَيْتَ شَعْرَى تَعَمَّدَا وَأَصْرَا أَمْ أَعَانَا جَنَایَةَ الْمِيْلَادِ
 كَذَبَ (الْأَزْهَرَانِ) مَا الْأَمْرُ إِلَّا قَدَرٌ رَاحَتْ بِمَا شَاءَ غَادَى (٦)

(*) محمد بك فريد : الرئيس الثاني للحزب الوطنى ، هو الضحية الغالية للوطنية المصرية فقد ورث عن والده ثروة طائلة جدا بذلها إلى آخر درهم في سبيل طلب الاستقلال لمصر والسودان ، وظل يجاهد إلى أن مات معذرا فقيرا في سنة ١٩٢٠ محكوما عليه بالنفى والتشريد حيث لم يسمح له بالعودة إلى وطنه إلا ميتا .
 (١) الحادى : هو الذى يفنى للقافلة فتندشط في مسيرها .
 (٢) الحاضر : ساكن الحضر . والبادى : ساكن البادية .
 (٣) الأيادى : جمع يد . ويقصد باليد ، العطية أو الصنيعة ، ولا تجمع اليد على أيادى إلا بهذا المعنى فإذا أريد جمع اليد الحقيقية قيل : أيدي .
 (٤) المفهوم من المقام أن الرحى المقصودة هى رحى المنون ، فاكنتي بتعريفها بأل . كأنه يقول : الرحى المهدودة .
 (٥) قوله : وتنجى كمنجل الخصاد ، أى هلالا شكته كمنجل في اعوجاجه .
 (٦) الأزهران : الشمس والقمر .

- يا حَمَامًا تَرْتَمَتْ مُسْعِدَاتٍ وَبِهَا فَاكَّةٌ إِلَى الْإِسْمَادِ (١)
 ضَاقَ عَنْ مُنْكَلِهَا الْبُكَاءُ فَتَغَنَّتْ رَبَّ ثَمَلٍ سَمِعَتْهُ مِنْ شَادَى (٢)
 الْإِنَاءَةُ الْإِنَاءَةُ كُلُّ أَلْفٍ سَابِقُ الْإِلَافِ أَوْ مُلَاقٍ أَنْفَرَادِ
 هَلْ رَجَعْتُنَّ فِي الْحَيَاةِ لِفَهْمٍ إِنَّ فَهْمَ الْأُمُورِ نِصْفُ السَّدَادِ
 سَقَمْتُ مِنْ سَلَامَةٍ وَعِزَاءٍ مِنْ هِنَاءٍ وَفُرْقَةٍ مِنْ وَدَادِ
 يُجْتَنَى شَهْدُهَا عَلَى إِبْرِ النَحْدِ لَئِنْ وَبِئْسَى لَوْرَدُهَا فِي الْقَتَادِ (٣)
 وَعَلَى نَائِمٍ وَسَهْرَانٍ فِيهَا أَجَلٌ لَا يَنَامُ بِالْمِرْصَادِ
 (لُبْدٌ) صَادَهُ الرَّدَى وَأَظَنَّ النَّسْرُ مِنْ سَهْمِهِ عَلَى مِيعَادِ (٤)
 سَافَةُ النِّعَشِ بِالرَّئِيسِ رُؤِيدًا وَكَبُّ الْمَوْتِ مَوْضِعُ الْإِثْنَادِ (٥)
 كُلُّ أَعْوَادٍ مِنْبِرٍ وَسَرِيرٍ بَاطِلٌ غَيْرُ هَذِهِ الْأَعْوَادِ
 تَسْتَرْجِحُ الْمَطَى يَوْمًا وَهَذِي تَنْقُلُ الْعَالَمِينَ مِنْ عَهْدٍ عَادِ
 لَا وَرَاءَ الْجِيَادِ زِيدَتْ جَلَالًا مِنْذُ كَانَتْ وَلَا عَلَى الْأَجْيَادِ
 أَسَأَلْتُمْ حَقِيقَةَ الْمَوْتِ مَاذَا تَحْتَهَا مِنْ ذَخِيرَةٍ وَعَتَادِ
 إِنَّ فِي طَيْهَا إِمَامَ صُفُوفٍ وَحَوَارِيَّ نِيَّةٍ وَاعْتِنَادِ (٦)
 لَوْ تَرَكْتُمْ لَهَا الزَّمَامَ لَجَامَتْ وَحَدَّهَا بِالشَّهِيدِ دَارَ الرَّشَادِ

(١) الإسماعاد : الإغاة . تقول : أسعدني على كذا ، أى أعنى عليه .

(٢) الشكل هنا : بمعنى الحزن . والشادى : المنفى .

(٣) القناد : شجر صلب له شوك كالإبرة .

(٤) لبدي - بضم اللام وفتح الباء - : علم على آخر نصور لقمان . زعموا أن لقمان هذا عاش عمر سبعة أنسر كان آخرهم النسر المسمى : لبدي . أما قوله « وأظن النسر » فليس المقصود الطائر المعروف بالنسر ، وإنما يقصد أحد الكواكب في السماء معروفًا باسم النسر . يقول : إن لكل كائن سهم من المنية مقدور .

(٥) سافة الجيش أو سافة النعش هم السائرون في المقدمة . والاثناد بمعنى الترفق والتهمل

(٦) الحواري : مفرد الحواريين ، وهم الصفوة المختارة من الصحاب .

- (١) أنظروا هل ترون في الجمع مصرا حاسرا قد تجللت بسواد
تاج أحرارها غلاما وكهلا راعها أن تراه في الاصفا
وسدوه التراب نضو سفار في سبيل الحقوق نضو سهاد (١)
وأركزوه إلى القيامة رُحما كان للحشد والنسدى والطراد
وأوروه في الصفائح عضبا لم يدن بالقرار في الاغساد
نارح الدار أقصر اليوم بين وانتهت محنة وكفت عوادي (٢)
وكفى الموت ما تخاف وترجو وشقى من أصادق وأعادي
من دنا أو نأى فإن المنايا غاية القرب أو قصارى البعاد
سر مع العمر حيث شئت تقوبا وأفقد العمر لا تؤب من رقاد
ذلك الحق لا الذى زعموه فى قديم من الحديث معاد
وجرى لفظه على السن النسا س ومغناه فى صدور الصعاد (٣)
يتحلى به القسوى ولكن كتحلّى القتال باسم الجهاد
هل ترى كالتراب أحسن عدلا وقياما على حقوق العباد؟ (٤)
نزل الأقوياء فيه على الضع بنى وحلّ الملوكة بالزهاد
صفحات نقيّة كقلوب الشر سئل مغسولة من الاحقاد
فم إن أسطعت من سريرك وأنظر سِرّ ذاك اللواء فى الاجناد

(١) النضو : المهزول الجسم .

(٢) عوادى الدهر : عوائقه .

(٣) الصعاد : الرماح .

(٤) يقول : إنه لم يجد الحق خالصا فى هذه الأرض إلا للقوة ، ولم يجد العدل كاملا

إلا فى التراب حيث يسوى الأقوياء بالضعفاء والطامعين بالفقانيين .

- هل تراهم وأنت موفٍ عليهم غير بُنيان ألفية واتّحاد (١)
أمة هُيئت وقومٌ لخير الدهر أو شرّه على استعداد
مصرُ تبكى عليك في كلّ خديرٍ وتصوغُ الرثاء في كلّ نادى
لو تأملتَها لراعك منها غرة البرّ في سوادِ الحِداد
منتهى ما به البلاد تُعرى رُجلٌ مات في سبيل البلاد
أُمّهات لا تحمِلُ الشكّل إلا للنجيب الجرىء في الأولاد
(كفريد) وأين ثاني فريد أى ثابٍ لواحدٍ الآحاد
الرئيس الجواد فيما علينا وبلونا وابن الرئيس الجواد
أكلت ماله الحقوق وأبلى جسمه عائدٌ من الهمّ عادى
لك في ذلك الضنى رقة الرؤح وخفق الفؤاد في العواد
علة لم تصل فراشك حتى وطئت في القلوب والاكباد
صادفت قرحة يلائمها الصبر وتابى عليه غير الفساد
وعَدَ الدهرُ أن يكون ضامداً لك فيها فكان شرّ ضامد
ولذا الرّوح لم تُنفس عن الجسم (فبقراط) نافخٌ في رماد (٢)

(١) يشير هذا البيت إلى حقيقة تاريخية : هي أن عودة الفقيده ميتا كانت في زمن اتحاد الأمة المصرية جميعا على طلب الاستقلال التام ، فلم يكن هناك أحزاب مختلفة المطالب وقتئذ
(٢) بقراط : هو أبو الطب ، كما يقولون ؛

البنون والحياة الدنيا (*)

الضلوعُ تَتَقَدُّ والدموعُ تَطْرُدُ
أُيُّهَا الشَّجِيُّ أَفِقْ من غناء ما تجدُ
قد جَرَّتْ لغايتها عِبْرَةٌ لها أَمَدُ
كلُّ مُسْرِفٍ جَزَعَا أو بُكِّي سَيَقْتَصِدُ
والزمانُ سَتُّهُ في السلوِ يَجْتَهِدُ
قل لثاكِلَيْنِ مَشَى في قِوَاهِمَا الكَمَدُ
لم يُعَافَ قَبْلَكَا والدُّ ولا وَلَدُ
الذين مِيلَ بِهِم في سِفَارِهِم بَعُدُوا
ما عَلِمْتَا أَشْفُوا بالرحيل أم سَعِدُوا
إن منزلاً نَزَلُوا لا يَرُدُّ مَنْ يَرِدُ
كلُّنَا إِلَيْهِ غَدٍ ليس بالبعيد غَدُ

* *

البنون هم دَمْنَا والحياةُ والوردُ (١)
لا تَلَدُ مِثْلَهُمْ مُهْجَةٌ ولا كَيْدُ
يَسْتَوُونَ. واحدُهم في الحَنَانِ والعَدَدُ
زِينَةٌ ومُصْلَحَةٌ واستراحةٌ ودَدُ (٢)

(*) نظام أمير الشعراء هذه القصيدة تعزية للكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل (بك) في فقد وحيدته سنة ١٩٢٥ .
(١) الورد : جمع وريد ، كبريد وبرد .
(٢) الدد - بالفتح - : اللهو واللعب :

فَتَنَةٌ إِذَا صَلَحُوا خِتْمَةٌ إِذَا فَسَدُوا
شَاغِلٌ إِذَا مَرَضُوا فَاجِعٌ إِذَا فُقِدُوا
جُرْحُهُمْ إِذَا انْتَزَعُوا لَا تَلْهُهُ الضُّمُّدُ
الْعَزَاءُ لَيْسَ لَهُ آسِيًّا وَلَا الْجِلْدُ

* * *

قُلْ (لِهَيْكَلٍ) كَلِمًا مِنْ وَرَائِهَا رَشْدٌ
لَمْ يَشُبْ مُهْدَبُهَا بَاطِلٌ وَلَا فَنَدٌ (١)
قَدْ عَجِبْتُ مِنْ قَلَمٍ نَاكِلٍ وَيَنْجَرِدُ
أَنْتَ لَيْتُ مَعْرَكَةٍ وَهُوَ صَارُمٌ قَرْدُ
وَالسَيْوْفُ نَخْوَتُهَا فِي الْوَطَيْسِ تَتَقَدُّ (٢)
أَنْتَ نَاقِذُ أَرْبٍ وَالْأَرْبُ يَلْتَقِدُ
مَا تَقُولُ فِي قَدَرٍ بَعْضُ سِنِّهِ الْآبَدُ
وَهُوَ فِي الْحَيَاةِ عَلَى كُلِّ خُطْوَةٍ رَصْدُ
يَعِثُّ الْإِنَامُ بِهِ إِنْ سَعَوْا وَإِنْ قَعَدُوا
يَنْزِلُ الرِّجَالُ عَلَى حُكْمِهِ وَإِنْ جَعَدُوا
الْقَضَاءُ مُعْضَلَةٌ لَمْ يُحْلَلْهَا أَحَدُ
كَلِمًا نَقَضَتْ لَهَا عُقْدَةً بَدَتْ عُقْدُ
أَتَعَبْتُ مُعَالِجَهَا وَأَسْتَرَا حُ مَعْتَقِدُ

(١) الفند : هو الكذب .

(٢) الوطيس : الحرب .

* *

عَالَمٌ مُدَبَّرُهُ بِالْبَقَاءِ مُنْفَرِدُ
مِنْ بِلَى كَوَائِنِهِ كائِنَاتُهُ الْجُدُدُ
لَا تَقْلُ بِهِ إِدَدُ إِنَّ حُسْنَهُ الْإِدَدُ^(١)
تَلْتَقِي نَقَائِضُهُ غَايَةً وَتَتَّحِدُ
الْفَنَاءُ فِيهِ يَدُ لِلْبَقَاءِ أَوْ عَضْدُ
أَتَنَلَّافُهُ رَشَدُ وَأَخْتَلَّافُهُ سَدَدُ
جَدٌّ فِي عِمَارَتِهِ مُنْصِيفٌ وَمُضْطَهَّدُ
وَالْغَى لِحُدُومَتِهِ كَالْفَقِيرِ مُحْتَشِدُ
وَهُوَ فِي أَعْيَنَتِهِ مُعْجَنٌ وَمَطَّردُ
وَالْحَيَاةُ حَنْظَلَةٌ فِي حُرُوفِهَا شُهْدُ
هَيْكَلُ الشَّمَاءِ لَهُ مِنْ مَدَامِعِ عَمَدُ
قَامَتِ النُّعُوشُ عَلَى جَانِبَيْهِ وَالْوُسْدُ
عُرْسُهُ وَمَأْتَمُهُ غَايَتَاهُمَا نَفَرُ

(١) الإدد : جمع لادة ، بالكسر ، وهي الداهية .

ثروت باشا(*)

يموت في الغاب أو في غيره الأسد كل البلاد ويساد حين تنسِدُ (١)
قد غَيَّبَ الغربُ شمسًا لاسقام بها كانت على جنباتِ الشرق تنقِدُ
حدا بها الاجلُ المحتومُ فاعتربتْ إن النفوس إلى آجالها تَفِدُ
كلُّ اغترابٍ متاعٌ في الحياة سوى يومٍ يُفارقُ فيه المَهْجَةُ الجَسَدُ

نعى الغمام إلى الوادى وساكنه برقٌ تمايلَ منه السهلُ والجلد
برقُ الفجيعَةِ لما نارُ نأثره كادت كأمس له الاحزابُ تتحد
قام الرجالُ حيارى مُنصتين له حتى إذا هدّ من آمالمهم قعدوا
علا الصعيدَ نهائرُ كلّه شَجَنُ وجللَ الريفَ ليلُ كلّه سُهدُ
لم يُبقِ للضاحكين الموتُ ما وجدوا ولم يَرَدَّ على الباكين ما فقدوا
وراء ريبِ الليالى أو فُجاءَتِها دمعُ لكل شمتٍ ضاحكٍ رَصَدُ (٢)

باتت على الفلّك في التَّابُوتِ جَوْهَرَةٌ تكادُ بالليل في ظلِّ البلى تَقِدُ (٣)
يُفاخِرُ النيلُ أصدافَ الخليج بها وما يدبُّ إلى البحرين أو يَرِدُ (٤)

(*) هو المغفور له عبد الخالق ثروت باشا ، كان زعيما وطنيا عظيما وسياسيا إداريا خطيرا ، تولى رئاسة الحكم في البلاد أكثر من مرة وظفر من السياسة الانجليزية لمصر بتصرّح ٢٨ فبراير . وقد سافر إلى أوروبا لبعض المفاوضات السياسية المتممة لاستقلال مصر فلم يمهله الموت ، قضى بفرنسا في سنة ١٩٢٨ وجرى به ميتا . وكان بينه وبين أمير الشعراء صداقة حميمة ومودة قديمة ظهر أثرها في هذه المراثية التي تقرأها فتحس رجوعها يعود إليك من أعماق الخلود .

(١) هذا المطلع يشير إلى موته بفرنسا .

(٢) رصد : بمعنى مترقب .

(٣) يشير إلى مجيئه من أوروبا في نعرش على الباخرة . وتقْدُ : تضيء .

(٤) يريد بالخليج : الخليج الفارسي . وبالبحرين : أنهر بعينها حيث يكثر فيها اللؤلؤ ويصاد منها .

إنّ الجواهر أسناها وأكرمها ما يقذف المهد لا ما يقذف الزبد
حتى إذا بلغ الفلك المدى انحدرت كأنها في الاكف الصارم الفرد
تلك البقية من سيف الحمى كسر قد ضمها فزكا نعش يطاف به
مشّت على جانبيه مصر تنشدّه كما تدهلت الشكلى وتفتقد (١)
وقد يموت كثير لا تحسهم كأنهم من هوان الخطب ما وجدوا
تُكل البلاد له عقل ، ونكبها هي النجاة في الأولاد لا العدد

* * *
مُكلّ الهام بالتصريح ليس له عُود من الهام يحويه ولا نضد (٣)
وصاحب الفضل في الأعناق ليس له من الصنائع أو أعناقهم سند
خلا من المدفع الجبار مركبه وحلّ فيه الهدى والرفق والرشد
إنّ المدافع لم تخلق لصحبها جند السلام ولا قواده المُجد

* * *
يا باني الصرح لم يشغله مُتدخّ عن البناء ولم يصرفه مُنتقد
أصمّ عن غضب من حوله ورضى في ثورة تلي الأبطال أو تبتد (٤)

(١) القصد - بكسر القاف - : جمع قصدة - بكسرها أيضا ، وهي القطعة مما يكسر ، ويقال : رخ قصد ، بكسر الصاد : أى منكسر .

(٢) التبدل : ذهاب الفؤاد من عشق أو حزن ونحوهما . وقوله « تفتقد » من قولهم : وفي الآلة الظلام يفتقد البدر .

(٣) المود هنا : هو السرير . والنضد - محرّكة الضاد - : مانض من متاع . والسرير ينضد عليه . كأنه يعجب لمن كلل هجمات مصر بمجيئه لها بهذا الفوز السياسي في تصريح ٢٨ فبراير كيف لا يحويه ميتا سرير متخذ من الهام أو منضد بها ، حتى يكون الجزاء من جنس العمل . ومن هذا النحو يقول البيت التالى « وصاحب الفضل في الأعناق ... الخ » .

(٤) يريد بالثورة : ثورة مصر سنة ١٩١٩ . والوَأْد : دفن الأحياء . يريد أنه كان يعمل في بناء صرح الوطن بدون رغبة في مدح أو خوف من ذم في شجاعة لا تخاف الثورة ، وهي لا عقل لها .

تصريحك الخطوة الكبرى ومرحلة
الحق والقوة ارتدا إلى حكم
لولا سفارتك المهدية اختصا
ما زلت تطرق باب الصلح بينهما
وجدتها فرصة تلقى الحبال لها
طلبها عند هوج الحادثات كما
لما وجدت معدّات البناء بذت
بنيت صرحك من جهد البلاد كما
فيه ضحايا من الأبناء قيمة
وفي أواسيه أفلام مجاهدة
وفيه ألوية عزّ الجهاد بهم
رميت في وتد الذلّ القديم به
طوى حمايته المحتلّ وانبسطت
تم غير بالك على ما شدت من كرم
يا (ثروة) الوطن الغالي كفى عظة
لم يطغيك الحكم في شتى مظاهره
تعدو على الله والتاريخ في ثقة
نشأت في جبهة الدنيا وفي فيها

يدنو على مثلها أو يبعد الأمد
من الفيصل ، ما في دينه أود
وملّ طول النضال الذئب والنقد^(١)
حتى تفتحت الأبواب والسدد
إن السياسة فيها الصيد والطرْد^(٢)
يمشى إلى الصيد تحت العاصف الأسد
يداك للقوم ما ذموا وما حمّدوا
تبنى من الصخر الأساس والعُمد
وفيه سعى من الآباء مُطرد
على أسنمتها الإحسان والسدد^(٣)
لولا المنية ما مالوا ولا رقدوا
حتى تزعزع من أسبابه الود
حماية الله فاستدري بها البلد
ما شيد للحق فهو السرمد الأبدي
للناس أنك كنز في الثرى بدد^(٤)
ولا استخفك لين العيش والرغد
ترجو فتقديم أو تخشى فتتبد
يدور حيث تدور المجد والحسد

(١) النقد : جنس من الغنم قببح الشكل ، من الهزال أو غيره .

(٢) الطرد : مطاردة الصيد .

(٣) الأواشي : جمع أسية ، وهي من البناء : المحكم الدعامة . والسدد : بمعنى السداد ،

أي الصواب (٤) البدد : المتفرق .

لكلِّ يوم غُدٍّ يمضي برَوْعَتِهِ وما ليومك ياخيرَ اللّٰدات غُدٌّ
 رمتك في قنّواتِ القلبِ فانصدعت مَنِيَّةٌ ما لها قلبٌ ولا كَيْدٌ
 لما أناختَ على تأمورك انفجرت أركى من الورْدِ أو من مائه الورْدُ (١)
 ما كلُّ قلبٍ غدا أو راح في دمه فيه الصديق وفيه الأهلُ والولد
 ولم تُطاولك خوفاً أو يُناضلها منك الدهاءُ ورأى مُنْقِذُ نَجْدٍ
 فهل رَئى الموتُ للبرِّ الذَّبِيحَ وهل شبَّاه ذاك الحنانُ الساكنُ الهَمْدِ؟
 هياتِ! لو وُجِدَتْ للموتِ عاطفةٌ لم يَبِكْ من آدم أحباؤه أحدٌ
 مشت تذودُ المنايا عن وديعتها مدينةُ النورِ فارتدتْ بها رمدُ (٢)
 لو يُدْفَعُ الموتُ ردتْ عنك عاديه للعلمِ حولك عَيْنٌ لم تَمُوتْ ويدُ

* *

«أبا عزيز، سلام الله، لارسلُ إليك تحملُ تسليمي ولا بُردُ (٣)
 ونفحةٌ من قوافي الشعرِ كنتَ لها في مجلسِ الرّاحِ والريحانِ تختشدُ
 أرسلتها وبعثتُ الدمعَ يَكْنُفُها كما تحدرُ حولَ السَّوسَنِ البرْدُ (٤)
 عطفْتُ فيك إلى الماضي وراجعتُ وُدُّ من الصَّغَرِ المعسولِ مُنْعِقِدُ
 صافي على الدهرِ لم تُفْقِرْ خَلِيَّتُهُ ولا تغيّرُ في أبياتها الشُّهْرُ
 حتى لمحتك مرموقَ الهلالِ على حدائِةٍ لَعْدُ الأوطانِ ما تَعْدُ
 والشعرُ دمعٌ ووجدانٌ وعاطفةٌ ياليت شعري هل قلتُ الذي أجدُ؟ (٥)

(١) التامور: القلب. والورد: جمع وريد، العرق في الجسم.

(٢) مدينة النور: تطلق في هذا العصر على باريس.

(٣) البرد: جمع بريد.

(٤) السوسن: نوع من الزهر. والبرد: هو ما يتساقط من المطر كحبات الثلج.

(٥) أي هل قلت الذي يجيش في وجداني؟

عبد العزيز جاویش (*)

أصاب المجاهدُ عُقبى الشهيد وألقى عصاه المضافُ الشريد
وأمسى جمادًا عدوُّ الجود وبات على القيد خصمُ القيود
حداه السَّفار إلى منزلٍ يُلاقى الخفيفَ عليه الوئيد
فقرَّ إلى موعدٍ صادقٍ معزَّ اليقين مذل الجحود
وبات الحواريُّ من صاحبيه شهيدَين أسرى إليهم شهيد
تسرَّب في منكبِي (مصطفى) كأمسٍ وبين ذراعِي (فريد) (١)
فيالك قبرا أكنَّ الكنوزَ وساجَ الحقوق وحاطَ العهود
لقد غيَّبوا فيك أمضى السيوفِ فهل أنت يا قبرُ أوفى العُمود
ثلاثُ عقائدٍ في حفرةٍ تدكُّ الجبال وتوهي الحديد
قعدن فكنَّ الأساسَ المتين وقام عليها البناءُ المشيد
فلا تنسِ أمسٍ وآلاه ألا إن أمسٍ أساسُ الوجود (٢)
ولولا البلى في زوايا القبور لما ظهرت جدَّةُ للهود
ومن طلب الخلق من كنزه فإنَّ العقيدةَ كنزٌ عتيد
تعلم بالصبر أو بالتَّبات جليدُ الرجال وغيرُ الجليد

(*) هو الشيخ عبد العزيز جاویش أحد السابقين الأولين في خدمة القضية المصرية .
كان زعيما سياسيا دينيا عظيما ، وقد كرس حياته لخدمة سياسة بلاد الإسلام عامة ومصر
وتركيا خاصة ، ثم حكم عليه بالنفي والتشريد مدة طويلة ، ثم عاد إلى مصر ولم يلبث إلا
بضع سنين ، ومات في سنة ١٩٢٩ ، وله وسائل سياسية كانت مضرب المثل في الفصاحة
والقوة في وقتها .

(١) هو مصطفى كامل الزعيم الوطني الأول ، وفريد ، هو محمد فريد الزعيم الوطني
الثاني ، وكانا صاحبي القيد في المبدأ والجهاد .
(٢) الآلاء : النعم .



طريد السياسة منذ الشباب لقد آن أن يستريح الطريد
لقيت الدواهي من كيدها وما كالسياسة داهٍ يكيد (١)
حملت على النفس مالا يطا قُوجاوزت المستطاع الجهود
وقلّبت في النار مثل النضا روغرّبت مثل الجمان الفريد
أذكرك إذ أنت تحت (اللواء) نبيه المسكينة جهم العديد (٢)
إذا ما طلعت في الشاطئين رنا الرّيف وافتن فيك الصعيد
وهزّ البدئ لك المنكبين وراح الثرى من زحام يمد
رسائل تُذرى بسجع البديع وتنفى رسائل عبد الحميد
يعمها شيوخ الحى كالحديث ويحفظها النشء حفظ النشيد
فما بالها نكرتها الامور وطول المدى وانتقال الجدود (٣)
لقد نسي القوم أمس القريب فهل لاحاديه من مُعيد
يقولون ما (لابي ناصر) وللترك ما شأنه والهنود ؟
وفيم تحمل هم القريب من المسلمين وهم البعيد
فقلت وما ضرّكم أن يقوم من المسلمين إمام رشيد
أستكثرون لهم واحدا ولي القديم نصير الجديد
سعى ليؤلف بين القلوب فلم يعد هدى الكتاب الحميد
يشتد عرا الدين في داره ويدعو إلى الله أهل الجحود
وللقوم حتى وراء الففار دُعاة تُغنى ورُسل تشيد

(١) الداهى : هو الذى يأتى بالداهية ، وهى الأمر العظيم .

(٢) كان الفقيه محرر جريدة اللواء فى عهدها الأول .

(٣) الجدود هنا ، بمعنى الحظوظ .



- جزى الله ملكاً من المحسنين رؤوف الفؤاد رحيم الوريد (١)
 كأنَّ البيانَ بأيَّامه أو العلمَ تحتَ ظلال (الرشيد) (٢)
 يُداوى نَداهَ جراحَ الكرام ويُدرِكُهم في زوايا اللُّحود
 أجارَ عِيالَكَ من دهرهم وجامَلهم في البلاءِ الشديد
 تولَّى الوليدةَ في يُتمها وكفَّكَفَ بالعطفِ دمعَ الوليد



- سلام (أبا ناصر) في التراب يعير الترابَ رفيفَ الورود
 بُعدتَ وعزَّ إليكَ البريدُ وهل بينَ حيٍّ وميتٍ بريد
 أجلُ بيننا رُسُلُ الذِّكريات وماضٍ يُطيفُ ودمعٌ يجود
 وفكرٌ وإن عَقَلَتَه الحياةُ يظلُّ بوادي المنايا يَرود (٣)
 أجلُ بيننا الخُشبُ الدائباتُ وإن كان راكِبُها لا يعود
 مضى الدهرُ وهى وراءَ الدُموعِ قيامٌ بملكِ الصَّحارى قُعود
 وكَم حملتَ من صديدٍ يَسيل وكَم وَضَعْتَ من حِناشٍ ودود
 نشدُكَ بالموتِ إلَّا أبَدتَ أنتَ شقِيٌّ به أم سعيد ؟
 وكيف يسمي الغريبُ امرؤ نزيلَ الآبوةِ ضيفَ الجدود (٤)
 وكيف يُقالُ لجارِ الأوائِلِ جارُ الأواخرِ ناهٍ وحيد

(١) هو جلالة فؤاد الأول ملك مصر حيث تعطف على أبناء الفقيده ولم يتركهم بعد وفاة أبيهم لتصاريف الزمن ، فأنعم عليهم بهبة ملكية وافرة .
 (٢) هو هارون الرشيد ، وقد اعتر العلم والأدب في عهده اعتراضا كبيرا .
 (٣) يرود : أى يبحث ويكتشف .
 (٤) يقول : إن المبيت ينزل في التراب ضيفا على آبائه وجدوده . إذن فليس يصح أن نعتبه غريبا ولا وحيدا .

تعزية ورثاء(*)

- كأسٌ من الدنيا تُدارُ مَنْ ذاقَهَا خَلَعَ العِذارُ (١)
 الليلُ قَوَّامٌ بها فإذا وَتَّى قامَ النهارُ
 وحبا بها الأعمار لم تَدُمُ الطوالُ ولا القِصارُ
 شَرِبَ الصَّبِيُّ بها ولم يَخُلُ المعمرُ من خمار
 وحسا الكرامُ سُلِّفَها وتناولَ الهَمَلُ العُقارُ (٢)
 وأصاب منها ذو الهوى ما قد أصاب أخو الوقارُ
 ولقد تَمِيلُ على الجِبا دوتَصَرَّعَ الفَلَكُ المِدارُ
 كأسُ المِنيَةِ في يَدِ عَسْراءَ ما منها فِرارُ (٣)
 تجرى اليمِينُ فَمَنْ تَوَلَّى يَسْرَةً جرت اليَسَارُ
 أودى الجرى إذا جرى والمُسْتَمِيتُ إذا أغار
 ليثُ المعامِرِ والوقا نِيعَ والمواقعِ والحِصارِ
 وبقيةُ الزُمرِ التي كانت تَدُودُ عن الذِّمارِ
 جُنْدُ الخِلافةِ عَسْكرُ السُّلطانِ حاميةُ الدِّيارِ
 ضاقت (كريد) جِباها بك يا (خلوصي) والقِفارِ

(*) وجه هذه التعزية إلى صديقه حامد بك خلوصي حين مات والده المرحوم الميرلاي مصطفى بك خلوصي ، وقد كان من الضباط الكرام الذين مجدوا في قمع الثورة في الجزيرة (كريد) أيام كانت تابعة للدولة العثمانية .

(١) العذار : الحياء والوقار .

(٢) السلاف والعقار : من أسماء الحجر ، يقال : حسا فلان الماء ، إذا شربه شيئا

بعد شئ .

(٣) يقال للرجل أعسر ، إذا عمل بيده الشمال . والعرب تصف ما ليس محبوبا بالأعسر إذا كان مذكرا ، وبالعسراء إذا كان مؤنثا ، فبد المنيّة عسراء ؛ لأنها كذلك .

أَيَاكُمْ فِيهَا وَإِنْ طَالَ الْمَدَى ذَاتُ اشْتِهَارِ
عَلِمَ الْعَدُوُّ بِأَنْكُمْ أَنْتُمْ لِمَعْصِمِهَا سِوَارِ
أَحَدَقْتُمْ بِمَقَرِّهِ فَتَرَكْتُمُوهُ بِلَا قَرَارِ
حَتَّى اهْتَدَى مَنْ كَانَ ضَلَّ وَثَابَ مَنْ قَدْ كَانَ ثَارِ
وَاعْتَزَّ رَكْنٌ لِلْوَلَا يَهُ كَانَ مُنْقَضَ الْجِدَارِ

* * *

عِشْ لِلْعُلَا وَالْمَجْدِ يَا خَيْرَ الْبَنِينَ وَلِلْفَخَارِ
أَبْكِي لِدَمْعِكَ جَارِيَا وَلِدَمْعِ إِخْوَتِكَ الصَّغَارِ
وَأَوَدَ أَنْكُمْ رَجَا لَمْ يَمْثِلْ وَالِدُكُمْ كِبَارِ
وَأُرِيدَ بَيْتَكُمْ عَمَّا رَا لَا يَحَاكِيه عَمَارِ
لَا تَخْرُجَ النَّعْمَاءُ مِنْهُ وَلَا يُزَايِلُهُ الْيَسَارِ

١٧١٤ هـ ...
١٧١٥ هـ ...
١٧١٦ هـ ...
١٧١٧ هـ ...
١٧١٨ هـ ...
١٧١٩ هـ ...
١٧٢٠ هـ ...
١٧٢١ هـ ...
١٧٢٢ هـ ...
١٧٢٣ هـ ...
١٧٢٤ هـ ...
١٧٢٥ هـ ...
١٧٢٦ هـ ...
١٧٢٧ هـ ...
١٧٢٨ هـ ...
١٧٢٩ هـ ...
١٧٣٠ هـ ...
١٧٣١ هـ ...
١٧٣٢ هـ ...
١٧٣٣ هـ ...
١٧٣٤ هـ ...
١٧٣٥ هـ ...
١٧٣٦ هـ ...
١٧٣٧ هـ ...
١٧٣٨ هـ ...
١٧٣٩ هـ ...
١٧٤٠ هـ ...
١٧٤١ هـ ...
١٧٤٢ هـ ...
١٧٤٣ هـ ...
١٧٤٤ هـ ...
١٧٤٥ هـ ...
١٧٤٦ هـ ...
١٧٤٧ هـ ...
١٧٤٨ هـ ...
١٧٤٩ هـ ...
١٧٥٠ هـ ...
١٧٥١ هـ ...
١٧٥٢ هـ ...
١٧٥٣ هـ ...
١٧٥٤ هـ ...
١٧٥٥ هـ ...
١٧٥٦ هـ ...
١٧٥٧ هـ ...
١٧٥٨ هـ ...
١٧٥٩ هـ ...
١٧٦٠ هـ ...
١٧٦١ هـ ...
١٧٦٢ هـ ...
١٧٦٣ هـ ...
١٧٦٤ هـ ...
١٧٦٥ هـ ...
١٧٦٦ هـ ...
١٧٦٧ هـ ...
١٧٦٨ هـ ...
١٧٦٩ هـ ...
١٧٧٠ هـ ...
١٧٧١ هـ ...
١٧٧٢ هـ ...
١٧٧٣ هـ ...
١٧٧٤ هـ ...
١٧٧٥ هـ ...
١٧٧٦ هـ ...
١٧٧٧ هـ ...
١٧٧٨ هـ ...
١٧٧٩ هـ ...
١٧٨٠ هـ ...
١٧٨١ هـ ...
١٧٨٢ هـ ...
١٧٨٣ هـ ...
١٧٨٤ هـ ...
١٧٨٥ هـ ...
١٧٨٦ هـ ...
١٧٨٧ هـ ...
١٧٨٨ هـ ...
١٧٨٩ هـ ...
١٧٩٠ هـ ...
١٧٩١ هـ ...
١٧٩٢ هـ ...
١٧٩٣ هـ ...
١٧٩٤ هـ ...
١٧٩٥ هـ ...
١٧٩٦ هـ ...
١٧٩٧ هـ ...
١٧٩٨ هـ ...
١٧٩٩ هـ ...
١٨٠٠ هـ ...

ذكرى هيجو (*)

ما جَلَّ فيهم عيدُك الماثورُ إلا وأنت أجَلُّ يا فكتورُ
 ذُكروكَ بالُمئة السنين وإنها عُمرٌ لمثلِكَ في النجوم قصيرُ
 ستدوم ما دَامَ البيان وما ارتقت للعالمين مدارُكُ وشُهورُ
 ولئن حُجبتَ فأنت في نظر الورى كالنجم لم يرَ منه إلا النورُ
 لولا التُّقى لفتحُ قَبْرِكَ للبا وسألتُ أين السيِّدُ المقبورُ (١)
 ولقأتُ يا قوم انظروا إنجيلكم هل فيه من قَلَمِ الفقيدِ سُطور؟
 مَنْ بعده مَلَكُ البيان فعندكم تاجُ فقدتم ربّه وسريرُ
 مات القريضُ بموت (هوجو) وانقضى مُلكُ البيان فأنتمُ جمهورُ
 ماذا يَزِيدُ العيدُ في إجلاله وجَلالُه يبرّاهُ مَسْطورُ
 فقدتُ وجوهَ الكائناتِ مُصَوِّرا نزلَ الكلامُ عليه والتصويرُ
 كشفَ الغطاءَ له فكلُّ عبارة في طيّها للقارئين ضميرُ
 لم يُعِيه لفظٌ ولا معنًى ولا غرضٌ ولا نظمٌ ولا مشورُ
 مسلى الحزين يفكِّه من حزنه ويردّه لله وهو قريرُ
 ثأرَ الملوكِ وظلَّ عند إبانة يرجو ويأملُ عفوهُ المَثُورُ
 وأعارَ (وَا تَر لَوْ) جَلالَ يراعِهِ فجَلالَ ذاكِ السيفِ عنه قَصرُ (٢)
 يأبىها البحرُ الذي عُمرَ الثرى ومِنَ الثرى حُفِرَ له وقبورُ
 أنتَ الحقيقةُ إن تحدّثَ شخصُها فلها على مرِّ الزمانِ ظُهورُ

(*) نظمت هذه القصيدة في ذكرى شاعر فرنسا الكبير « فكتور هيجو » مناسبة مرور مائة عام على وفاته . (١) الملاء : جماعة الناس .
 (٢) وَا تَر لَوْ : علم على الموضع الذي حصلت فيه الموقعة التي هزم فيها نابليون هزيمة الكبرى .

ارفع حَدَادَ العالمين وُعْدَ لهم كما يُعِينُ بائسَ وفقير
 وانظرْ إلى البؤساء نظرة راحِم قد كان يُسَعِدُ جمعَهُم ويُجِير^(١)
 الحالَ باقيةً كما صَوَّرَها من عهدِ آدمَ ما بها تَغير
 البؤسُ والنُّعمى على حالِهما والحظُّ يَعْدِلُ تارةً وَيَجُور
 ومن القَوَى على الضعيفِ مُسَيِّطِرٌ ومن الغنى على الفقيرِ أمير
 والنفسُ عاكفةٌ على شهواتِها تأوى إلى أحقادِها وتُشور
 والعيشُ آمالٌ تَجِدُّ وتَقْضَى والموتُ أَصْدَقُ والحياةُ غُرُور^(٢)

(١) يشير إلى رواية البؤساء، تأليف فكتور هيجو.
 (٢) العيش آمال تجد، أى تتجدد.

عبدہ الجمولى (*)

- ساجعُ الشرق طار عن أوكاره وتولى فنَّ على آثاره (١)
 غاله نافذُ الجناحين ماضٍ لا تفرُّ النسُور من أظفاره
 يَطْرُق الفرخ في الغُصون ويُغشى (لَبَدًا) في الطويل من أعمارِه (٢)
 كان من ماره فأصبح داو دُكَيْبًا ييكي على من ماره (٣)
 (عبدہ) بيد أن كلَّ مُغْنٍ عبدُه في افتتاحِه وابتكارِه
 معبدُ الدولتين في مصر إسحا ق (السمين) ربَّ مصر وجاره (٤)
 في بساط الرشيد يوماً ويوماً في حمى جعفر وضافى سِتارِه (٥)
 صَفَوْا ملكيهما به في ازديادٍ ومن الصَّفوف أن يلوذَ بدارِه
 يُخرج المالِكين من حِشمة المُلُك مك وينسى الوقورَ ذكْر وقارِه
 رَبَّ ليل أغارَ فيه القهارى وأثارَ الحِسان من أقمارِه (٦)

(*) توفى عبدہ الجمولى فى سنة ١٩٠٢ ، وكان نادرة الزمن فى حسن الصوت وفى ابتكار الألحان ، هذا إلى أريجيه ومروءة يضرب بهما المثل .

(١) الأوكار : جمع وكر ، وهو عش الطائر .

(٢) لبد : اسم نسر .

(٣) يشبه صوت المرنى فى صفائه بمزمار داود النبي صاحب الزامير .

(٤) يشبهه بمعبد وإسحاق . ويقصد بقوله « رب مصر وجاره » ملك مصر وجاره من أبواب الأقطار العربية . يعنى أن عبدہ كان يطرب الأقطار العربية جميعها كما كان بمعبد وإسحاق كذلك .

(٥) الرشيد : هو هارون الرشيد . وجعفر : هو جعفر البرمكى وزيره . والغرض أن المرنى كان ينتقل من بساط الملوك المشاهير للرشيد إلى بساط الوزراء المشاهير لجعفر .

(٦) القهارى : جمع قرية ، نوع من الحمام حسن التغريد . والأقار : جمع قر . يريد أنه كان يطرب الحسان الشبهات بالأقار .

بصبًا يذكر الرياضَ صبَّاه وحجازٍ أرقٍ من أسماهِه^(١)
 وغنائٍ يدارُ لحناً فلحننا كحديثِ التَّدِيمِ أو كعُقَّارِه
 وأنينٍ لو آنه من مشوقٍ عرف السامعونَ موضعَ نارِه
 يتمنى أخو الهوى منه آها حين يُلمَحى تكون من أعذارِه
 زفراتِ كأنها بثُّ (قيسٍ) في معاني الهوى وفي أخبارِه^(٢)
 لا يحاربه في تَفَنِّيه العو دُ ولا يشتكى إذا لم يُجارِه
 يسمع الليلُ منه في الفجرِ يالي لُ فيُصنِّى مستمهلًا في فرارِه
 فجع الناسُ يومَ مات (الحولى) بدواهُ الهُمومُ في عَطارِه
 بأبي الفنِّ وأبنيه وأخيه القوى المكين في أسرارِه
 والابنُ العفيفُ في حالتيه والجوادُ الكريمُ في إشارِه
 يحبسُ اللحنَ عن غنى مدلٍّ ويذيقُ الفقيرَ من مُحَنِّارِه^(٣)
 يا مُغنيًا بصوته في الرزايا ومُعينًا بماله في المكارِه
 ومُحَلِّلَ الفقيرِ بين ذَوِيه ومعزَّ اليتيمِ بين صِغارِه
 وعمادَ الصديقِ إن مالَ دهرٍ وشفاءَ المحزونِ من أكدارِه

(١) صبا الرياض (بفتح الصاد) : نسيمها . أماكلة « صبا » الواقعة في أول البيت فقصدوها نعمة معروفة في فن الغناء ، وهي مفتوحة الصاد أيضاً . كأنها سميت بذلك تشبيها لها بالنسيم المعروف بالصبا ، وكذلك « حجاز » نعمة معروفة في الغناء أيضاً .

(٢) قيس : هو ابن الملوح الشهير بمجنون ليلى .

(٣) المدل بالمال : المتباهى به . يشير في هذا البيت إلى بعض مايؤثر عن عبده رحمة الله عليه أنه كان يلجأ إليه الفقراء ليحيى أفراس أولادهم فيحسن إليهم ويحبب طلبهم وينفق من ماله في تشييد الاحتفال اللائق بصهرته . وربما آثر هذه الليلة الفقيرة على دعوة أحد الأغنياء الكبار ، وروى له في هذا الباب حكايات كثيرة .

لست بالراحِلِ القليلِ فتُتسى واحدُ الفرسِ أمةً في ديارِه
 غايةُ الدهرِ إن أتى أو تَوَلَّى ما لَبِيتَ العَداةَ من إدبارِه
 نَزَلَ الجَدُّ في الثرى وتساوى ما مَضَى مِن قيامِه وعشارِه
 وانقضى الداءُ باليقينِ مِنَ الحَا لَينَ فالموتُ مُنتهى إقصارِه
 لهفَ قومي على مخايلِ عزِّ زالِ عَنَّا بِرَوْضِه وهزارِه^(١)
 وعلى ذاهِبٍ مِنَ العيشِ وَلِيٍّ مَتَ فوَلَّى الأخيرُ من أوطارِه
 وزمانُ أنت الرَضَى من بقايا هُ وَأنت العزائمُ من آثارِه
 كان للناسِ ليلُهُ حينَ تَشَدُّو لِحَقَ اليومَ ليلُهُ بَنهارِه

أنت بمنى الراحل القليل فتتسى واحد الفرس أمة في دياره
 غاية الدهر إن أتى أو تولى ما لبيت العداة من إدباره
 نزل الجد في الثرى وتساوى ما مضى من قيامه وعشاره
 وانقضى الداء باليقين من الحالين فالموت منتهى إقصاره
 لهف قومي على مخايل عز زال عنا بروضه وهزاره^(١)
 وعلى ذاهب من العيش ولي مت فولى الأخير من أوطاره
 وزمان أنت الرضى من بقايا ه وأنت العزائم من آثاره
 كان للناس ليله حين تشددو لحق اليوم ليله بنهاره

(١) الهزار : طائر حسن الصوت ، فارسي .
 (٢) ...
 (٣) ...
 (٤) ...
 (٥) ...
 (٦) ...
 (٧) ...
 (٨) ...
 (٩) ...
 (١٠) ...

قاسم بك أمين (*)

يأيها الدمعُ الوفى بدارٍ تقضى حقوقَ الرُّفقةِ الاختيار^(١)
 أنا إنْ أهتُك في ثَراهمْ فالهوى والعهدُ أنْ يُيكوا بدمعِ جارٍ^(٢)
 هانوا وكانوا الأكرمينَ وغُودروا بالقفرِ بعدَ منازلٍ وديارٍ
 لحقَ عليهم ساكنو دور الثرى من بعدْ سُكنى السَّمعِ والابصارِ
 أينَ البشائنةُ في وسمِ وجوههم والبشرُ للندماءِ والشُّمارِ^(٣)
 كنّا من الدنيا بهم في رَوْضَةٍ مرّوا بها كنسائمِ الاسمارِ

* *

عظفا عليهم بالبكاء وبالآسى فتعهدُ الموقِ من الإيثار^(٤)
 يا غائبينَ وفي الجوانحِ طيفُهم أبكيكم من غيبِ حضارِ
 بنى وبينكم وإن طال المدى سَفَرٌ سَأَزَمَعَهُ من الاسفارِ
 إني أكادُ أرى محلى بينكم هذا قرارُكم وذاك قرارى

* *

أولكها سمحَ الزمانُ وبُشِّرَت مصرٌ بفردٍ في الرجالِ منار^(٥)
 جِعتَ به فكأنه وكأنها نجمُ الهدايةِ لم يدُم للشارى

(*) المرحوم قاسم بك أمين ، هو الزعيم صاحب دعوة تحرير المرأة في مصر . وقد توفى في سنة ١٩٠٩ .

(١) بدار : يعنى بادر .

(٢) يقول : إن الذين أبذل دمي وأهينته في ترابهم هم هواى وموضع حبي وليس عجيبا أن يسكى الإنسان أهل حبه وهواه .

(٣) السمار : جمع سامر . والسمر : حديث الأصدقاء بالليل .

(٤) الإيثار : هو أن تعطى لغيرك ما أنت محتاج إليه .

(٥) المنار : هو العلم يهتدى الناس به في الطريق .

إن المصيبة في (الامين) عظيمة حمولة لمشية الاقدار
 في أريجى ماجدٍ مُستَعظم رزء الممالك فيه والامصار
 أوفى الرجال لعهديه ولرأيه وأبرهم بصديقه والجار
 وأشدهم صبرا لمعتقداته وتأدبا لمجادلٍ ومُمارى
 يسقى القرائح هادئا متواضعا كالجدول المترقِر المتوارى
 قل للسماء نُغض من أقدارها تحت التراب أحسن الاقدار
 من كلّ وضاء المآثر فاتٍ زهر النجوم بذكره السيار
 تمضى الليالى لا تنال كماله بمعيب نقص أو مشين سرار (١)
 آثاره بعد الموات حياته إن الخلود الحق بالآثار
 يا من تفرد بالقضاء وعليه لإل قضاء الواحد القهار
 ما زلت ترجوه وتخشى سهمه حتى رمى فأحطت بالاسرار
 هلا بُعثت فكنت أفصح نخبرا عما وراء الموت من (لازار) (٢)
 أنفض غبار الموت عنك وناجنى فعساي أعلم ما يكون عُبارى
 هذا القضاء الجد فأرو وهاتٍ عن حكم المنية أصدق الاخبار
 كلّ وإن شغفته دنياه هوى يوما مُطلقها طلاق (نوار) (٣)
 لله (جامعة) نهضت بأمرها هى فى المشارق مصدرُ الانوار (٤)

(١) سرار (بفتح السين وكسرهما) : مشتق من قولهم : استسر القمر ، إذا خفي ليلة السرار ، وهى آخر ليلة أو ليلتين فى الشهر .
 (٢) لازار أو عازار : اسم الرجل الذى أحياه سيدنا عيسى ، ويقول لو بعثت لسكنت أفصح فى إخبارك عن الموت من هذا الرجل .
 (٣) نوار : اسم امرأة بعينها كانت زوجة الفرزدق الشاعر فطلقها فندم كثيرا حتى ضرب المثل بندامته فى كل طلاق نادم .
 (٤) هى الجامعة المصرية ، وكان للفقيه فضل المذكور فى إنشائها .

أُمْنِيَّةُ الْعُقَلَاءِ قَدْ ظَفِرُوا بِهَا بعد اِخْتِلَافِ حَوَادِثٍ وَطَوَارِي
وَالْعَقْلُ غَايَةُ جَرِيهِ لَأَعْنِيَّةِ والجَهْلُ غَايَةُ جَرِيهِ لَعَثَارِ
لَوْ يَعْلَمُونَ عَظِيمَ مَا تُرْجَى لَهُ خَرَجَ الشَّحِيحُ لَهَا مِنَ الدِّينَارِ
تَشْرِى الْمَالِكُ بِالذَّمِّ اسْتِقْلَالَهَا قَوْمُوا اشْتَرَوْهُ بِفِضَّةٍ وَنُضَارِ
بِالْعِلْمِ يُبْنَى الْمَلِكُ حَقَّ بِنَائِهِ وَبِهِ تُنَالُ جَلَائِلُ الْإِخْطَارِ
وَلَقَدْ يُشَادُّ عَلَيْهِ مِنْ شُمِّ الْعِلَا مَا لَا يُشَادُّ عَلَى الْقَنَا الْخَطَّارِ^(١)
إِنْ كَانَ سَرَّكَ أَنْ أَقْمَتَ جِدَارَهَا قَدْ سَاءَ مَا أَنْ مَالَ خَيْرُ جِدَارِ
أَضْحَتْ مِنْ اللَّهِ الْكَرِيمِ بِذِمَّتِهِ مَرْمُوقَةُ الْأَعْوَابِ وَالْإِنْصَارِ
كَلَّمْتُ بِأَنْظَارِ (الْعَزِيزِ) وَحُصْنَتِ (بِفُؤَادِ) فَهِيَ مَنِيْعَةُ الْأَسْوَارِ^(٢)
وَلِذَا الْعَزِيزُ أَعَارَ أَمْرًا نَظَرَةً فَالْيُمْنُ أَجَلُ وَالسُّعُودُ جَوَارِي
مَاذَا رَأَيْتَ مِنَ الْحِجَابِ وَعُسْرِهِ فَدَعَوْتَنَا لِتَرْفُقِ وَيَسَارِ
رَأَى بَدَا لَكَ لَمْ تَجِدْهُ مُخَالَفًا مَا فِي الْكِتَابِ وَسُنَّةِ الْمَخَارِ
وَالْبَاسِلَانَ: مُشْجَاعُ قَلْبِي فِي الْوَغَى وَمُشْجَاعُ رَأْيِي فِي وَغَى الْأَفْكَارِ
أَوْدِدْتُ لَوْ صَارَتْ نِسَاءُ النَّيْلِ مَا كَانَتْ نِسَاءُ (قِضَاعَةٍ) وَ (نِزَارِ)^(٣)
يَجْمَعْنَ فِي سَلْمِ الْحَيَاةِ وَحَرْبِهَا بِأَسَ الرَّجَالِ وَخَشْيَةِ الْإِبْكَارِ
إِنَّ الْحِجَابَ سَمَاحَةٌ وَيَسَارَةٌ لَوْلَا وَحُوشٌ فِي الرِّجَالِ صَوَارِي
جَهَلُوا حَقِيقَتَهُ وَحِكْمَةَ حُكْمِهِ فَتَجَاوَزُوهُ إِلَى أَدَى وَضِرَارِ

(١) الخطار: أى المهتر. واهتزاز القنا: كناية عن استعداده للقتال.

(٢) العزيز: هو كل ملك لمصر، وكان الخديو عباس وقثذ. وفؤاد، هو جلالة ملك مصر فؤاد الأول.

(٣) ليس الغرض نساء هاتين القبيلتين قضاة ونزار بالذات، وإنما المقصود المرأة العربية الموصوفة في البيت التالى.

*
*
*

يَا قُبَّة (الغورى) تحتكِ مائتُ تَبَقَى شعائره على الادهار
يُحييه قومٌ فى القلوب على المدى إن فاتهم إحياءه فى دار
هيهات تُنسى أمهٌ مدفونة فى أربعين من الزمان قصار
إن شئت يوماً أو أردت فحقة كلُّ يَمُرُّ كليله ونهار
هاتوا ابن (ساعدة) يُؤبِّن قاسما وخذوا المراثى فيه من (بشار)^(١)
من كلِّ لائقه لباذخ قدره عصماء بين قلائد الأشعار

(١) ابن ساعدة ، هو قس بن ساعدة الإيادى ، أحد خطباء العرب الحكماء .
يُضرب به المثل فى بلاغة الخطب . وبشار : هو بشار بن برد الشاعر المصهور . يقول : إن
قاسما لا يؤبئه إلا أمثال قس من الخطباء وأمثال بشار من الشعراء .

تولستوى (*)

(تولستوى) تُجرى آية العلم دمعها عليك ويكي بائس وفقير
 وشعب ضعيف الركن زال نصيره وماكل يوم للضعيف نصير
 ويندب فلاحون أنت منارهم وأنت سراج غيبوه منير
 يُعانون في الأكواخ ظلها وظلمة ولا يملكون البت وهو يسير
 تطوف كعيسى بالحنان وبالرضى عليهم وتغشى دورهم وتزور
 ويأسى عليك الدين إذ لك لبه وللخادمين الناقين قشور
 أيكفر بالإنجيل من تلك كتبه أناجيل منها مُنذر وبشير
 ويبيك ألف فوق (لبي) ندامة غداة مشى (بالعامري) سرير
 تناول ناعمك البلاد كأنه يراع له في راحتك صير (١)
 وقيل تولى الشيخ في الأرض هائما وقيل (بدير) الراهبات أسير
 وقيل قضى لم يُغفر عنه طبيبه وللطب من بطش القضاء عذير
 إذا أنت جاورت (المعري) في الثرى وجاور (رضوى) في التراب (ثبير) (٢)
 وأقبل جمع الخالدين عليكما وغالى بمقدار النظير نظير
 جماجم تحت الأرض عطرها شدى جناهن مسك فوقها وعبير
 بهن يباهي بطن (حواء) واحتوى عليهن بطن الأرض وهو نخور

(*) تولستوى : هو الفيلسوف الروسى الشهير ، كان عالما عاملا بما يقول ، فتخلى عن ماله الجم ليساوى نفسه بالفقراء ، ولعل رواياته ومؤلفاته كانت الأناجيل الأولى للثورة الأخيرة في روسيا وقد توفى سنة ١٩١٠ وهو شيخ كبير .

(١) الصرير : التصويت . والبراع : القلم .

(٢) المعري : هو أبو العلاء المعري ، وشعره الفلسفى الاجتماعى مشهور . ورضوى وثبير علمان على جبلين : أولهما بالمدينة وثانيهما بمكة . يريد تشبيهه هو والمعري بهذين الجبلين .

- فَقُلْ يَا حَكِيمَ الدَّهْرِ حَدِّثْ عَنِ الْبَلَى
أَحْطَتْ مِنَ الْمَوْتِ قَدِيمًا وَحَادَثًا
طَوَانَا الَّذِي يَطْوِي السَّمَوَاتِ فِي غَدٍ
تَقَادِمَ عَهْدَانَا عَلَى الْمَوْتِ وَأَمْتَوَى
كَأَن لَمْ تَضُقْ بِالْأَمْسِ عَنَى كَيْسَةٍ
أَرَى رَاحَةً بَيْنَ الْجَنَادِلِ وَالْحَصَى
نَظَرْنَا بِسُورِ الْمَوْتِ كُلَّ حَقِيقَةٍ
إِلَيْكَ اعْتَرَفِي لَا لِقَسَّ وَكَاهِنٍ
فَزُهِدْ كَلَمْ يُنْكِرْهُ فِي الْأَرْضِ عَارِفٌ
بَيَانٌ يَسْمُ الْوَحْيُ مِنْ نَفْعَاتِهِ
سَلَكْتُ سَبِيلَ الْمُتَرَفِّينَ وَلَذَلِي
أَدَاءُ شَتَائِي الدَّفْءُ فِي ظِلِّ شَاهِقٍ
وَمُتَّعْتُ بِالْأَنْبِيَاءِ ثَمَانِينَ حِجَّةً
وَذَكَرْتُ كَضْوَى الشَّمْسِ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ
فَمَا رَاعَنِي إِلَّا عَذَابِي أَجْرَنَنِي
أَرَدْتُ جَوَارِ اللَّهِ وَالْعَمْرُ مُنْقَضُ
صَبَاً وَنَعِيمٌ بَيْنَ أَهْلِ وَمَوْطِنٍ
بَيْنَ وَمَا يَدْرِينِ مَا الذَّنْبُ خَشِيمَةٌ
- (١) فَأَنْتَ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ خَبِيرٌ
بِمَا لَمْ يَحْصُلْ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ (١)
وَيُكْشَرُ بَعْدَ الطَّلَى وَهُوَ قَدِيرٌ (٢)
طَوِيلُ زَمَانٍ فِي الْبَلَى وَقَصِيرٌ
وَلَمْ يُوَوِّنِي دَيْرٌ هُنَاكَ طَاهُورٌ
وَكُلُّ فِرَاشٍ قَدْ أَرَاكَ وَثِيرٌ (٣)
وَكُنَّا كِلَانَا فِي الْحَيَاةِ ضَرِيرٌ
وَنَجَوَايَ بَعْدَ اللَّهِ وَهُوَ غَفُورٌ
وَلَا مُتَعَالٍ فِي السَّمَاءِ كَبِيرٌ
وَعَلِمْتُ كَعِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ غَزِيرٌ
بَنُونَ وَمَالٌ وَالْحَيَاةُ غُرُورٌ
وَعُدَّةٌ صَنِيفِي جَنَّةٌ وَعَدِيرٌ
وَلَقَضَرُ أَيَّامِي غَيٌّ وَجُورٌ
وَلَا حَظٌّ مِثْلَ الشَّمْسِ حِينَ تَسِيرُ
وَرُبَّ ضَعِيفٍ تَحْتَمِي فَيُجِيرُ
وَجَاوَرَتُهُ فِي الْعَمْرِ وَهُوَ نَضِيرٌ
وَلَذَاتُ دُنْيَا كُلُّ ذَاكَ نَزُورٌ (٤)
وَمَنْ نَجَبٌ تَخْشَى الْخَطِيئَةَ حُورٌ (٥)

(١) يريد أنه كان يعرف أسرار النفوس جد المعرفة .

(٢) النهر : هو البعث من الموت ، وهو أيضا ضد الطلَى .

(٣) الفراش الوثير : اللين الناعم .

(٤) نزور : أى قليل .

(٥) الحور : جمع حوراء ، وهى الجارية فى عينها حور . والحور : اشتداد بياض العين وسوادها .

أَوَّانِسُ فِي دَاجٍ مِنَ اللَّيْلِ مُوحِشٍ وَلِلَّهِ أُنُسٌ فِي الْقُلُوبِ وَنُورٌ
 وَأَشْبَهُ طُهْرٍ فِي الْفَسَاءِ بِمَرْيَمَ فَتَاةٌ عَلَى نَهْجِ الْمَسِيحِ تَسِيرُ
 تُسَائِلُنِي هَلْ غَيَّرَ النَّاسُ مَا بِهِمْ وَهَلْ حَدَّثَتْ غَيْرَ الْأُمُورِ أُمُورُ
 وَهَلْ آثَرَ الْإِحْسَانَ وَالرَّفْقَ عَالَمٌ دَوَاعِي الْأَذَى وَالشَّرَّ فِيهِ كَثِيرُ
 وَهَلْ سَلَسَكُوا سُبُلَ الْحُبِّ بَيْنَهُمْ كَمَا يَتَصَافَى أَسْرَةٌ وَعَشِيرُ
 وَهَلْ آتَى مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ تَسَامُحٌ خَلِيقٌ بِآدَابِ الْكِتَابِ جَدِيرُ
 وَهَلْ عَالَجَ الْأَحْيَاءُ بُوْسًا وَشَقْوَةً وَقَلَّ فَسَادٌ بَيْنَهُمْ وَشُرُورُ
 قُمْ أَنْظُرْ وَأَنْتَ الْمَالِي الْأَرْضَ حِكْمَةً أَأَجْدَى نَظِيمٌ أَمْ أَفَادَ نَشِيرُ
 أَنَا سٌ كَمَا تَدْرِي وَدُنْيَا بِحَالِهَا وَدَهْرٌ رَخِيٌّ تَارَةً وَعَسِيرُ
 وَأَحْوَالُ خَلْقٍ غَابِرٍ مُتَجَدِّدٍ تَشَابَهَ فِيهَا أَوَّلٌ وَآخِرُ
 تَمَرٌ تَبَاعًا فِي الْحَيَاةِ كَأَنَّهَا مَلَاعِبٌ لَا تُرَخِّي لَهَا سُبُورُ
 وَحِرْصٌ عَلَى الدُّنْيَا وَمَيْلٌ مَعَ الْهَوَى وَغَشٌّ وَلَفْكَ فِي الْحَيَاةِ وَزُورُ
 وَقَامَ مَقَامَ الْفَرْدِ فِي كُلِّ أُمَةٍ عَلَى الْحُكْمِ جَمٌّ يَسْتَبْدُ غَفِيرُ
 وَحُورٌ قَوْلُ النَّاسِ مَوْلَى وَعَبْدُهُ إِلَى قَوْلِهِمْ مُسْتَأْجِرٌ وَأَجِيرُ
 وَأَضْحَى نَفْوذُ الْمَالِ لِأَمْرِ فِي الْوَرَى وَلَا نَهَى إِلَّا مَا يَرَى وَيُشِيرُ
 تُسَاسُ حُكُومَاتٍ بِهِ وَتَمَالِكُ وَيُذْعَنُ أَقْيَالٌ لَهُ وَصُدُورُ^(١)
 وَعَصْرُ بَنُوهُ فِي السَّلَاحِ وَحِرْصُهُ عَلَى السَّلْمِ يُجْرَى ذِكْرُهُ وَيُدِيرُ
 وَمَنْ يَعْجَبُ فِي ظِلِّهَا وَهُوَ وَارِفٌ يُصَادَفُ شَعْبًا آمِنًا فَيُغَيِّرُ
 وَيَأْخُذُ مِنْ قُوَّةِ الْفَقِيرِ وَكُسْبِهِ وَيُؤْوِي جِيوشًا كَالْحَصَى وَيَمِيرُ
 وَلَمَّا اسْتَقْبَلَ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ مَذْهَبًا تَعَلَّقَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ يَطِيرُ

(١) أَقْيَالٌ : جمع قَيْل ، وهو المَلِك . والصُدُور : جمع صَدْر ، وهو الْعَظِيم من النَّاس كالوَزِير ونحوه .

عمر بك لطفى (*)

قُفُوا بِالتُّبُورِ نَسَائِلُ عُمَرُ متى كانت الأرضُ مَثْوَى القَمَرِ
سَلُوا الأرضَ هل زُيِّنَتْ للعَليمِ وهل أُرْجَتْ كالجَنَانِ الحُفَرِ
وهل قامَ (رضوان) من خَلْفِهَا يُلاقى الرَّضَى النَقَى الأَبَرِ
فَلَوْ عَلِمَ الجَمْعُ مِمَّنْ مَضَى تَنجَى لَهُ الجَمْعُ حَتَّى عَبَرِ
إِلَى جَنَّةٍ خُلِقَتْ لِلكَرِيمِ وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَوْ مَنْ قَدَّرَ

* *

بِرَّغْمِ القُلُوبِ وَحُبَّاتِهَا وَرَّغْمِ السَّمَاعِ وَرَّغْمِ البَصَرِ
نَزُولِكَ فِي التُّرْبِ زَيْنَ الشَّبَابِ سَنَاءُ ، النَّدَى ، سَنَى ، الْمُؤْتَمَرِ ، (١)
مُقِيلَ الصَّدِيقِ إِذَا مَا هَفَا مُقِيلَ الكَرِيمِ إِذَا مَا عَثَرَ
حَيِّتَ فَكُنْتَ نَخَارَ الحَيَاةِ وَمَتَّ فَكُنْتَ نَخَارَ السَّيْرِ
عَجِيبُ رَدَاكَ وَأَعْجَبُ مِنْهُ حَيَاتُكَ فِي طَوْلِهَا وَالْقِصْرِ
فَمَا قَبْلَهَا سَمِعَ العَالَمُونَ وَلَا عَلِمُوا مُصْحَفًا يُخْتَصِرُ
وَقَدْ يَقْتُلُ المرءُ هُمَ الحَيَاةِ وَشَغْلُ النُّوَادِ وَكَذُّ الفِكْرِ
دَفَنَّا التَّجَارِبَ فِي حُفْرَةٍ إِلَيْهَا أَنْتَهَى بِكَ طَوْلُ السَّفَرِ
فَكَمْ لَكَ كَالنَّجْمِ مِنْ رِحَالَةٍ رَأَى البَدُوَ آثَارَهَا وَالْحَضَرَ

(*) توفى عمر بك لطفى فى سنة ١٩١١ ، وكان عالما قانونيا ضليعا كما كان فى حياته يكاد يتقد غيرته على قوميته وحباً لمصلحة بلاده ، وهو فى طليعة مؤسسى نقابات التعاون فى مصر .

(١) الندى : يريد نادى المدارس العليا ، وكان الفقيه رئيسا له . ويريد بالمؤتمر : المؤتمر الذى أقامه أعيان المساميين فى إهليو بوليس ردا على المؤتمر الذى أقامه أعيان الأقباط فى أسيوط . والسناء (بالمد) : الضوء ، (وبالقصير) : الرفعة .

وَيَقَابُوكَ ، الْغُرُ تَبْكِي عَلَيْكَ وَيَبْكِي عَلَيْكَ « النَّدَى » الْاَغْر
وَيَبْكِي فَرِيقُ تَخَيَّرَتَهُ شَرِيف الْمَرَامِ شَرِيف الْوَطَر
وَيَبْكِي الْاِلَى اَنْتَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ غَرَسْتَ فَكَانُوا الثَّر
حَيَاتُكَ كَانَتْ عِظَاتٍ لَهُمْ وَمَوْتُكَ بِالْاَمْسِ اِحْدَى الْعِبَر
سَهَرْنَا فُبَيْلَ الرَّدَى لَيْلَةً وَمَا دَارَ ذَكَرَ الرَّدَى فِي السَّمَر (١)
فَقَمَتَ إِلَى حُفْرَةِ هُبَيْتٍ وَقَمْتُ إِلَى مِثْلِهَا تُحْتَفِر
مَدَدْتُ إِلَيْكَ يَدًا لِلْوَدَاعِ وَمَدَّ يَدًا لِلْقَاءِ الْقَدَر
وَلَوْ أَنَّ لِي عِلْمَ مَا فِي غَدٍ خَبَأْتُكَ فِي مُقْلَتِي مِنْ حَذَر
وَقَالُوا شَكُوتَ فَمَا رَاعَنِي وَمَا أَوَّلَ النَّارِ إِلَّا شَرَر
رَيْتُكَ لَا مَالَكَا خَاطَرِي مِنْ الْحُزْنِ إِلَّا يَسِيرًا خَطَر (٢)
فَفِيكَ عَرَفْتُ ارْتِجَالَ الدَّمُوعِ وَمِنْكَ عَلِمْتُ ارْتِجَالَ الدُّرَر
وَمِثْلُكَ يُرَى بَأَى الْكِتَابِ وَمِثْلُكَ يُفَدَى بِنِصْفِ الْبُشَر
فِيَا قَبْرُ كُنْ رَوْضَةً مِنْ رِضَى عَلَيْهِ وَدُنْ بَاقَةً مِنْ زَهَر
سَقَّتْكَ الدَّمُوعُ فَإِنْ لَمْ يَدْمَنْ كَعَادَتِهِنَّ سَقَاكَ الْمَطَر

(١) السمر : حديث الليل .

(٢) يريد : لا مالكا من خاطري إلا بقية قليلة الخطر لا تنفي في رثائك .

عمر بك لطفي (*)

اليوم أصعدُ دُونَ قَبْرِكَ مِنْبَرًا وأقلّدُ الدُّنْيَا رِثَاءَكَ جَوْهَرًا
وأقْصِرُ مِنْ شِعْرَى كِتَابَ حَاسِنٍ تَتَقَدَّمُ الْعِلْمَاءُ فِيهِ مُسْطَرًا
ذُكْرًا لِفَضْلِكَ عِنْدَ مِصْرَ وَأَهْلِهَا وَالْفَضْلُ مِنْ حُرْمَاتِهِ أَنْ يُذْكَرَا
الْعِلْمُ لَا يُعْلِي الْمَرَاتِبَ وَحَدَّهُ كَمْ قَدَّمَ الْعَمَلُ الرِّجَالَ وَأَخْرَا
وَالْعِلْمُ أَشْبَهُ بِالسَّمَاءِ رِجَالُهُ خَلَطَتْ جَهَامًا فِي السَّحَابِ وَمُطِرَا
طَفْنَا بِقَبْرِكَ وَأَسْتَلْنَا جَنَدِلَا كَالرُّكْنِ أَزْكَى وَالْحَطِيمِ مُطَهَّرَا (١)
بَيْنَ التَّشْرِفِ وَالْحُشُوعِ كَأَنَّمَا نَسْتَقْبِلُ الْحَرَمَ الشَّرِيفَ مُنَوَّرَا
لَوْ أَنْصَفُوكَ جَنَادِلًا وَصَفَانِحًا جَعَلُوكَ بِالذِّكْرِ الْحَكِيمِ مُسَوَّرَا
يَا مَنْ أَرَانِي الدَّهْرَ حِجَّةً وَدَّهَ وَالْوُدَّ فِي الدُّنْيَا حَدِيثَ مُفْتَرَى
وَسَمِعْتُ بِالْخَلْقِ الْعَظِيمِ رَوَايَةً فَأَرَانِي الْخَلْقَ الْعَظِيمَ مُصَوَّرَا
مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الرِّقَادِ وَطَوْلِهِ أَنَا فِيكَ أَلَّتِي لَوْعَةً وَتَحْشُرَا
نَمْ مَا بَدَأَ لَكَ أَمْنًا فِي مَنْزِلٍ الدَّهْرُ أَقْصَرُ فِيهِ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى
مَا زِلْتَ فِي تَحَدِّ الْفَرَاشِ وَذَمِّهِ حَتَّى لَقِيتَ بِهِ الْفَرَاشَ الْآوْتَرَا (٢)
لَا تَشْكُونُ الضَّرَّ مِنْ حَشْرَاتِهِ حَشْرَاتُ هَذَا النَّاسِ أَقْبَحُ مَنْظَرَا
يَا سَيِّدَ (النَّادَى) وَحَامِلَ هِمِّهِ خَلَقْتَهُ تَحْتَ الرِّزْيَةِ مُوَقَّرَا (٣)

(*) نظمت هذه القصيدة لتلقى في حفلة أقيمت لتأبين عمر بك لطفي بعد الأربعين .
أما القصيدة السابقة فقد نظمت عقب الوفاة في سرعة تشبه الارتجال .

(١) يقول : إننا نطوف بقبرك ونستلم أحجاره كما يطوف حجاج بيت الله فيستلمون الركن والحطيم المطهرين .

(٢) الفراش الأوتر : هو الفراش الأكثر ليونة ونعومة ، ويريد به تراب القبر .

(٣) النادى : هو نادى المدارس العليا ، وكان الفقيد رئيساً له . وموقراً ، أي مثقلاً بما يحمله من فقدك .

شَهِدَ الْأَعَادَى كَمْ سَهَرَتْ لِمَجْدِهِ وَغَدَوْتَ فِي طَلَبِ الْمَزِيدِ مُشْمَرًا
وَكَمْ اتَّقَمَتِ الْكَيْدَ وَاسْتَدْفَعَتْهُ وَرَمَيْتِ عُدَوَانَ الظُّنُونِ فَأَفْصَرَا
وَلَبِثْتَ عَنْ حَوْضِ الشَّيْبَةِ ذَائِدًا حَتَّى جَزَاكَ اللَّهُ عَنْهُ الْكُوثَرَا
شُبَّانُ مَصْرَ حِيَالِ قَبْرِكَ خُشَّعٌ لَا يَمْلِكُونَ سِوَى مَدَامِعِهِمْ قِرَى (١)
جَمَعَ الْأَسَى لَكَ جَمْعَهُمْ فِي وَاحِدٍ كَانَ الشَّبَابَ الْوَاجِدَ الْمُسْتَعْبِرَا (٢)
لَوْلَاكَ مَا عَرَفُوا التَّعَاوَنَ بَيْنَهُمْ فِيمَا يَسُرُّ وَلَا عَلَى مَا كَدَّرَا
حَيْثُ التَّفَتُّ رَأَيْتَ حَوْلَكَ مِنْهُمْ آثَارَ إِحْسَانٍ وَغَرَسًا مُنْمِرَا
كَمْ مَنْطِقٍ لَكَ فِي الْبِلَادِ وَحِكْمَةٍ وَالْعَقْلُ بَيْنَهُمَا يُبَاعُ وَيُشْتَرَى
تَمْشَى إِلَى الْأَكْوَاخِ تُرْشِدُ أَهْلَهَا مَشَى الْخَوَارِئِينَ يَهْدُونَ الْقُرَى (٣)
مُتَوَاضِعًا لِلَّهِ بَيْنَ عِبَادِهِ وَاللَّهُ يُبْغِضُ عَبْدَهُ الْمُتَكَبِّرَا
لَمْ تَدْرِ نَفْسُكَ مَا الْغُرُورُ وَطَالَمَا دَخَلَ الْغُرُورُ عَلَى الْكِبَارِ فَصَغُرَا
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ تَخْطُ نِقَابَةً فِيهَا حَيَاةٌ أُخَى الزَّرَاعَةِ لَوْ دَرَى
هِيَ كَيْمِيَاؤُكَ لَا خُرَافَةَ (جَابِرُ) تَذَرُ الْمُقَلَّ مِنَ الْجَمَاعَةِ مُكْثِرَا (٤)
وَالْمَالُ لَا تُجْنَى ثِمَارُ رُءُوسِهِ حَتَّى يَصِيبَ مِنَ الرُّءُوسِ مُدْبِرَا
وَالْمَلِكُ بِالْأَمْوَالِ أَمْنَعُ جَانِبَا وَأَعَزُّ سُلْطَانًا وَأَصْدَقُ مَظْهَرَا
إِنَّا لَفِي زَمَنِ سِفَاهِ شُعُوبِهِ فِي مُلْكِهِمْ كَالْمَرْءِ فِي بَيْتِ الْكِرَا (٥)

(١) القرى (بكسر القاف) : ما يقدم للضيف من إكرام ونحوه .
(٢) الواجد المستعبر : هو الحزين الباكي .
(٣) الخواريين : هم أصحاب عيسى ابن مريم .
(٤) جابر : هو جابر بن حيان صاحب الكيمياء القديمة . والمقل : هو الفقير ، أو هو الذى لا يملك إلا شيئاً قليلاً .
(٥) بيت السكر : هو بيت الأجرة .

أَسْوَكَ مِنْ أَهْلِ الْمَبَادِئِ مَنْ دَعَا لِلجِدِّ أَوْ جَمَعَ الْقُلُوبَ الشَّقَرَا ؟
الْمَوْتُ قَبْلَكَ فِي الْبَرِيَّةِ لَمْ يَهَبْ طَه الْأَمِينَ وَلَا يَسُوعَ الْخَيْرَا (١)

* *

لَمَّا دُعِيتُ أَتَيْتُ أَنْتَ مَدْمَعِي وَلَوْ اسْتَطَعْتُ نَشَرْتُ جَفْنِي فِي السَّهْرِ
أَبْكِي يَمِينُكَ فِي التَّرَابِ عَمَامَةً وَالصَّدْرَ بَحْرًا وَالْفَوَادَ غَضَنَفَرَا
لَمْ أُعْطَ عَنْكَ قَصَبُورًا وَأَنَا الَّذِي عَزَيْتُ فَيْكَ عَنِ الْأَمِيرِ الْمَعْشَرَا (٢)
أَزِنُ الرِّجَالَ وَلِي يَرَاغُ طَالَمَا خَلَعَ الثَّنَاءَ عَلَى الْكِرَامِ مُحَبَّرَا
بِالْأَمْسِ أَرْسَلْتُ الرِّثَاءَ مُمَسَّكَا وَالْيَوْمَ أَهْتَفُ بِالثَّنَاءِ مُعْنَبَرَا
غَيْرَتَنِي حُزْنًا وَغَيْرَكَ الْبَلَى وَهَوَاكَ يَا بَنِي فِي الْفَوَادِ تَغْيِيرَا (٣)
فَعَلَى حِفْظِ الْعَهْدِ حَتَّى نَلْتَقَى وَعَلَيْكَ أَنْ تَرَاهُ حَتَّى نُحْشَرَا

أَكْبَرُ مِنْكَ يَا بَنِي
مَنْ يَكُونُ لَكَ رَجُلًا يَكُونُ لَكَ رَجُلًا
وَيَكُونُ لَكَ رَجُلًا يَكُونُ لَكَ رَجُلًا
وَيَكُونُ لَكَ رَجُلًا يَكُونُ لَكَ رَجُلًا
وَيَكُونُ لَكَ رَجُلًا يَكُونُ لَكَ رَجُلًا
وَيَكُونُ لَكَ رَجُلًا يَكُونُ لَكَ رَجُلًا
وَيَكُونُ لَكَ رَجُلًا يَكُونُ لَكَ رَجُلًا

لَمَّا دُعِيتُ أَتَيْتُ أَنْتَ مَدْمَعِي وَلَوْ اسْتَطَعْتُ نَشَرْتُ جَفْنِي فِي السَّهْرِ

(١) يَسُوعُ : الْمَسِيحُ .
(٢) كَانَ أَمِيرَ الشَّعْرَاءِ هُوَ نَائِبُ الْحَدِيدِ عَبَّاسٍ فِي تَعْزِيَةِ أَسْرَةِ الْفَقِيدِ .
(٣) يُشِيرُ إِلَى قَصِيدَتِهِ السَّابِقَةِ فِي الْفَقْدِ .

الأميرة (*)

- حَلَفْتُ بِالْمُسْتَرِّهِ وَالرَّوْضَةِ الْمُعْطَرِّهِ (١)
وَجَلَسَ الزَّهْرَاءُ فِي الدَّ حِظَائِرِ الْمُنَوَّرِ (٢)
مِرَاقِدِ الشَّلَالَةِ الطَّيِّبَةِ الْمُطَهَّرِ (٣)
مَا أَنْزَلُوا إِلَى الثَّرَى بِالْأَمْسِ إِلَّا نَيْرَ (٤)
سَيَرَوَاهَا تَقِيَّةً نَقِيَّةً مُبَرَّرَ
نُجْلٍ سَتَرَ تَعْمُهَا كَالْكِسْوَةِ الْمُسَيَّرِ (٥)
وَنَفْسُ الْجَنَّةِ مِنْ أَعْوَادِهِ الْمُنْصَرِّهِ

* *

- فِي مَوْكِبٍ تَمَثَّلَ الدَّ حَقُّ فَكَانَ مَظْهَرَهُ
دَعِ الْجَنُودَ وَالْبُنُودَ دَ وَالْوَفُودَ الْمُحْضَرَهُ
وَكُلَّ دَمْعٍ كَذَبٍ وَلَوْعَةٍ مَزُورَهُ
لَا يَنْفَعُ الْمَيِّتَ سِوَى صَالِحَةٍ مُدَّخَرَهُ
قَدْ تُرْفَعُ السَّوْفَةُ عِنْدَ دِ اللَّهِ فَوْقَ الْقَيْصَرِهِ (٥)

(*) هي الأميرة فاطمة لإسماعيل ، كان لها الفضل الأول في تأسيس وإنشاء الجامعة المصرية . وقد انتقلت إلى دار الجنان في سنة ١٩٢٠ .

(١) المسترهِ : الكعبة .

(٢) يقصد فاطمة الزهراء ، بنت الرسول صلوات الله عليه . وجلسها في حجرات النبوة

(٣) نيره : هي واحدة النجوم النيرة .

(٤) الكسوة : هي كسوة الكعبة المكرمة ، وتسير من مصر إلى الحجاز كل عام

في موكب عظيم الإجلال .

(٥) القيصرة : علم على كل ملكة للروم . والقيصر : علم على ملكها .

* *

- (١) ياجزَع العِلم على (سُكِينَة) الموقَّره
أَمْسى بَرِّع مَوْحِشٍ مِنْهَا وَدَارٍ مُقْفِرَه
(٢) مَنْ ذَا يُؤْتِي هَذِهِ الـ بِجَامِعَةِ الْمُسْتَعْبِرَه
لَوْ عِشْتَ شِدَّتْ مِثْلَهَا لِلرَّأَةِ الْمُحَرَّرَه
بَنَيْتَ رُكْنَيْهَا كَمَا بَنَى أَبُوكَ الْمَآثِرَه
قَرَنْتَ كُلَّ حَجَرٍ فِي أَهْلِهَا بِجَوْهَرَه
مَفْخَرَةٌ لِبَيْتِكُمْ كَمَا قَبْلَهَا مِنْ مَفْخَرَه

* *

- (٣) يَا بِنْتَ إِسْمَاعِيلَ فِي الدِّمِ مَمِيَّتٍ لِحَيٍّ تَبْصِرَه
أَكَانَ عِنْدَ بَيْتِكُمْ لِهَذِهِ الدُّنْيَا تَرَه
(٤) هَلَا وَصَفْتَهَا لَنَا مُقْبَلَةً وَمُدِيرَه؟
وَلَوْنَهَا صَافِيَةً وَطَعْمَهَا مَكْتَرَه
كَالْحَلْمِ أَوْ كَالْوَهْمِ أَوْ كَالظِّلِّ أَوْ كَالزَّهَرَه

* *

- (٥) (فَاطِمَة) مَنْ يُوَلِّدُ يَمُتُ الْمَهْدُ جَسْرُ الْمُقْبَرَه
وَكُلُّ نَفْسٍ فِي غَدٍ مَيِّتَةٌ مُنْشَرَه

(١) يشبهها بسكينة بنت الحسين في عطفها على العلم والأدب .

(٢) المستعبره ، أى الباكية لفقدتها عطفك .

(٣) التبصرة بمعنى الموعظة .

(٤) ترة : هى الثأر .

(٥) فاطم : أى فاطمة ، وحذفت الناء للترخيم ، كقول امرئ القيس :

* أَفَاطَمَ مَهْلًا بَعْضُ هَذَا التَّدْلِيلِ *

- وَأَنَّهُ مَنْ يَعْمَلُ الْخَيْرَ أَوْ الشَّرَّ يَرَهُ
 (١) وَإِنَّمَا يُنَبِّئُهُ الْغَافِلُ عِنْدَ الْغُرْغُرَةِ
 (٢) يَلْفِظُهَا حَنْظَلَةً كَانَتْ فِيهِ سُكَّرُهُ
 (٣) وَلَنْ تَزَالَ مِنْ يَدِهِ إِلَى يَدِهِ هَذِي الْكُرْهُ

- أَيْنَ أَبُوكَ مَالُهُ وَجَاهُهُ وَالْمَقْدَرُهُ
 (١) وَادَى النَّدَى وَغَيْثُهُ وَعَيْنُهُ الْمُفْجَّرُهُ
 (٢) أَيْنَ الْأُمُورُ وَالْقُصُورُ وَالْبُدُورُ وَالْمُخْدَرُهُ
 (٣) أَيْنَ اللَّيَالِي الْبَيْضُ وَالْأَصَائِلُ الْمَرْعُفَرُهُ
 (٤) وَأَيْنَ فِي رُكْنِ الْبِلَادِ يَدُهُ الْمُعَمَّرُهُ
 (٥) وَأَيْنَ تِلْكَ الْهَمَّةُ الْمَاضِيَةُ الْمَشْمَرُهُ
 (٦) تَبْنِي لِمَصْرِ الشَّرْقِ أَوْ أَكْثَرُهُ مُسْتَعْمَرُهُ
 (٧) جَرَى الزَّمَانُ دُونَهَا فَرَدَّهُ وَأَعَثَرُهُ
 (٨) فَإِنْ هَمَمْتَ فَاذْكُرْ الْمَقَادِرَ الْمَقْدَرُهُ
 (٩) مَنْ لَا يُصِيبُ فَالنَّاسُ لَا يَلْتَمِسُونَ الْمَعْدَرُهُ

(١) الغرغرة : هي وقت حشرجة الروح في الصدر .
 (٢) يلفظها : أى يلفظ الحياة .
 (٣) الندى : السكرم . والعين : بمعنى النبع .
 (٤) الأصائل : الوقت من بعد العصر إلى المغرب . والمزعرقة : أى الملوثة بلوث
 المزعران . والليالي البيض والأصائل المزعرقة : يقصد بهما الكناية عن السعادة الوارفة الظليلة .

ذكرى مصطفى كامل (*)

لم يَمُتْ مَنْ لَهُ أَثَرٌ وَحَيَاةٌ مِنَ السَّيَرِ
أَدْعُهُ غَائِبًا وَإِنْ بُعِدَتْ غَايَةُ السَّفَرِ
آيِبُ الْفَضْلِ كَلَّمَا آبَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (١)
رُبَّ نُورٍ مُتَمِّمٍ قَدْ أَتَانَا مِنَ الْخُفْرِ (٢)
إِنَّمَا الْمَيِّتُ مَنْ مَشَى مَيِّتَ الْخَيْرِ وَالْخَيْرِ
مَنْ إِذَا عَاشَ لَمْ يُفِدْ وَإِذَا مَاتَ لَمْ يَضُرْ
لَيْسَ فِي الْجَاهِ وَالْغَيْ مِنْهُ ظِلٌّ وَلَا ثَمَرُ
فَبُحِ الْعِزُّ فِي الْقَصْرِ رَ إِذَا ذَلَّتِ الْقُصُورُ

* *

أَعُوذَ الْحَقَّ زَائِدٌ وَإِلَى (مصطفى) أَفْتَقِرُ
وَتَمَسَّتْ حِيَاضُهُ هَبَّةَ الصَّارِمِ الذِّكْرِ
الَّذِي يُنْفِذُ الْمَدَى وَالَّذِي يَرْكَبُ الْخَطَرَ (٣)
أَتَيْهَا الْقَوْمُ عَظُمُوا وَاضَعَ الْأَمْسَ وَالْحَجَرَ
أَذْكُرُوا الْخُطْبَةَ الَّتِي هِيَ مِنْ آيَةِ الْكَبَرِ (٤)

(*) لأُمير الشعراء عدة قصائد في مصطفى كامل باشا ، هذه إحداها ، وقد أُلقيت في الاحتفال الذي أقيم تخليداً لذكراه في فبراير سنة ١٩٢٦ .
(١) يقول في كل أوبة شمس وفي كل عودة قر يؤوب للفقيد فضل ويتجدد له ذكر ، وإذن فهو لا يحسب ميتاً ، وغاية الأمر أنه غائب في سفر بعيد .
(٢) الخفر : القبور .

(٣) الذي ينفذ المدي : يراد به صاحب الطعنات النافذة .
(٤) يريد آخر خطبة للفقيد وقد ظنّها الناس يومئذ خطبة الوداع .

لم يرَ الناسُ قبلَها منبرًا تحت مُختَضِر
لستُ أنسى لِوَاءَهُ وهو يمشى إلى الطَفَر
حَشَرَ الناسَ تحتَهُ زُمَرًا لِأثرِها زُمَر
وترى الحقَّ حوله لا ترى البيضَ والسَّمَر (١)
كلَّما راح أو غدا تَفْخَ الرُّوحَ في الصُّور

* * *

يا أبا النَّفْسِ في الصِّبا لذةُ الرُّوحِ في الصَّغَر
وخليلًا ذخرُهُ لم يُقَوِّمَ بِمُدَّخَر
حالَ بَيْنِي وبَيْنَهُ في فُجَاءَةِ القَدَر
كيف أجزى مَوَدَّةً لم يُشَبِّ صَفْوَها كَدَر
غيرَ دَمْعٍ أَقْوَلُهُ قَلَّ في الشَّانِ أو كَثُر
وُفُؤَادٍ مُعَلَّلٍ بالخيالاتِ والذِّكْر
لم يَتَمَّ عنكَ ساعةً في الاحاديثِ والسَّمَر
قم تر القومَ كُتْلَةً مثلَ مَلُومَةٍ الصَّخَر (٢)
جَدَّدُوا أَلْفَةَ الهوى والإخاءَ الذي شَطِر
ليس لِلخَلْفِ بَيْنَهُم أو لِأَسبابِهِ أَثَر
أَلَفْتَهُم رَوَائِحُ غادياتٍ مِنَ الغَيْرِ

(١) البيض : السيوف . والسمر : الرماح .

(٢) مَلُومَة : بمعنى مجتَمعة . ويقال للدرع مَلُومَة ، وكذلك يقال للسكينة . وهي

الفرقة بين الجيش : مَلُومَة أيضًا .

- وَصَحَّوْا مِنْ مُنُومٍ وَأَفَاقَوْا مِنَ الْخَدَرِ (١)
 أَقْبَلُوا نَحْوَ حَتِّهِمْ مَا لَهُمْ غَيْرُهُ وَطَرِ
 جَعَلُوهُ خَلِيَّةً شَرَعُوا دُونَهَا الْإِبْرَ (٢)
 وَتَوَاصَوْا بِخُطَّةٍ وَتَدَاعَوْا لِمُؤْتَمِرٍ (٣)
 وَقُصَّارَى أَوَّلَى النِّهْيِ يَتَلَقَّوْنَ فِي الْفِكْرِ
 آذَنُونَا بِمَوْقِفٍ مِنْ جَلَالٍ وَمِنْ خَطَرِ
 نَسْمَعُ اللَّيْثَ عِنْدَهُ دُونَ آجَامِهِ زَارِ
 قُلْ لَهُمْ فِي نَدْيِهِمْ مَصْرُ بِالْبَابِ تَنْظُرُ (٤)

-
- (١) الخدر : الكسل ، وهو مصدر خدر ، كفرح .
 (٢) الخلية : موضع سكن النحل . شرعوا الإبر : رفعوها استعدادا للتضال بها ، كما
 يقال : شرع سيفه ، إذا انتضاه من غمده .
 (٣) تداعوا : تجمعوا .
 (٤) يريد بالندي : البرلمان ، وكان وقتئذ يهياً .

المنفلوطي (*)

اخترت يومَ الهولِ يومَ وداعٍ ونعاك في عصف الرياح النَّساعي^(١)
هتفَ الثَّعَاةُ ضَحَى فَأَوْصَدَ دُونَهُمْ جُرْحُ الرَّئِيسِ مَنَافِدَ الْأَسْمَاعِ
مَنْ مَاتَ فِي فِزَعِ الْقِيَامَةِ لَمْ يَجِدْ قَدَمَا تُشَيِّعُ أَوْ حَفَاوَةَ سَاعِي
مَا ضَرَّ لَوْ صَبَرْتَ رِكَابُكَ سَاعَةً كيف الوقوفُ إِذَا أَهَابَ الدَّاعِي
خَلَّ الْجَنَائِزَ عَنْكَ لِاتَّحِفَلُ بِهَا ليس الغرورُ لِمَيِّتٍ يَمْتَنِعُ
سِرٌّ فِي لَوَاءِ الْعَبْقَرِيَّةِ وَانْتِظَمَ شَتَّى الْمَوَاقِبِ فِيهِ وَالْأَتْبَاعُ
وَاصْعَدُ سَمَاءَ الذِّكْرِ مِنْ أَسْبَابِهَا وَاظْهَرُ بِفَضْلِ كَالنَّهَارِ مُذَاعُ
فُجِعَ الْبَيَانُ وَأَهْلُهُ بِمَصَوِّرٍ كَلِيقِ بُوْشَيِ الْمُتَمَتِّعَاتِ صَنَاعُ
مَرْمُوقِ أَسْبَابِ الشَّبَابِ وَإِنْ بَدَتْ للشَّيْبِ فِي الْقَوْدِ الْأَحْمَرِ رَوَاعِي^(٢)
تَتَخَيَّلُ الْمَنْظُومَ فِي مَشْوَرةٍ فتراهُ تَحْتَ رَوَائِعِ الْإِسْجَاعِ
لَمْ يَجْمَعْ الْفُضْحَى وَلَمْ يَهْجُمْ عَلَى أَسْلُوبِهَا أَوْ يُزِرُّ بِالْأَوْضَاعِ
لَكِنْ جَرَى وَالْعَصْرَ فِي مِضْمَارِهَا شَوْطًا فَأَحْرَزَ غَايَةَ الْإِبْدَاعِ
حُرَّ الْبَيَانِ قَدِيمِهِ وَجَدِيدِهِ كَالشَّمْسِ جِدَّةَ رُقْعَةٍ وَشُعَاعِ
يُونَانُ لَوْ يَبِيعُ (بُهْمِيرٍ) لَمَّا خَسِرَتْ لَعَمْرُكَ صَفْقَةَ الْمُبْتَاعِ

(*) هو الكاتب الدائع الصيت مصطفى لطفى المنفلوطى . اشتهر بأسلوب إنشائي خاص لفت إليه أظار القراء في عصره ، وقد توفى سنة ١٩٢٤ .

(١) يشير بيوم الهول إلى أن وفاة المفيد كانت في يوم إطلاق الرصاص على الزعيم سعد باشا .

(٢) القود : أحد القودين ، وهما جانبا الرأس من الأمام . والأحم : الأسود . والرواعي : جمع راعية . ويريد « بالرواعي » الشعرات البيض اللواتي ظهرت في جانبي رأسه .



يأمرسل (النظرات) في الدنيا وما فيها على ضجر وضيق ذراع^(١)
ومُرْقِرَق (العبرات) تجرى رقةً للعالم الباكي من الاوجاع^(٢)
من ضاقَ بالدنيا فليس حكيماً بها إن الحكيم بها رحيبُ الباع
هي والزمانُ بأرضه وسمائه في لُجّةِ الاقدارِ نضوُ شرّاع^(٣)
من شدَّ ناداهُ إليه فردّه قدّر كراعٍ سائقٍ بقطاع^(٤)
ما خلفه إلا مَقوْذُ طائع مُتلفّت عن كبرياء مُطاع
جَبَّارُ ذَهِينٍ أو شديدُ شَكِيمَةٍ يَمضَى مُضَى العاجزِ المنصاع
من شوّة الدنيا إليك فلم تجد من شوّة الدنيا إليك فلم تجد
أبكلّ عينٍ فيه أو وجهٍ ترى لمحات دمع أو رسومَ دِمَاع^(٥)
ما هكذا الدنيا ؛ ولكن نُقله دمعُ القرير وعبرةُ المُلتاع
لا الفقرُ بالعبراتِ خَصَّ ولا الغنى غيرُ الحياةِ لهنَّ حكمُ مُشاع^(٦)
ما زالَ في الكوخِ الوضعِ بواعثُ منها وفي القصرِ الرفيعِ دَوَاعِي
في القَفْرِ حَيَاتٌ يُسَيِّبُهَا به حاوِي القضاء وفي الرِّياضِ أَفَاعِي
ولربُّ بُؤْسٍ في الحياةِ مُنَمَّعٍ أَرَبَى على بُؤْسٍ بغيرِ قِنَاعٍ

(١) النظرات : اسم كتاب للفقيـد .

(٢) العبرات : اسم كتاب له أيضا .

(٣) نضو شرّاع : أى شرّاع هزيل متعزق لا يسكاد يقوى على مصارعة أمواج تلك اللجة ، بل لا يسكاد يرى في خضمها المحيط .

(٤) القطاع : طائفة من الغنم .

(٥) رسوم دِمَاع ، أى آثار تبدو في مجرى الدمع ، كأن الدموع لكثرتها تصنع لها طريقا في موضع مسيلها .

(٦) غير الحياة : نوائبها المغيرة على الناس .



يا (مصطفى) البُلغَاءِ أَى يرَاعِيهٗ فَقَدُوا وَأَى مُعَلِّمٌ يَرَاعِ
اليَوْمَ أَبْصَرْتَ الْحَيَاةَ فَقُلْ لَنَا مَاذَا وَرَاءَ سَرَاجِهَا اللَّمَاعِ
وَصِفِ الْمُنُونِ فَكَمْ قَعَدَتْ تَرَى لَهَا شَبِيحًا بِكُلِّ قَرَارَةٍ وَيَقَاعِ^(١)
سَكَنَ الْأَحْبَةُ وَالْعِدَى وَفَرَّغَتْ مِنْ حَقْدِ الْخُصُومِ وَمِنْ هَوَى الْأَشْيَاعِ
كَمْ غَارَةً شَنُّوا عَلَيْكَ دَفَعْتَهَا تَصِلُ الْجُهُودَ فَكُنْ خَيْرَ دِفَاعِ
وَالْجُهْدُ مُؤْتٍ فِي الْحَيَاةِ ثِمَارَهُ وَالْجُهْدُ بَعْدَ الْمَوْتِ غَيْرُ مُضَاعِ
فَإِذَا مَضَى الْجَمِيلُ الْمَرِاضُ صَدُورُهُ وَأَتَى السَّلِيمُ جَوَانِبَ الْأَضْلَاعِ
فَافْزَعْ إِلَى الزَّمَنِ الْحَكِيمِ فَعِنْدَهُ نَقْدُ تَنْزَعٍ عَنْ هَوَى وَنِزَاعِ
فَإِذَا قَضَى لَكَ أَثَبْتَ مِنْ شَمِّ الْعُلَا بِنَفْسٍ بَعْدَتْ عَلَى الطَّلَاعِ^(٢)
وَأَجَلٌ مَا فَوْقَ التُّرَابِ وَتَحْتَهُ قَلَمٌ عَلَيْهِ جَلَالَةُ الْإِجْمَاعِ
تِلْكَ الْأَنَامِلُ نَامَ عَنْهُمْ الْبَلَى عَظَّلْنَ مِنْ قَلَمٍ أَسْمَ شُجَاعِ
وَالْجُبْنَ فِي قَلَمِ الْبَلِيغِ نَظِيرُهُ فِي السِّيفِ مَنَقْصَةٌ وَسُوءُ سَمَاعِ

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض ، كالنجد . والقرار : ما انخفض منها كالوهاد .
(٢) الثنية : الطريق في أعالي الجبال . ويجمع على الثنايا . وقد تمثل الحجاج في خطبته
المشهيرة بقول بعضهم : أنا ابن جلا وطلاع الثنايا .

عاطف بركات باشا(*)

خَفَضْتُ لِعِزَّةِ الْمَوْتِ الْيَرَاةَا وَجَدْتُ جَلَالَ مَنْطِقِهِ يَرَاةَا
كُفِيَ بِالْمَوْتِ لِلتَّنْذُرِ ارْتِجَالًا وَلِلْعِبَرَاتِ وَالْعِبَرِ اخْتِرَاةَا
حَكِيمٌ صَامَتْ فَضَحَ اللَّيَالِي وَمَرَّقَ عَنْ خَنَا الدُّنْيَا الْقِنَاةَا
إِذَا حَضَرَ النُّفُوسَ فَلَا نَعِيمًا تَرَى حَوْلَ الْحَيَاةِ وَلَا مَتَاةَا
كَشَفْتُ بِهِ الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْهَا وَلَمَحَّةَ مَائِهَا إِلَّا خِدَاةَا
وَمَا الْجِرَّاحُ بِالْآسَى الْمُرْجَى إِذَا لَمْ يَقْتُلِ الْجُثَّتِ اطِّلَاةَا^(١)
فَإِنَّ ثَقُلَ الرِّثَاءُ ثَقُلَ دُمُوعَا يُصَاغُ بِهِنَّ أَوْ حِكْمًا تُرَاةَا
وَلَا تَكُ مِثْلَ نَادِيَةِ الْمُسْجَى بَكَتْ كَسْبًا وَلَمْ تَبْكِ التِّيَاةَا^(٢)
خَلَّتْ دَوْلُ الزَّمَانِ وَزُلْنَ رُكْنَا وَرُكْنُ الْأَرْضِ بَاقٍ مَا تَدَاةَا^(٣)
كَأَنَّ الْأَرْضَ لَمْ تَشْهَدْ لِفَاءَ تَكَادُ لَهُ تَمِيدُ وَلَا وِدَاةَا
وَلَوْ آبَتْ ثَوَاكِلُ كُلِّ قَرْنٍ وَجَدْنَ الشَّمْسَ لَمْ تَشْكَلْ شُعَاةَا
وَلَكِنْ تُضْرِبُ الْأَمْثَالَ رُشْدَا وَمِنْهَاجًا لِمَنْ شَاءَ اتِّبَاةَا
وَرَبِّ حَدِيثٍ خَيْرٍ هَاجَ خَيْرًا وَذِكْرِ شِجَاعَةٍ بَعَثَ الشُّجَاةَا

(معارف) مصرَ كانَ لهُنَّ رُكْنٌ فَذُقْنَ الْيَوْمَ لِلرُّكْنِ انْصِدَاةَا
مَضَى أَعْلَى الرِّجَالِ لَهَا يَمِينَا وَأَرْحَبُهُمْ بَخَلَّتْهَا ذِرَاةَا

(*) عاطف بركات باشا : أحد رجالات مصر المقدمين وأحد نوابغ جيله المعلمين ، ترقى إلى منصب وكيل وزارة المعارف ، وقد توفى سنة ١٩٢٥ .

(١) يقال : قتل الأمر اطلاعا ، إذا بحثه طويلا . والآسى : الطبيب .

(٢) المسجى : الميت . والالتياح : شدة الحزن .

(٣) تداعى الركن : أى سقط متهدما .

وأكثرهم لها وقفات صدق إباءاً في الحوادث أو زماً
أنته فناها نفلاً وفيها فلا هبة أنته ولا اصطناعاً^(١)
تنقل يافعاً فيها وكهلاً ومن أسبابها بلغ اليقاع
فتى عجمته أحداث الليالى فلا ذلاً رأين ولا اختضاعاً
سجن مهنداً ونقن تبرا وزدن المسك من ضغط فضاء^(٢)
شديد صلب في الحق حتى يقول الحق لينا وأداعاً^(٣)
ومدرسة سمت بالعلم ركننا وأنهضت القضاء والاشتراعاً^(٤)
بناها محسناً بالعلم برا يشيد له المعالم والرباعاً^(٥)
وحارب دونها صرعى قديم كأن بهم عن الزمن انقطاعاً
إذا لمح الجديد لهم تولوا كذى رميد على الضوء امتناعاً

* *

أخا « سيشيل » لاتذكر بحاراً بعدن على المزار ولا بقاعاً^(٦)
وربك ما وراء نواك بعد وأنت بظاهر الفسطاط قاعاً^(٧)

(١) النفل : مفرد الأنفال ، يعنى العطايا المكتسبة من النوى . والنوى : الغنيمة . والاصطناع : هو ما يعبر عنه في زمننا بالمحسوبة .

(٢) ضاع المسك والطيب : سطم عطره . لما قال : « فتى عجمته أحداث الليالى » شرع يبين كيف كان ذلك ، فأخبر أنه سجن فكان أشبه بالمهند ، ونفى فكان مثل التبر ، وحين شدت أحداث الليالى ضغطاً كان الفقيد أشبه بالمسك الذى يسحق فيزيد أرجا وطيبا .
(٣) صلب (باللام المشددة) : أى كثير الصلابة . والاتداع : من الوداعة ، وهى رقة الخلق .

(٤) يشير بهذا البيت إلى أن الفقيد كان هو أول قيم على مدرسة القضاء الشرعى ، وقد أنشئت تلك المدرسة لتخريج القضاة الشرعيين ، ولم يستغن عنها إلا بعد إصلاح الأزهر والاكتفاء بأبنائه .

(٥) الرباع ، جمع ربيع : الدار .

(٦) سيشيل ، إحدى جزر الهند النائية . نفى إليها الفقيد حين اتهمته السلطات الانجليزية بالتحريض السياسى فى ثورة مصر الكبرى .

(٧) الفسطاط : مدينة مصر . وظاهر الفسطاط : أى ضاحيتها . والقاع فى الأصل : هو المنخفض من الأرض . ويريد به هنا موضع القبر حيث دفن الفقيد .

نَزَلَتْ بِعَالَمٍ خَرَقَ الْقَضَايَا وَأَصْبَحَ فِيهِ نَظْمُ الدَّهْرِ ضَاغَا
نَقَلَ الْأَرْبَعِينَ لِحَافِلِهَا وَقُمْتَ تَجِدُ الْقُرُونَ مَرْرُنَ سَاعَا (١)

مَرِضَتْ فَمَا أَلَحَّ الدَّاءُ إِلَّا عَلَى نَفْسٍ تَعَوَّدَتْ الصَّرَا
وَلَمْ يَكْ غَيْرَ حَادِثَةٍ أَصَابَتْ مُفَلَّلَ كُلِّ حَادِثَةٍ قِرَاعَا (٢)
وَمَنْ يَتَجَرَّعُ الْآلَامَ حَيًّا تَسْخُغُ عِنْدَ الْمَمَاتِ لَهُ أَجْتِرَاعَا
أَرِقَتْ وَكَيْفَ يُعْطَى الْغَمَضُ جَفْنُ قُسْلُ وَرَاءَهُ الْقَلْبَ الرُّوَا (٣)
وَلَمْ يَهْدَأْ وَسَادُكَ فِي اللَّيَالِي لَعَلَّكَ أَنْ سَتَفْنِيهَا أَضْطَجَاعَا
عَجِبْتَ لِشَارِحِ سَبَبِ الْمُنَايَا يُسَمَّى الدَّاءَ وَالْعِلَلَ الْوِجَاعَا
وَلَمْ تَكُنِ الْخُتُوفُ مَحَلَّ شَكِّ وَلَا الْآجَالُ تَحْتَمِلُ التَّزَا
وَلَكِنْ صُيِّدَتْ وَلَهَا بُزَا تَرَى (السَّرَطَانَ) مِنْهَا وَالصُّدَا (٤)
أَرَى التَّعْلِيمَ لَمَّا زُلْتَ عَنْهُ ضَعِيفَ الرِّكْنِ مَخْذُولًا مُضَا
غَرِيقُ حَاوَلَتْ يَدُهُ شَرَا فَلَمَّا أَوْشَكَتْ فَقَدَ الشَّرَا
سَرَاةَ الْقَوْمِ مُنْصَرَفُونَ عَنْهُ وَصُخْفُ الْقَوْمِ تَقْتَضِبُ الدِّفَاعَا (٥)
لَقَدْ نَسَاهُ يَوْمُكَ نَاصِبَاتٍ مِنَ السَّنَوَاتِ قَاسَاهَا تَبَا (٦)
قُمْتَ ابْنَ الْأَمَهَاتِ عَلَى أَسَاسٍ وَلَا تَبْنِ الْحِصُونَ وَلَا الْقِلَاعَا

(١) الأربعة عشر في هذا البيت ، مقصود بها الأيام التي مضت على وفاته ، أو السن التي توفي فيها . والساع والساعات : جمع ساعة .

(٢) القراع : نوع من الحرب والمغالبة .

(٣) الرواع : من قولهم : نافقة رواع الفؤاد ، بضم الراء وفتح الواو ، أى شهمة ذكية .

(٤) البزاة : جمع بازى ، وهو ضرب من الصقور .

(٥) سراة القوم : ساداتهم . والافتضاب : بمعنى القطع أو الإيجاز والاختصار .

(٦) ناصبات ، من قولهم : عيش ناصب ، أى فيه كد وجهد . وتبعا ، أى متتابعة .

فُهَنْ يَلْدُنْ لِلْقَصْبِ الْمَذَاكِ وَهَنْ يَلْدُنْ لِلْغَابِ السَّابَا (١)
 وجدتُ معانيَ الاخلاقِ شَتَّى جُمَعَنَ فَكَنَ فِي اللَّفْظِ الرُّضَا
 عزاءُ الصَّابِرِينَ (أَبَا بَهِي) وَمِثْلُكَ مِنْ أَنَابٍ وَمِنْ أَطَاعَا (٢)
 صَبَرَتْ عَلَى الْحَوَادِثِ حِينَ جَلَسَتْ وَحِينَ الصَّبْرُ لَمْ يَكُ مُسْتَطَاعَا
 وَإِنَّ النَّفْسَ تَهْدَا بَعْدَ حِينٍ إِذَا لَمْ تَلْقَ بِالْجُزَعِ انْتِفَاعَا
 إِذَا اخْتَلَفَ الزَّمَانُ عَلَى حَزِينٍ مَضَى بِالْذَمِّ مَحَا الدَّمَا
 قُصَارَى الْفَرَقْدِينَ إِلَى قَضَاءٍ إِذَا عَثَرَ بِهِ أَنْفَصَا اجْتِمَاعَا
 وَلَمْ تَحْوِ الْكِسَانَةُ آلَ سَعِيدٍ أَشَدَّ عَلَى الْعِدَا مِنْكُمْ نِبَاعَا (٣)
 وَلَمْ تَحْمِلْ كَشِيخُكُمْ الْمَقْدَى مُهَوِّضًا بِالْأَمَانَةِ وَأَضْطِلَاعَا
 غَدَا فَصْلُ الْخُطَابِ فَنَ بَشِيرَى بِأَنَّ الْحَقَّ قَدْ غَلَبَ الظُّلُمَا
 سَلَوْا أَهْلَ الْكِسَانَةِ هَلْ تَدَاعَوْا فَإِنَّ الْخِصَمَ بَعْدَ غَدٍ تَدَاعَى
 وَمَا (سَعْدُ) بِمُتَجَرِّ إِذَا مَا تَعَرَّضْتَ الْحَقُوقُ شَرَى وَبَاعَا
 وَلَكِنْ تَحْتَمِي الْأَمَالُ فِيهِ وَتَدَّرِعُ الْحَقُوقُ بِهِ ادَّرَاعَا (٤)
 إِذَا نَظَرْتَ قُلُوبَكُمْ إِلَيْهِ عَلَا لِلْحَادِثَاتِ وَطَالَ بَاعَا (٥)

- (١) المذاكى: الخيل التي كملت قوتها . والقصب : هو الخطر الذي يتراهن عليه المتسابقون .
 (٢) أباهي ، ينادى بهذه الكنية فتح الله بركات باشا شقيق الفقيده . وأناب : رجع إلى الله .
 (٣) النباع : جمع نبع ، وهو شجر للقسي والسهم ، ينبت في قمة الجبال . وآل سعد : هم آل زغلول باشا أخوال الفقيده .
 (٤) تدرع الحقوق به ، أي تجعل منه درعا له . والدرع : ثوب حديد يلبسه المحارب ليحتمي به من السيوف وأشباهاها .
 (٥) طال باعا ، أي طال شأوا وعظم قوة .

المويلحي (*)

- كاتبٌ مُحسِنُ البَيانِ صَناعُهُ اسْتَخَفَّ العقولَ حينًا يَراعُهُ (١)
 أينَ مَصرُ وإِنما كُلُّ أرضٍ تَنطِقُ الضادَ مَهْدُهُ ورباعُهُ (٢)
 إِنما الشرقُ مَنزِلٌ لم يُفَرِّقْ أَهلَهُ إِنْ تَفَرَّقَتْ أَصقاعُهُ (٣)
 وَطَنٌ واحِدٌ على الشمسِ والفُص مَحى وفي الدَمعِ والجِراحِ أَجتماعُهُ
 عَلمٌ في البَيانِ وابنُ لَواءٍ أَخَذَ الشرقَ حِقْبَةً لِبِداعِهِ
 حِسابُهُ السَحرُ من تُراثِ أُمِّهِ إِنْ تَوَلَّتْ قَصورُهُ وِضايَعُهُ (٤)
 إِنما السَحرُ والبَلاغةُ والحِكم سَمَةُ بَيتٍ ، كِلاهُما مِصرانُهُ

- في يَدِ النِّشْرِ مِن بَيانِ (المويلحي) مَثَلٌ يَنفَعُ الشَّبابَ اتِّباعُهُ
 صُورٌ من حَقِيقَةٍ وَخَيالٍ هِيَ إِحسانُ فَكرِهِ وابْتِداعُهُ
 رَبٌّ يَجْعَلُ كَمُرْقَصِ الشَّعرِ لَمَّا يَخْتَلِفُ لِحْنُهُ ولا إِيقاعُهُ
 أَوْ كَسَجْعِ الحِمَامِ لو فَصَّلْتَهُ وَتَأَنَّتْ بِهِ وَدَقَّ آخِتراعُهُ
 هُوَ فِيهِ بَدِيعُ كُلِّ زَمانٍ ما بَدِيعُ الزَمانِ ما أَتْجاعُهُ (٥)

(*) هو الكاتب الكبير محمد المويلحي المتوفى سنة ١٩٣٠ وقد ألفت هذه القصيدة في حفلة تأبينه .

- (١) يقال يد صناع ، أى ماهرة حاذقة ، وبيان صناع أيضا .
 (٢) رباع : جمع ربع ، وهو الدار .
 (٣) أصقاعه ، جمع صقع (بضم الصاد) : الناحية .
 (٤) تولت القصور ، أى ذهبت . والضيايع : جمع ضيعة ، وهى العقار والأرض المعلقة .
 (٥) بديع الزمان ، هو الهمداني صاحب المقامات المشهورة .

يَحِبُّ النَّاسُ مِنْ طِبَاعِ الْمَوِيلِحِيِّ وَفِي الْأَسَدِ خُلْفَهُ وَطِبَاعَهُ
 فِيهِ كِبَرُ اللَّيْثِ حَتَّى عَلَى الْجَوِّ عَ وَفِيهَا لِبَاؤُهُ وَأَمْتِنَاعُهُ
 تَعِبَ الْمَوْتُ فِي صَبُورٍ عَلَى النَّزْرِ عَ قَلِيلٍ إِلَى الْحَيَاةِ نِزَاعُهُ (١)
 صَارَعَ الْعَيْشَ حَقْبَةً لَيْتَ شَعْرَى سَاعَةَ الْمَوْتِ كَيْفَ كَانَ صِرَاعُهُ
 قَهَرَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ وَقَدْ تَحَمَّكُمْ فِي رَائِضِ السَّبَاعِ سَبَاعُهُ
 مُهْجَةً حُرَّةً وَخُلُقَ أَبِي عَنَى عَنْهُ الزَّمَانُ وَارْتَدَّ بَاعُهُ

فِي الثَّمَانِينَ يَا (مُحَمَّد) عِلْمَ لِعَلِيمٍ وَلَمَّا تَنَاهَى أَطْلَاعُهُ (٢)
 لَمْ تَقَاعَدَتْ دُونَهَا وَتَوَانَى سَائِقُ الْفَلَكَ وَأُضْمِحِلَّ شِرَاعُهُ
 رَبِّ شَيْبٍ بَنَتْ صُرُوحَ الْمَعَالَى سَلْتَاهُ وَشَادَتْ الْمَجْدَ سَاعَهُ
 فِيهِ مِنْ هِمَّةِ الشَّبَابِ وَلَكِنْ لَيْسَ فِيهِ جِمَاحُهُ وَانْدِفَاعُهُ

سَيِّدُ الْمُنْشِينَ حَتَّ الْمَطَايَا وَمَضَى فِي غِبَارِهِ أَتْبَاعُهُ
 حَظَّهُمْ (بِالْإِمَامِ) لِلْمَوْتِ رَكْبُ يَتَّلَاقِي بِطَاؤُهُ وَسِرَاعُهُ
 قَنَعُوا بِالْتَرَبِّ وَجْهًا كَرِيمًا كَانَتْ مِنْ رُقْعَةِ الْحَيَاءِ قِنَاعُهُ
 كَسَمْنَا الْفَجَرَ فِي ظِلَالِ الْغَوَادِي كَرَّمْ صَفْحَتَاهُ هَدَى شُعَاعُهُ

(١) النِّزَعُ لِلْمَيِّتِ : سَاعَاتُ احْتِضَارِهِ . يَقُولُ لِأَنَّهُ مَعَ زَهْدِهِ فِي الْحَيَاةِ فَقَدْ طَالَ زَمَنُ احْتِضَارِهِ ، وَلَا يَكُونُ هَذَا إِلَّا مِنْ قُوَّةِ الْحُبُوبَةِ الَّتِي تَسْتَطِيعُ مِغَالِبَةَ الْمَوْتِ .
 (٢) فِي الثَّمَانِينَ : يَقْصِدُ ثَمَانِينَ عَامًا .

يا وحيداً كأمسٍ في كسر بيتٍ ضيقٌ بالنزِيلِ رَحْبِ ذِرَاعِهِ (١)
 كُلُّ بَيْتٍ تَحْمِلُهُ يَسْتَوِي عِنْدَكَ فِي الزُّهْدِ ضَيْقُهُ وَأَتْسَاعُهُ
 نَمَ مَلِيًّا فَلَسَتْ أَوَّلَ لَيْثٍ بِفَلَاةٍ (الإمام) طَالَ آخِطِجَاعُهُ (٢)
 حَوْلَكَ الصَّالِحُونَ طَابُوا وَطَابَتْ أَكْثُ (الإمام) مِنْهُمْ وَقَاعُهُ (٣)
 قَلَدُوا الشَّرْقَ مِنْ جَمَالٍ وَخَيْرٍ مَا يُوَدُّ الْمَفْنِينَ أَنْتَزَاعُهُ (٤)
 أُسِّسَتْ نَهْضَةُ الْبِنَاءِ بِقَوْمٍ وَبِقَوْمٍ سَمَاءُ وَطَالَ آرْتِفَاعُهُ
 كُلِّ حَيٍّ وَإِنْ تَرَاخَتْ مَنَابِيا هُ فُضَاءٌ عَنِ الْحَيَاةِ آفِطَاعُهُ
 وَالَّذِي تَحْرِصُ النُّفُوسُ عَلَيْهِ عَالَمٌ بَاطِلٌ قَلِيلٌ مَتَاعُهُ

(١) كسر البيت (بكسر الكاف وفتحها) : جانبه .

(٢) فلاة الإمام : صحراء الإمام الشافعي ، حيث مدفن الفقير .

(٣) أكتات ، جمع أكمة : المرتفع من الأرض . والقاع : المنخفض منها .

(٤) يؤود : بمعنى ينقل ويتعب . والمفنين : المكذبين .

إسماعيل باشا صبرى (*)

أَجَلٌ وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ مُوَافٍ أَخْلَى يَدُكَ مِنَ الْخَلِيلِ الْوَافِ
دَاعٍ إِلَى حَقِّ أَهَابٍ بَخَّاشِعٍ لَيْسَ النَّذِيرُ عَلَى هُدًى وَعَفَافٍ (١)
ذَهَبَ الشَّبَابُ فَلَمْ يَكُنْ رُزْنِي بِهِ دُونَ الْمُصَابِ بَصْفُوقِ الْأَلْفِ
جَلَّلٌ مِنَ الْأَرْزَاءِ فِي أَمْسَالِهِ هِمَمُ الْعِزَاءِ قَلِيلَةُ الْإِسْعَافِ
خَفَّتْ لَهُ الْعَبْرَاتُ وَهِيَ أَيْبَةٌ فِي حَادِثَاتِ الدَّهْرِ غَيْرُ خِفَافِ
وَلِكُلِّ مَا أَتَلَفْتَ مِنْ مُسْتَكْرَمٍ إِلَّا مَوَدَّاتِ الرِّجَالِ تَلَافٍ (٢)
مَا أَنْتَ يَا دُنْيَا؟ أَرَوْيَا نَائِمٍ أَمْ لَيْلُ عُرْسٍ أَمْ بِسَاطُ سُلَافٍ؟
كَعَمَاؤِكَ الرِّيحَانُ إِلَّا أَنَّهُ مَسَّتْ حَوَاشِيَهُ نَقِيعُ زُعَافٍ (٣)
مَا زِلْتُ أَصْحَبُ فَيْكِ خُلُقًا ثَابِتًا حَتَّى ظَفِرْتُ بِخُلُقِكَ الْمُتَنَافِ

ذَهَبَ الذَّبِيحُ السَّمْحُ مِثْلَ سَمِيهِ طَهَرَ الْمَكْفَنَ طَيِّبَ الْأَلْفِافِ (٤)
كَمْ بَاتَ يَذْخَجُ صَدْرُهُ لَشَمَكَاتِهِ أُرَاهُ يَحْسِبُهَا مِنَ الْأَضْيَافِ (٥)

(*) إسماعيل باشا صبرى ، أحد الشعراء السابقين الفحول ، وكان يلقب بشيخ الشعراء وكان أحد رجال الدولة في عصره ، فقد تسم أعلى المناصب القضائية وترقى إلى منصب وكيل وزارة الحفانية ، ثم وافاه الموت في سنة ١٩٢٣ .

(١) النذير : الموت .

(٢) المستكرم : هو كل كريم عليك من مال ونحوه .

(٣) نقيع زعاف ، أى سم ناجع بالغ .

(٤) يشبه الفقيد بالذبيح . والذبيح : قيل سيدنا إسماعيل ، وقيل سيدنا إسحاق .

والمراد هنا سيدنا إسماعيل ، ومن أجل ذلك صار الفقيد سميًا له . والألفاف : يقصد بها

المكفن . يريد أنه ذهب طيب المظهر والخير .

(٥) الشكاة : هى العلة التى يشكوها المريض .

نزلت على سحر السّاحر ونحّره
 لّجت على الصّدر الرّحيب وبرّحت
 ما كان أفسى قلبها من عِلّة
 قلب لو انتظم القلوب حنانه
 حتى رماه بالمنيّة فانجلت
 أخنت على الفلك المدار فلم يدّر
 ومضت بنار العبقرية لم تدع
 سحّلوا على الاكتاف نور جلاله
 وتقلّدوا النعش الكريم يتيمة
 متمايل الأعواد مما مسّ من
 وإذا جلال الموت وافٍ سابغ
 ويح الشباب وقد تخطّر بينهم
 لو عاش قُدوتهم وربّ لواتهم ،
 فلهم سقاء الودّ حين وداده
 لا يوم للأقوام حتى ينهضوا
 بقواديم من أمسيهم وخوافي^(١)
 بالكاظم الغيظ الصّفوح العافى
 علّقت بأرحم حبة وشغاف^(٢)
 لم يبق قاس في الجوانح جافى
 من يتلى بقضائه ويُعافى
 وعلى العباب فقرّ في الرّجاف^(٣)
 غير الرّماد ودّارسات أنافى^(٤)
 يذرّ العيون حواسد الاكتاف
 ولكم نعوش في الرقاب زياف
 ككرم ومما ضمّ من أعطاف
 وإذا جلال العبقرية ضافى
 هل مُتّعوا بتمشّح وطواف
 نكسّ اللواء ، لثابت وقاف^(٥)
 جرب لاهل الحكم والإشراف
 بقواديم من أمسيهم وخوافي^(٦)

(١) السحر : الرئة . والنحر : أعلى الصدر . والأكتاف : جمع كنف ، وهو الجانب .

(٢) يريد بقوله « أرحم حبة » : القلب . والشغاف (بالفتح) : غلاف القلب .

(٣) العباب : هو الموج . والرجاف : البحر .

(٤) الأنافى : جمع أنفية ، وهي ما يوضع عليه القدر .

(٥) رب لواتهم : يقصد به صاحب جريدة اللواء ، ومنشئها زعيم الشباب الأول المرحوم مصطفى كامل باشا .

(٦) القواديم والخوافي : ريش في جناح الطائر . وقد ورد في قول بعضهم : فإن الخوافي قوة للقواديم .

* *

لَا يُعْجِبَنَّكَ مَا تَرَى مِنْ قُبَّةٍ ضَرَبُوا عَلَى مَوَاتِهِمْ وَطَرَفٍ ^(١)
 هَجَمُوا عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ بِيَاطِلٍ وَعَلَى سَبِيلِ الْقَصْدِ بِالْإِسْرَافِ ^(٢)
 يَبْنُونَ دَارَ اللَّهِ كَيْفَ بَدَا لَهُمْ غُرَفَاتٍ مُثَرٍ أَوْ سَقِيفَةً عَافٍ ^(٣)
 وَيُزَوِّرُونَ قُبُورَهُمْ كَقُصُورِهِمْ وَالْأَرْضُ تَضْحَكُ وَالرَّفَاتُ السَافِى

* *

جُعِثَتْ رَبُّى الْوَادِى بَوَاحِدِ أُنْيَكْهَا وَتَجَرَّعَتْ نُكْلَ الْغَدِيرِ الصَّافِى
 فَقَدَتْ بَنَانًا كَالرَّيْعِ مُجِيدَةً وَشَى الرِّيَاضِ وَصَمْعَةَ الْأَفْوَافِ ^(٤)
 إِنْ فَاتَهُ نَسَبُ «الرَّضَى» قُرْبَمَا جَرِيَا لِنَايَةِ سُودَدٍ وَطَرَفٍ ^(٥)
 أَوْ كَانَ دُونَ «أَبِى الرِّضَى» أَبَوَةً فَلَقَدْ أَعَادَ بَيَانَ «عَبْدِ مَنْفٍ»
 شَرَفُ الْعَصَامِيِّينَ صُنْعُ نَفُوسِهِمْ مَنْ ذَا يَقِيسُ بِهِمْ بَنَى الْإِسْرَافِ
 قُلْ لِلشَّيْرِ إِلَى أَبِيهِ وَجَدَّهُ أَعْلَيْتَ لِلْقَمَرَيْنِ مِنْ أَسْلَافٍ ؟
 لَوْ أَنَّ (عِمْرَانًا) نِجَارُكَ لَمْ تُسَدِّ حَتَّى يُشَارَ إِلَيْكَ فِي الْأَعْرَافِ ^(٦)

(١) طَرَفٌ - عَلَى وَزْنِ كِتَابٍ : بَيْتٌ مِنْ أَدَمَ . وَيَقْصِدُ بِهَا الْمَقَاصَ لِلْمَوْضُوعَةِ عَلَى بَعْضِ الْقُبُورِ .

(٢) الْقَصْدُ : الْإِعْتِدَالُ ، وَهُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ضِدُّ الْإِسْرَافِ .

(٣) الْعَافِى : الْفَقِيرُ .

(٤) الْأَفْوَافُ : الْحَرِيرُ .

(٥) الطَّرَافُ ، هُنَا مِنْ قَوْلِهِمْ : تَوَارَثُوا الْمَجْدَ طَرَفًا ، أَيْ عَنْ شَرَفٍ وَرَفْعَةٍ . وَالرَّضَى : هُوَ الشَّرِيفُ الرَّضَى الشَّاعِرُ الْمَشْهُورُ .

(٦) عِمْرَانُ : أَبُو مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَقَدْ نَزَلَتْ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ سُورَةٌ بِاسْمِ آلِ عِمْرَانَ ، كَمَا نَزَلَتْ سُورَةٌ بِاسْمِ الْأَعْرَافِ .



قاضى الفضاءَ جَرَتْ عَلَيْهِ قَضِيَّةٌ لِمَوْتٍ لَيْسَ لَهَا مِنْ أَسْتِنَافٍ
وَمُصَرَّفُ الْأَحْكَامِ مَوْكُولٌ إِلَى حُكْمِ الْمَنِيَّةِ مَا لَهُ مِنْ كَافٍ
وَمُنَادِمُ الْأَمْلاَكِ تَحْتَ قِيَابِهِمْ أَمْسَى تُنَادِمُهُ ذِنَابُ فَيَافٍ^(١)
فِي مَنْزِلٍ دَارَتْ عَلَى الْقَمِيدِ الْعُلَا فِيهِ الرَّحَى وَمَشَتْ عَلَى الْأَرْدَافِ^(٢)
وَأَذِيلَ مِنْ حُسْنِ الْوُجُوهِ وَعِزِّهَا مَا كَانَ يُعْبَدُ مِنْ وَرَاءِ سِجَافٍ^(٣)
مِنْ كُلِّ لَمَّاحٍ النِّعِمَ تَقَلَّبَتْ دِيْبَاجَتَاهُ عَلَى بَلَى وَجَفَافٍ
وَتَرَى الْجَاحِمَ فِي الشَّرَابِ تَمَائِلَتْ بَعْدَ الْعُقُولِ تَمَائِلَ الْأَصْدَافِ
وَتَرَى الْعَيُونَ الْقَاتِلَاتِ بِنَظَرَةٍ مَنُهَوَبَةِ الْأَجْفَانِ وَالْأَسْيَافِ^(٤)
وَتُرَاعُ مِنْ صَحْكِ الثُّغُورِ وَطَالَمَا قَتَنْتُ بِحُلُوِّ تَبَسُّمٍ وَهِنَافٍ
غَزَتْ الْقُرُونُ الْذَاهِبِينَ غَزَالَةً دَمُهُمْ بِذِمَّةِ قَرْنِهَا الرَّعَافِ^(٥)
يَجْرَى الْقَضَاءُ بِهَا وَيَجْرَى الدَّهْرُ عَنْ يَدِهَا قِيَا ثَلَاثَةِ أَحْلَافٍ
تَرْمِي الْبَرِيَّةَ بِالْجُبُولِ وَتَارَةً بِجَبَائِلٍ مِنْ خَيْطِهَا وَكَفَافٍ^(٦)
تَسَجَّتْ ثَلَاثَ عِمَائِمٍ وَاسْتَحْدَثَتْ أَكْفَانَ مَوْتَى مِنْ ثِيَابِ زَفَافٍ^(٧)

(١) الأملاك : الملوك . والفيافي : المجارى .

(٢) الصيد العلا : الملوك . والأرداف : أبناء الملوك ، أو الذين يلونهم في المرتبة .

(٣) السجاف : الستر ، كالكل ونحوها .

(٤) يريد « بأسياف العيون » : اللعاط ، وكثيرا ما تعمل اللعاط في الناس عمل السيوف . وعبر بالأسياف ليجانس بينها وبين الأجفان .

(٥) غزاة : هى الشمس . والرعاف : أى قرنها الأحمر الذى يشبه الدم .

(٦) الكفاف : حباله الصائد .

(٧) ثلاث عمائِم : الشعر الأسود ، والأسود فيه شيب ، والأبيض ، أى أدوار

العمر الثلاثة .

وَأَبَا الْحُسَيْنِ ، تَحِيَّةٌ لِّلرَّائِكِ مِنْ رُوحٍ وَرَيْحَانٍ وَعَذْبٍ نَظَافٍ
وَسَلَامٌ أَهْلَ وَهُلِّهِ وَصَحَابَةٍ حَسَرَى عَلَى تِلْكَ الْخِلَالِ لِهَافٍ
هَلْ فِي يَدَيَّ سَوَى قَرِيضٍ خَالِدٍ أَزْجِيهِ بَيْنَ يَدَيْكَ لِلِإِتْحَافِ
مَا كَانَ أَكْرَمَهُ عَلَيْكَ فَهَلْ تَرَى أَنِي بَعَثْتُ بِأَكْرَمِ الْإِلَاطَافِ
هَذَا هُوَ الرِّيحَانُ إِلَّا أَنَّهُ نَفَحَاتُ تِلْكَ الرُّوْضَةِ الْمُشَافِ (١)
وَالذُّرُّ إِلَّا أَنَّهُ مَهْدٌ يَتِيمِهِ بِالْأَمْسِ لُجَّةٌ بِحَرِّكَ الْقَذَافِ
أَيَّامٌ أَمْرَحُ فِي غُبَارِكَ نَاشِئًا تَهْجِ الْمِهَارِ عَلَى غُبَارِ « خِصَافِ » (٢)
أَتَعْلَمُ الْغَايَاتِ كَيْفَ تُرَامُ فِي مِضْمَارِ فَضْلٍ أَوْ بِجَالِ قَوَافِ

يَا رَاكِبَ الْحَدَبِاءِ خَلِّ زَمَامَهَا لَيْسَ السَّبِيلُ عَلَى الدَّلِيلِ يَخَافِ
دَانِ الْمَطَى النَّاسُ غَيْرَ مَطِيَّةٍ لِلْحَقِّ لَا يَجْهَلِي وَلَا مِيجَافِ (٣)
لَا فِي الْجِيَادِ وَلَا النِّيَاقِ وَإِنَّمَا خُلِقْتُ بِغَيْرِ حَوَافِرٍ وَخِفَافِ
تَنْتَابُ بِالرُّكْبَانِ مَنَزَلَةَ الْهُدَى وَتَوْمُ دَارَ الْحَقِّ وَالْإِنْصَافِ
قَدْ بَلَغَتْ رَبَّ الْمَدَائِنِ وَأَنْتَهَتْ حَيْثُ انْتَهَيْتَ بِصَاحِبِ الْإِحْقَافِ (٤)

نَمِّ مِلءَ جَفْنَيْكَ فَالْغُدُوُّ غَوَافِلُ عَمَّا يَرُوعُكَ وَالْعَشَى عَوَافِ
فِي مَضْجَعٍ يَكْفِيكَ مِنْ حَسَنَاتِهِ أَنْ لَيْسَ جَنْبُكَ عَنْهُ بِالْمُتَجَافِ

(١) الروضة المثنى والألف : هي التي تحمى فلا يسكاد أحد غير بها أو يجتني منها .

(٢) اللهار : جمع مهرة . وخصاف : فرس مشهور في العرب .

(٣) الميجاف : الصريعة .

(٤) رب المداين : كمري . وصاحب الإحقاف : عاد .

وَأَضْحَكَ مِنَ الْإِقْدَارِ غَيْرَ مُعْجَزٍ فَالْيَوْمَ لَسْتَ لَهَا مِنَ الْإِهْدَافِ
وَالْمَوْتُ كُنْتَ تَخَافُهُ بِكَ ظَافِرًا حَتَّى ظَفِرَتْ بِهِ فِدْعُهُ كَكِفَافِ
قُلْ لِي بِسَابِقَةِ الْوِدَادِ أَقَاتِلُ هُوَ حِينَ يَنْزِلُ بِالْفَتَى أَمْ شَانِي ؟
فِي الْأَرْضِ مِنْ أَوْيِكَ كُنْزَ رَحْمَةٍ وَهَوَى وَذَلِكَ مِنْ جِوَارٍ كَافِي
وَبِهَا شِبَابُكَ وَاللَّدَاتُ بِكَيْتِهِ وَبِكَيْتِهِم بِالْمَدْمَعِ الذَّرَافِ
فَاذْهَبْ كَمَصْبَاحِ السَّمَاءِ ، كَلَاكُمَا مَالِ النَّهَارِ بِهِ ، وَلَيْسَ بِطَافِي
الشَّمْسُ تُخْلَفُ بِالنُّجُومِ وَأَنْتَ بَالِ آثَارِ وَالْإِخْبَارِ وَالْأَوْصَافِ
غَمَابِ الْحَيَاةِ فَتَى يَسُدُّ مَكَانَهَا بِالذِّكْرِ ، فَهُوَ لَهَا بَدِيلٌ وَافِي

فَالْيَوْمَ لَسْتَ لَهَا مِنَ الْإِهْدَافِ
وَالْمَوْتُ كُنْتَ تَخَافُهُ بِكَ ظَافِرًا
قُلْ لِي بِسَابِقَةِ الْوِدَادِ أَقَاتِلُ
فِي الْأَرْضِ مِنْ أَوْيِكَ كُنْزَ رَحْمَةٍ
وَبِهَا شِبَابُكَ وَاللَّدَاتُ بِكَيْتِهِ
فَاذْهَبْ كَمَصْبَاحِ السَّمَاءِ ، كَلَاكُمَا
الشَّمْسُ تُخْلَفُ بِالنُّجُومِ وَأَنْتَ بَالِ
غَمَابِ الْحَيَاةِ فَتَى يَسُدُّ مَكَانَهَا

فَالْيَوْمَ لَسْتَ لَهَا مِنَ الْإِهْدَافِ
وَالْمَوْتُ كُنْتَ تَخَافُهُ بِكَ ظَافِرًا
قُلْ لِي بِسَابِقَةِ الْوِدَادِ أَقَاتِلُ
فِي الْأَرْضِ مِنْ أَوْيِكَ كُنْزَ رَحْمَةٍ
وَبِهَا شِبَابُكَ وَاللَّدَاتُ بِكَيْتِهِ
فَاذْهَبْ كَمَصْبَاحِ السَّمَاءِ ، كَلَاكُمَا
الشَّمْسُ تُخْلَفُ بِالنُّجُومِ وَأَنْتَ بَالِ
غَمَابِ الْحَيَاةِ فَتَى يَسُدُّ مَكَانَهَا

فوزى الغزى (*)

- جُرْحٌ عَلَى جُرْحٍ حَنَانِكَ (جَلَق) حُمِّلَتْ مَا يُوهَى الْجِبَالُ وَيُرْهَقُ (١)
صَبْرًا لِبَاءَةِ الشَّرِقِ كُلِّ مُصِيدَةٍ تَبَلَّى عَلَى الصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَتَخْلُقُ (٢)
أَنْسَيْتِ نَارَ الْبَاطِشِينَ وَهَزَّةَ عَرَّتِ الزَّمَانُ كَأَنَّ (رُومًا) تُحَرِّقُ (٣)
رِعْنَاءَ أَرْسَلَهَا وَدَسَّ شَوَاطِلَهَا فِي حُجْرَةِ التَّارِيخِ أَرَعْنُ أَحْمَقُ (٤)
فُشِتْ تُحْطَمُ بِالْيَمِينِ ذَخِيرَةٌ وَتَلَصَّ أُخْرَى بِالشَّمَالِ وَتَسْرِقُ
جُنَّتْ فَضَعَّضَعَهَا وَرَاضَ جَمَاحَهَا مِنْ نَشْئِكَ الْخُمْسِ الْجَنُونُ الْمَطْبُوقُ
لَقِيَ الْحَدِيدَ حِمِيَّةَ أُمَوِيَّةٍ لَا تَكْتَسِي صَدَاءَ وَلَا هِيَ تَطْرُقُ
يَا وَاضِعَ الدَّسْتُورِ أَمْسِ كَخُلُقِهِ مَا فِيهِ مِنْ عَوَجٍ وَلَا هُوَ ضَيِّقُ
نَظَّمْ مِنَ الشُّورَى وَحُكْمٍ رَاشِدٌ أَدَبُ الْحَضَارَةِ فِيهِمَا وَالْمَنْطِقُ
لَا تَخْشَ عَمَّا أَحَقُّوا بِكِتَابِهِ يَبْقَى الْكِتَابُ وَلَيْسَ يَبْقَى الْمَلْحَقُ
مَيَّتَ الْجَلَالِ مِنَ الْقَوَافِي زَفَرَةٌ تَجْرَى وَمِنْهَا عِبْرَةٌ تَتَرَقَّرُ
وَلَقَدْ بَعَثْتُهُمَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً أَفَأَنْتِ مَتَنَظِّرٌ كَعَهْدِكَ شَيْقُ
أَبْكِي لِيَا لَيْلِنَا الْقَصَارَ وَصُحْبَةً أَخَذَتْ تُخَيِّلُتُهَا تَجِيْشَ وَتَبْرُقُ (٥)

(*) فوزى الغزى : هو أحد سُرَاةِ الزعماء فى الشام وأحد أُلوية الثورة العربية فى نهضتها العظمى . توفى وأقيمت له حفلة تأبين فى دمشق وألقيت فيها هذه القصيدة العصماء فى سنة ١٩٣٠ .

(١) جلق (بشد اللام مفتوحة أو مكسورة) : دمشق .

(٢) اللبأة : أثنى الأسد .

(٣) يشير إلى ضرب الفرنسين لها بالمدافع . وحادثة حرق روما : هى إحدى الحوادث التاريخية الكبرى ، وهى مضرب المثل منذ صار نبرون مثلاً للظلم والجبروت .

(٤) الشواط (بضم الشين وكسرهما) : لهب لا دخان فيه .

(٥) السحابة الخيالة : التى تحسب ماطرة . أى إن صحبة الفقيد كانت مرجوة الخير كما تكون السحابة الخيالة مرجوة المطر .

لا أذكرُ الدنيا إليكَ فربما كُرهَ الحديثُ عن الأجاجِ المغرق^(١)
 طُمِعَت من السَّم الحِياة طَعَامُهَا وَشَرَابُهَا وَهَوَاؤُهَا الْمُنْفَشِق
 والنَّاسُ بَيْنَ بَطِيْهَا وَدُعَايِهَا لَا يَعْلَمُونَ بَأَى سُمِّيْهَا سُقُوا^(٢)
 أما الْوَلَى فَقَدْ سَقَاكَ بِسُمِّهِ مَا لَيْسَ يَسْقِيكَ الْعَدُوُّ الْأَزْرَقُ^(٣)
 طَلَبُوكَ وَالْأَجَلُ الْوَشِيكَ يُحْثُهُمْ وَلِكُلِّ نَفْسٍ مُدَّةٌ لَا تُسَبِّقُ
 لِمَا أَعَانَ الْمَوْتُ كَيْدَ حِبَالِهِمْ عَلَقْتَ وَأَسْبَابُ الْمَنِيَّةِ تَعْلَقُ
 طَرَقَتْ مِمَّادَكَ حَيَّةٌ بَشَرِيَّةٌ كَفَرَتْ بِمَا تَنْتَابُ مِنْهُ وَتَطْرُقُ^(٤)

* *

يا (فوز) تلكِ دِمَشْقُ خَلْفَ سَوَادِهَا تَرى مَكَانَكَ بِالْعَيُونِ وَتَرْمُقُ^(٥)
 ذَكَرْتَ لِيَالِي بَدْرِهَا فَتَلَقَّيْتُ فَعَسَاكَ تَطْلُعُ أَوْ لَعَلَّكَ تُشْرِقُ
 (بَرْدَى) وَرَاءَ ضِغْفَافِهِ مُسْتَعْبِرٌ وَالْحَوْرُ مَحْلُولُ الضَّفَائِرِ مُطْرَقُ^(٦)
 وَالطَّيْرُ فِي جَنَابَاتِ (دَمْرٍ) نُوحٌ يَحْدُ الْهَمُومَ خَلِيْثِينَ وَيَأْرَقُ^(٧)
 وَيَقُولُ كُلُّ مُحَدِّثٍ لِسَمِيرِهِ: أَبْذَاتِ طَوِقٍ بَعْدَ ذَلِكَ يُوثِقُ؟^(٨)

(١) الأجاج: الملح المر.

(٢) الذعاف: سم الساعة.

(٣) العدو الأزرق: هو الكثير العداوة. والزرقة لون تستعمله العرب في وصف ما تذكره، من ذلك قولهم: أسنة زرق. ويقولون: العيون الزرق، أى العمى.

(٤) الهاد: القرائس. وفي هذا البيت إشارة إلى حادثة قتل الفقيده بواسطة زوجته.

(٥) سواد دمشق: أى القرى التابعة لها.

(٦) بردى: نهر بالشام. والمستعبر: بمعنى الباكي. والحور: شجر. وضايف الحور أى غصونه التى تشبه جدائل الشعر.

(٧) دمر (بضم الدال وتشديد الراء مفتوحة): عقبه فى دمشق. والحلى، بمعنى الحالى من الهموم، وهو ضد الشجى.

(٨) ذات الطوق، أى الحمامة، وهى فى هذا البيت كناية عن المرأة.



- عَشِقْتَ تَهَاوِيلَ الْجَمَالَ وَلَمْ تَجِدْ فِي الْعَبْرِيَّةِ مَا يُحِبُّ وَيُعَشَّقُ (١)
- فَشِئْتَ كَأَنَّ بَنَانَهَا يَدُ مُدْمِنٍ وَكَأَنَّ ظِلَّ السَّمِّ فِيهَا زُبُقُ
- وَلَوْ أَنَّ مَقْدُورًا يُرَدُّ لِرَدِّهَا بِحَيَاتِهِ الْوَطْنُ الْمَرْوَعُ الْمُشْفِقُ
- أَشَقُّ قَضَاءِ الْأَرْضِ بَعْدَكَ أَسْرَةٌ لَوْلَا الْفَضَاءُ مِنَ السَّمَاءِ لَمَا شَقُّوا
- قَسَتْ الْقُلُوبُ عَلَيْهِمْ وَتَحَجَّرَتْ فَانْظُرْ فَوَادَكَ هَلْ يَلِينُ وَيَرْفُقُ
- إِنَّ الَّذِينَ نَزَلَتْ فِي أَكْنَافِهِمْ صَفَحُوا فَمَا مِنْهُمْ مَغِيْظٌ مُحْتَقُ
- سَخِرُوا مِنَ الدُّنْيَا كَمَا سَخِرْتَ بِهِمْ وَأَنْبَتَ مِنْ أَسْبَابِهَا الْمُتَعَلِّقُ (٢)
- يَا مَأْتَمًا مِنْ (عَبْدِ شَمْسٍ) مِثْلِهِ لِلشَّمْسِ يُصْنَعُ فِي الْمَمَاتِ وَيُنْشَقُ
- إِنْ ضَاقَ ظَهْرُ الْأَرْضِ عَنْكَ فَبَطْنُهَا عَمَّا وَرَاءَكَ مِنْ رُفَاتٍ أَضِيقُ (٣)
- لَمَّا جَمَعْتَ الشَّامَ مِنْ أَطْرَافِهِ وَافِيَ يُعَزِّى الشَّامَ فِيكَ الْمَشْرِقُ
- يَبْكِي لَوَاءً مِنْ شَبَابِ أُمِّيَّةٍ يَحْمِي حَمَى الْحَقِّ الْمُبِينِ وَيَخْفِقُ
- لَمَسْتَ نَوَاصِيهَا الْحَصُونُ تَرُومُهُ وَتَلَمَّسْتَهُ فَلَمْ تَجِدْهُ الْفِيلَاقُ (٤)
- رَكُنْ الزَّعَامَةَ حِينَ تَطْلُبُ رَأْيَهُ فَيَرَى وَتَسْأَلُهُ الْخُطَابُ فَيَنْطِقُ
- وَيَكَادُ مِنْ سِحْرِ الْبَلَاغَةِ تَحْتَهُ عَوْدَ الْمَنَابِرِ يَسْتَخَفُّ فَيُورِقُ (٥)

(١) التهاويل : هي الألوان المختلفة .

(٢) انبت ، أى قطع .

(٣) الرفات : بقايا الميت .

(٤) نواصي الحصون . أعاليها .

(٥) يستخف ، بمعنى يسر .

(فيحاء) أين على جناحك وردةً كانت بها الدنيا ترفُّ وتعبق؟^(١)
 علوية تجدد المسامع طيِّها وتُحسُّ رِيَّها العقولُ وتلشَّق
 وأرائك الزهر الغصون وعرشها يدُ أمةٍ وجبينُها والمفرق
 من مُبلِّغٍ عنى شُبهةٍ جلق قولاً يبرُّ على الزمان ويصدق
 بالله جل جلاله بمحمدٍ يسوع بالغزّي لا تتفرَّقوا
 قد تُفسد المرعى على أخواتها شاةٌ تند من الفطيع وتمرقُ

(١) فيحاء: دمشق. (٢) علوية: علوية. (٣) أمة: جماعة. (٤) جلق: جلق. (٥) شبهة: شبهة. (٦) يسوع بالغزّي: يسوع المسيح. (٧) تتفرَّقوا: يفرقوا. (٨) شاة: شاة. (٩) تند: تند. (١٠) الفطيع: الفطيع. (١١) وتمرق: وتمرق.

(١) فيحاء: دمشق. (٢) علوية: علوية. (٣) أمة: جماعة. (٤) جلق: جلق. (٥) شبهة: شبهة. (٦) يسوع بالغزّي: يسوع المسيح. (٧) تتفرَّقوا: يفرقوا. (٨) شاة: شاة. (٩) تند: تند. (١٠) الفطيع: الفطيع. (١١) وتمرق: وتمرق.

(١) فيحاء: دمشق.

كريمة البارودي (*)

- أحيث تَلُوحُ المُنَى تَأْفُلُ كفى عِظَةً أيها المنزلُ (١)
 حَكِيمَتِ الحَيَاةِ وحالاتِها فهلا تَحْطَيْتِ مَا تَنْقُلُ
 أَمِنْ جُنْحِ لَيْلٍ إِلَى جَفْرِه حَمِي يَزْدَهِي وَحَمِي يَعْطُلُ (٢)
 وَذَلِكَ يُوحِشُ مِنْ رَبَّةٍ وَذَلِكَ مِنْ رَبَّةٍ يَا هَيْلُ (٣)
 أَجَابَ النَعْيَ لَدَيْكَ البَشِيرُ وَذَاقَ بِكَاسَيْهِمَا المَحْفِلُ
 وَأَطْرَقَ بَيْنَهُمَا والدُّ أَخُو تَرْحَةٍ لَيْلُهُ أَلِيلُ (٤)
 بَقِيَ إِلَى العَقْلِ فِي أَمْرِهِ وَلَكِنَّهُ القَلْبُ لَا يَعْقِلُ
 تَهَاوَتْ عَنِ الوردِ أَغْصَانُهُ وَطَارَ عَنِ البَيْضَةِ البَلْبُلُ (٥)
 وَرَاحَتِ حَيَاةُ وَجَامَتِ حَيَاةٌ وَأَظْهَرَ قَدْرَتَهُ المُبْدِلُ
 وَمَا غَيْرَ مَنْ قَدْ أَتَى مُدِيرٌ وَلَا غَيْرَ مَنْ قَدْ مَضَى مُقْبِلُ
 كَأَنِّي (بِسَاحِي) هَلُوعُ الفُؤَادِ إِذَا أَسْمَعْتَ هَمْسَةَ يَعْجَلُ
 يَرَى قَدْرًا يَأْمُلُ اللُّطْفَ فِيهِ وَعَادَى الرَّدَى دُونَ مَا يَأْمُلُ
 يُضِيءُ لَضِيْفَانَهُ بَشْرُهُ وَبَيْنَ الضُّلُوعِ العَضَى المَشْعَلُ (٦)

(*) وجه هذه القصيدة يعزى بها المرحوم محمود سامي باشا البارودي في كريمة التي توفيت أثناء زفاف شقيقتها .

- (١) تلوح المني ، بمعنى تعرق . وتأفل : بمعنى تغرب .
 (٢) جنح الليل (بضم الجيم وكسر ها) : طائفة منه . ويعطل ، بمعنى يخلو . والأصل في العطل : التجرد من الخلق .
 (٣) الربة هنا : يقصد بها صاحبة البيت . ويأهل : يمتلئ* أو يعمر .
 (٤) الترحة : الحزن . والليل الأليل : الشديد السواد .
 (٥) تهاوت : أي تساقطت أو تحلت .
 (٦) الغضى : شجر إذا اشتعل بقي جره طويلا .

- وَيَقْرِيهِمْ الْإِنْسَ فِي مَنْزِلٍ وَيَجْمَعُهُ وَالْأَسَىٰ مَنْزِلٍ
فِي غَادَةٍ فِي بَحَالِي الزَّفَافِ إِلَى غَادَةٍ دَاوَاهَا مُعْضِلٍ
- وَذَى فِي تَفَاسَتِهَا تَنْطَوِي وَذَى فِي تَفَاسَتِهَا تَرُفُلُ (١)
تَقَسَّمُ بَيْنَهُمَا قَلْبُهُ وَخَانَتَهُ عَيْنَاهُ وَالْأَرْجُلُ
- فِيَا نَكَدَ الْحَرِّ هَلْ تَنْقَضِي وَيَا فَرَحَ الْحَرِّ هَلْ تَكْمُلُ
وَيَا صَبْرَ (سَامِي) بَلَّغْتَ الْمَدَىٰ وَيَا قَلْبَهُ السَّهْلَ كَمْ تَحْمَلُ
- لَقَدْ زِدْتَ مِنْ رَقَّةٍ كَالصَّرَاطِ وَدُونَ صَلَابَتِكَ الْجَنْدَلِ
يَمُرُّ عَلَيْكَ خَلِيطُ الْخُطُوبِ وَيَحْتَازُكَ الْخَفِّ وَالْمُثْقِلِ (٢)
- وَيَا رَجُلَ الْحِلْمِ خُذْ بِالرَّضَىٰ فَذَلِكَ مِنْ مُتْقٍ أَجْمَلِ
أَتَحْسَبُ شَهِدًا إِنَْاءَ الزَّمَانِ وَطَيْفَتُهُ الصَّابُ وَالْحَنَظَلُ ؟
- وَمَا كَانَ مِنْ مُرَّةٍ يَعْتَلِي وَمَا كَانَ مِنْ حُلُولِهِ يَسْفُلُ
وَأَنْتَ الَّذِي شَرِبَ الْمُتَرَعَاتِ فَأَيُّ الْبَوَاقِ بِهِ تَحْفِلُ
- أَفَىٰ ذَا الْجَلَالِ وَفَىٰ ذَا الْوَقَارِ تَخْفُكَ ضَرَاءٌ أَوْ تُذْهِلُ
أَلَمْ تَكُنِ الْمَلِكَ فِي عَزِّهِ وَبَاعُكَ مِنْ بَاعِهِ أَطْوَلَ ؟
- وَقَوْلُكَ مِنْ فَوْقَ قَوْلِ الرِّجَالِ وَفَعْلُكَ مِنْ فَعْلِهِمْ أَنْبَلُ (٣)
سَتَعْرِفُ دُنْيَاكَ مِنْ سَاوَمَتِ وَأَنْتَ وَقَارُكَ لَا يُبْذَلُ
- كَأَنَّكَ (شَمْسُونُ) هَذَى الْحَيَاةِ وَكُلُّ حَوَادِثِهَا هَيْكَلُ (٤)

(١) النفاسة من قولهم : هذا شيء نفيس ، أى ثمين يرغب فيه . والنفائس : الحلى وما أشبهها .

(٢) الخف : الخفيف . والمثقل : الثقيل .

(٣) يشير إلى زمن الثورة العرابية ، وموقف البارودى منها .

(٤) شمشون : أحد أنبياء التوراة وله قصة هناك تدل على أنه أعطى بسطة عظيمة فى القوة .

فتحي ونورى (*)

أُنْظِرْ إِلَى الْأَقْصَارِ كَيْفَ تَزُولُ وَإِلَى وُجُوهِ السَّعْدِ كَيْفَ تَحُولُ
وإلى الجبال الشَّمِّ كَيْفَ يَمِيلُهَا عَادَى الرَّدَى بِإِشَارَةٍ فَتَمِيلُ
وإلى الرِّيحِ تَحِيَّرُ دُونَ قَرَارِهَا صَرَعَى عَلَيْنِ الثُّرَابِ مَهْمِيلُ
وإلى النَّسُورِ تَقَاصَرَتْ أَعْمَارُهَا وَالْعَهْدُ فِي عُمُرِ النَّسُورِ يَطُولُ
فِي كُلِّ مَنَزِلَةٍ وَكُلِّ سَيِّئَةٍ قَسْرٌ مِنَ الْغُرِّ الشَّمَاةِ قَتِيلُ
يَهْوَى الْقَضَاءُ بِهَا فَمَا مِنْ عَاصِمٍ هِيَهَاتَ لَيْسَ مِنَ الْقَضَاءِ مُقِيلُ
(فَتَحِ السَّمَاءَ) وَ(نُورُهَا) سَكَنَّا الثَّرَى فَالْأَرْضُ وَلَهُى وَالسَّمَاءُ تُكُولُ
سِرٌّ فِي الْهَوَاءِ وَلِذَٰ بُنَاصِيَةِ الشُّهَى الْمَوْتُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَبِيلُ^(١)
وَارْكَبْ جَنَاحَ النَّسْرِ لَا يَعْصِمُكَ مِنْ تَسْرِ يُرْفَرُ فِيهِ عِزْرَائِيلُ
وَلِكُلِّ نَفْسٍ سَاعَةٌ مَنْ لَمْ يَمُتْ فِيهَا عِزْرًا مَاتَ وَهُوَ ذَلِيلُ
أِلَى الْحَيَاةِ سَكَنْتَ وَهِيَ مَصَارِعُ وَإِلَى الْإِمَانِ يَسْكُنُ الْمَسْلُوكُ
لَا تَحْفَلَنَّ بِبُؤْسِهَا وَنَعِيمِهَا تُعْمَى الْحَيَاةُ وَبُؤْسُهَا تَضْلِيلُ
مَا بَيْنَ تَضَرَّتْهَا وَبَيْنَ ذُبُوطِهَا عُمُرُ الْوَرُودِ وَإِنَّهُ لَقَلِيلُ
هَذَا بَشِيرُ الْإِمْسِ أَصْبَحَ نَاعِيًا كَالْحُلْمِ جَاءَ بِضَدِّهِ التَّأْوِيلُ
يَجْرِي مِنَ الْعِبَرَاتِ حَوْلَ حَدِيثِهِ مَا كَانَتْ مِنْ فَرَحٍ عَلَيْهِ يَسِيلُ

(*) فتحي ونورى ، هما الطياران العثمانيان اللذان قدما إلى مصر فى سنة ١٩١٣
يقودان طيارتهما فسقطت بهما فماتا فكان لمصاهما فى مصر أسف شديد . وكانت الخلافة
الإسلامية وقتئذ ما تزال تربط المصريين بالعثمانيين .
(١) السها : كوكب خفى من بنات نعش الصفرى .

- وَلَرُبَّ أَعْرَاسٍ خَبَّانَ مَا تَمَّا كَالرُّطْبِ فِي ظِلِّ الرِّيَاضِ تَقِيلُ (١)
يَا أَيُّهَا الشُّهَدَاءُ لَنْ يُنْفَى لَكُمْ فَتَحُ أَغْرُ عَلَى السَّمَاءِ جَمِيلُ
وَالْمَجْدُ فِي الدُّنْيَا لَا قَوْلَ مُبَيَّنٍ وَلِمَنْ يُشِيدُ بَعْدَهُ فَيُطِيلُ
لَوْلَا نَفُوسٌ زُلْنَ فِي سُبُلِ الْعُلَا لَمْ يَهْدِ فِيهَا السَّالِكِينَ دَلِيلُ
وَالنَّاسُ بِأَذُلِّ رُوحِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ عَلَيْهِ وَالْآخِرُونَ فُضُولُ
وَالنَّصْرُ غُرَّتْهُ الطَّلَاعُ فِي الْوَعَى وَالتَّابِعُونَ مِنَ الْخَنَاسِ حُجُولُ (٢)
كَمْ أَلْفَ مِيلٍ نَحْوَ مَصْرَ قَطَعْتُمْ فِيمَ الْوُقُوفِ وَدُونَ مَصْرِ مِيلُ ؟
(طُورُوس) تَحْتَكُمُ ضَيْلُ طَرْفِهِ لَمَّا طَلَعْتُمْ فِي السَّحَابِ كَلِيلُ
تَرْخُونَ لِلرَّيْحِ الْعِنَانِ وَلَمَّا لَكُمْ عَلَى طُغْيَانِهَا لَذَلُولُ
إِثْنَيْنِ إِثْرَ آثْنَيْنِ لَمْ يَخْطُرْ لَكُمْ أَنْ الْمُنِيَّةَ نَالَتْ وَزَمِيلُ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ فِي زَمَانِكَ أَنْ يَنْبَى لَكَ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ خَلِيلُ
لَوْ كَانَ يُفْصَدِي هَالِكٌ لَقَدَاكُمْ فِي الْجَوْ نَسْرُ بِالْحَيَاةِ بَخِيلُ
أَيُّ الْغَزَاةِ أَوْلَى الشَّهَادَةِ قَبْلَكُمْ عَرَضُ السَّمَاءِ ضَرِيحُهُمُ وَالطُّولُ ؟ (٣)
يَعْدُو عَلَيْكُمْ بِالنَّحِيَةِ أَهْلُهَا وَيُرْفِرُ النَّسِيحُ وَالتَّهْلِيلُ

- (١) يريد أن الأحزان تختبئ في الأفراح ، كما تَكُن الحيات الرقط وقت القيلولة في ظلال الرياض ، فوجود الحيات في ذلك الجو تسميه له ومانع من الانتفاع به ، كما أن انطواء الأحزان في ثنايا الأفراح مسمم لجوها مانع من الاستمتاع بكامل سرورها .
(٢) الخنيس : الجيش . والحجول ، أصلها من اللون الأبيض يكون في قوائم الفرس كأنه العلامات . يقول : إن الذين يقدمون في أوائل الجيوش يسكنون في جسم النصر أشبه بالفرقة . وهي لا تكون إلا في الوجه ، على حين أن غيرهم من سائر الجيش يكون أشبه بالحجول ، وهي لا تكون إلا في الأيدي والأرجل ، وطبيعي أن الوجه أشرف ، وإن كانت الحجول بعض سمات الجمال .
(٣) في هذا البيت ترغيب عظيم يساق للطيارين ، إذ يقول لهم : إن الغزاة ، وهم موضع الإجلال والإكبار . تشق قبورهم في الأرض ، ولكن أضرحتكم نخط في السماء ؛

- (١) (إدريس) فوق يمينه رجلاً يسوع فوق يمينه إكليل
 في عالم سكّانه أنفاسهم طيبٌ وهمسٌ حديثهم لإنجيل
 إني أخاف على السماء من الأذى في يوم يُفسد في السماء الجليل
 كانت مُطهّرة الأديم نقيّة لا آدمٌ فيها ولا قاييل
 يتوجّه العاني إلى رحمتها ويرى بها برق الرجاء عليل
 ويُشيرُ بالرأس المسكّل نحوها شيخٌ وباللحظ البريء يقول
 واليوم للشّهوات فيها والهوى سئلٌ وللدم والذموع مسيل
 أضحت ومن سفن الجواء طوائفٌ فيها ومن خيل الهواء رَعيل
 وأزيلَ هيكلها المصنوع وسره والدهر للسر المصنوع مُذيل

- هَلِعت (دَمَشَق) وأقبلت في أهلها ملهوفة لم تذر كيف تقول
 مَشَت الشّجونُ بها وعمّ غياطها بين الجداولِ والعُيونِ ذُبُول
 في كل سهلٍ أنّةٌ ومناحةٌ وبكل حَزْنٍ رَنّةٌ وعويل

- (١) يسوع : هو عيسى ابن مريم . وإدريس : هو أحد الأنبياء الرسل . وقد خص إدريس بالذكر لما جاء في قصة الإمراء من أن النبي صلوات الله عليه رآه قائماً على باب أحد السموات السبع فسأل جبريل : من هذا ؟ فقال : أخوك إدريس .
 (٢) قوله « وهمس حديثهم لإنجيل » : يقصد أن أحاديثهم طهر وتقديس .
 (٣) يريد أنه خائف على جو السماء يوم يتخذها الطيارون ميداناً للحروب فيلوثن ذلك الطهر بأذى قتل الناس وتخريب أوطانهم .
 (٤) يريد « بقاييل » الإشارة إلى أول دم أراقه الإنسان ظمناً لأخيه الإنسان .
 (٥) الرأس المسكّل : الذي يتوجه الشيب . وهذه كناية عن حالة الضعف .
 (٦) خيل الهواء : الطيارات . والرَعيل : القطعة من الخيل قدر العشرين أو الخمسة والعشرين .
 (٧) مُذيل : مهين . أى لأن الدهر لم يحسن حفظ هذا السر المصنوع فسكّنه أهانه .
 (٨) القيط : البستان . ويقصد « بالعيون » عيون الماء .

وكانما بُعِيتْ أُمِّيَّةٌ كُلُّهَا للسجدة الاموى فهُوَ طُلُولُ (١)
 خَضَعْتَ لَكُمْ فِيهِ الصَّفُوفُ وَأَزْلَفْتُ لَكُمْ الصَّلَاةَ وَقُرْبَ التَّرْتِيلِ
 مِنْ كُلِّ نَعِيشٍ كَالثَّرِيَا مَجْدُهُ فِي الْأَرْضِ عَالٍ وَالسَّمَاءِ أَصِيلِ
 فِيهِ شَهِيدٌ بِالْكِتَابِ مُكَفَّنٌ بِمَدَامِ الرُّوحِ الْأَمِينِ غَسِيلِ
 أَعْوَادُهُ بَيْنَ الرِّجَالِ وَأَصْلُهُ بَيْنَ (السَّهْمِ) وَ (الْمُشْتَرَى) مَحْمُولِ (٢)
 يَمْشِي الْجَنُودُ بِهِ وَلَوْلَا أَنَّهُمْ أُولَى بِذَلِكَ مَشَى بِهِ جِبْرِيلُ
 حَتَّى نَزَلْتُمْ بِقَعَةٍ فِيهَا الْمَدَى مِنْ قَبْلِ ثَاوٍ وَالسَّمَاحُ نَزِيلِ
 عَظُمَتْ وَجَلَّ ضَرْحُ (يُوسُفَ) فَوْقَهَا حَتَّى كَأَنَّ الْمَيِّتَ فِيهِ رَسُولِ (٣)

* *

شَعَرَى إِذَا جُبَّتِ الْبَحَارُ ثَلَاثَةً وَحَوَاكِ ظَلٍ فِي (فُرُوقِ) ظَلِيلِ (٤)
 وَتَدَاوَلَتْكَ عِصَابَةٌ عَرَبِيَّةٌ بَيْنَ الْمَآذِنِ وَالْقَلَاعِ نُزُولِ
 وَبَلَغْتَ مِنْ بَابِ الْخِلَافَةِ سُدَّةً لِسُتُورِهَا التَّمْسِيحُ وَالتَّقْيِيلِ
 قُلْ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدٍ وَلَّاهُ صَبْرُ الْعِظَامِ عَلَى الْعَظِيمِ جَمِيلِ
 تِلْكَ الْخُطُوبُ وَقَدْ حَمَلْتُمْ شَطْرَهَا نَاءَ الْفُرَاتِ بِشَطْرِهَا وَالنَّيْلِ
 إِنْ تَفَقَّدُوا الْأَسَادَ أَوْ أَشْبَاهَهَا فَالْغَابُ مِنْ أَمْثَالِهَا مَأْهُولِ
 صَبْرًا فَأَجْرُ الْمُسْلِمِينَ وَأَجْرُكُمْ عِنْدَ الْإِلَهِ وَلَئِنَّ الْجَزِيلِ
 يَأْمَنُ خِلَافَتُهُ الرَّضِيَّةُ عِصْمَةٌ لِلْحَقِّ أَنْتَ بَأَن يُحَقِّقَ كَفَيْلِ
 وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ فِي خُلَفَائِهِ عَدْلًا يُقْسِمُ الْمَلِكُ حِينَ يَمِيلِ

(١) طُلُولُ : جمع طُلُلٍ ، وهو ما شَخَصَ مِنْ آثَارِ الْبِنَاءِ .

(٢) الْمُشْتَرَى : مِنَ الْكُؤَاكِبِ السَّيَّارَةِ .

(٣) يَقْصِدُ « يُوسُفَ » صَاحِبَ الدِّينِ الْأَيُّوبِي .

(٤) جُبَّتْ : قَطَعَتْ . وَفُرُوقُ : الْأَسْتَانَةُ ، وَكَانَتْ عَاصِمَةَ الْخِلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَقْتَضِ

والعدل يُرْفَعُ للمالك حائِطًا لا الجيشُ يرفعه ولا الاسطول
هذا مقامٌ أنت فيه محمدٌ والرفقُ عند محمدٍ مأمول^(١)
بالله بالإسلام بالجرح الذي ما آنفك في جنب الهلال يسيل
إلا حللت عن السجين وثاقه إنَّ الوثاقَ على الأسود ثقيل^(٢)
أيقول واشٍ أو يُردّد شامتُ صنديدُ (برقة) مُوثقٌ مكبول^(٣)
هو من سيوفك أعمدوه لرئيسه
فاذكُرْ أميرَ المؤمنين بلاءه ما كان يُغمدُ سيفُك المسلول
واستبقه إن السيوفَ قليل

(١) كان يخاطب الخليفة محمد رشاد .

(٢) السجين ، هو عزيز بك المصرى القائد الحربى العظيم ، وكان يجاهد فى طرابلس أيام أغار عليها الطليان ، وقد وثى به للحكومة التركية فاعتقلته وزجت به للسجن ولم يخرج إلا بتحقيق وشفاعة مصرية ، كانت هذه القصيدة من بعض ظواهرها ومن أجل مظاهرها .
(٣) برقة : إحدى المدن الكبيرة بطرابلس الغرب ، دارت فيها أهم الوقائع الحربية فى تلك الإغارة ، وفيها لمع مجد عزيز بك .

على باشا أبو الفتوح (*)

ما بينَ دَمْعِي المُسَبَّلِ عَهْدٌ وَبَيْنَ ثَرَى (على)
(١) عَهْدُ (البقيع) وساكنيه على الحيا المُتَمَلِّلِ
والدَّمْعُ مَرُوحَةُ الحزيبِ مِنْ وَرَاحَةِ المُتَمَلِّلِ
نَمَضَى وَيَلْحَقُ مِنْ سَلَا فِي الغَابِرِينَ بَيْنَ سُلَى
كَمْ مِنْ تُرَابٍ بِالدُّمُوعِ عَلَى الزَّمانِ مُبَلَّلِ
كَالْقَبْرِ مَالِمْ يُبَلِّغُ فِيهِ مِنَ العِظَامِ وَمَا بَلَى
رِيَّانٍ مِنْ مَجْدٍ يَعْرِزُّ عَلَى القُصُورِ مَوْثَلِ
أَسْتِ جَوَانِبُهُ قَرَا رَاً لِلشُّجُومِ الأَقَلِ
وَحَدِيثُهُمْ مِسْكُ النَّدى وَعَنْبَرٌ فِي المَحْفَلِ

* *

قُلْ لِلنَّعْيِ هَتَكَتْ دَمْعَ الصَّابِرِ المُتَجَمِّلِ (٢)
المُسْتَقْبَلِ الاحداثِ إِنَّ نَزَلَتْ كَأَنَّ كَمْ تَنْزِلِ
تَحْمِلُ الأَسَى (بأبي الفتوح ح) عَلَى مَالِمْ أَحْمَلِ (٣)
حَتَّى ذَهَلَتْ وَمِنْ يَدُوقِ فَقَدَّ الاحْبَابُ يَذْهَلِ
فَعَتِبْتُ فِي رُكْنِ (القضا ه) عَلَى القِضَاءِ المُنْزَلِ

(*) على باشا أبو الفتوح ، أحد نوابغ مصر الذين اشتركوا في تمهيد الطريق لنهضتها
كان حقوقيا ضليعا ، وأسندت له وكالة وزارة المعارف فكان موضع الفخر والأمل . وقد
توفي سنة ١٩١٣ فعُد موته خسارة وطنية كبرى .

(١) البقيع : أحد المزارات المقدسة في المدينة المنورة .

(٢) المتجمل : الذي يذفن همه في صدره احتسابا ويظهر عكسه للناس .

(٣) الأسي : الحزن .

لهفي على ذاك الشبا ب وذلك المُستقبل
وعلى المعارف إذ خلت من رُكنها والموئل ^(١)
وعلى شمائل كالرُبي بين الصبا والجداول
وحياء وجه كان يُؤثر عن «يسوع» المرسل



ياراويًا تحت الصفيح من الكرى والجندل ^(٢)
ومُسربلاً حُللَ الوزا رة بات غير مُسربل
وموسداً حُقر الثرى بعد البناء الأطول
إني التفتُ إلى الشبا ب الغابر المتمثل
ووقفتُ ما بين المحقق فيه والمتخيّل
فرأيتُ أياماً بحُل من وليتها لم تُعجل
كانت موطأة المها د لنا عذاب المنهل
ذهبت كجلم يبد أن الحلم لم يتأول
إذ نحن في ظل الشبا ب الوارف المنهل ^(٣)
جاران في دار النوى مُتقابلان بمنزل
أيكي وأيكك ضاحكا ن على شمائل مونيل ^(٤)

(١) الموئل : اللجأ الذي يلجأ إليه في الشدة .

(٢) يريد «بالصفيح والجندل» : حجارة القبر . يستعبر بالفقيد ، وهو المرفه في الحياة كيف ينام هذا النوم العميق تحت الحجارة الصماء الثقيلة . وهذا حذق في سياق التفجع بأسلوب الاستعبار .

(٣) المنهل : من قولهم : تهدت أغصان الشجر ، إذا تدلت .

(٤) يشير في هذا البيت والذي قبله إلى أن الفقيد كان هو وأمير الشعراء زميلين وصديقين ، كانا يطلبان العلم معا في جامعة « مونيليه » وهي إحدى مدن فرنسا الشهيرة والأيك في الأصل : عتي الطائر . والخائل : النباتات الكريمة كالحدائق والبساتين .

والدرسُ يَجْمَعُنِي بِأَفْضَلِ طَالِبٍ وَمُحْصِلِ
أَيَّامَ تَبَدُّلٍ فِي سَبِيلِ
غَضِّ الشَّبَابِ فَكَيْفَ كُنْتُ
وإِذَا دَعَاكَ إِلَى الْهَوَى
دَاعِيَ الصَّبَا لَمْ تَحْفَلِ
وَلَوْ أَطْلَعْتَ عَلَى الْحَيَاةِ
لَمْ يَذَرِ إِلَّا اللَّهَ مَا
تَجَرَّى بِنَا الْمُنْفَتَحِ
حَتَّى تَبَدَّلْنَا وَذَا
كَ الْعَهْدُ لَمْ يَتَبَدَّلْ
هَانِيكَ أَيَّامُ الشَّبَا
مَنْ فَاتَهُ ظِلُّ الشَّيْبِ
بِالْمُحْسَنِ الْمُتَفَضِّلِ
بِمَةِ عَاشٍ غَيْرِ مُظَلِّلِ

* *

يَا رَاحِلًا أَخْلَى الدِّيَا
تَحْمَلُ الْأَمَالَ إِذْ
مَشَتْ الشَّيْبَةُ جَحْفَلًا
فَانْظُرْ سَرِيرَكَ هَلْ جَرَى
رَوْضُ الْوَدَاعِ لَمْ يَرْحَلْ
رَ شَبَابِهِ الْمُتَحَمَّلِ (١)
تَبْكِي لَوَاهِ الْجَحْفَلِ (٢)
فَوْقَ الدَّمْعِ الْهَاطِلِ
اللَّهُ فِي وَطَنِ ضَعِيفٍ
وَأَبٍ وَرَاءَكَ حُزْنُهُ
يَهْبُ الضِّيَاعَ الْعَامِرَا
لَيْسَ الْغَنَى مِنَ الْبَرِّ يَسَّةٌ غَيْرَ ذِي الْبَالِ الْخَلِي

(١) الشَّبَابُ الْمُتَحَمِّلُ ، أَيْ الرَّاحِلُ .

(٢) الْجَحْفَلُ : الْجَيْشُ .

- ونجسية بين العقبا ثل همها لا ينسلى (١)
 دخلت منازلها المنو ن على الجرىء المشبل (٢)
 كسرت جناح منعم ورمت فؤاد مدلل
 فكان آلك من شج ومتم وممرمل
 آل الحسين (يكر بلا في كربة لا تنجلي (٣)
 خلع الشباب على القنا وبذلت له اللعضل (٤)
 والسيف أرحم قاتلا من علة في مقتل
 فأذهب كما ذهب الحسيه من إلى الجوار الأفضل
 فكلأ كما زين الشبا ب بجنه الله العلى

(١) لا ينسل ، أى لا يعضى ولا يبارح مكانه من قلبها .

(٢) المشبل : هو الذى يلد الأشبال ، وهى أولاد السباع .

(٣) كربلاء : اسم الموضع الذى قتل فيه سيدنا الحسين رضى الله عنه .

(٤) يشبه الفقيد بالحسين بجامع بذل الشباب من كليهما وموت كليهما قبل أوانه كأنه يرى أن الموت فى سن الشباب بمثابة بذل الحياة وخلع ثوبها ، وهذا لا يناقى الاعتقاد بالأجل المكتوب ، فقيد يمثل الحسين عند ما رأى أن لا مفر من القتل بقول بعضهم :

❖ فلو ترك القضا لئلا لنام ❖

جورجى زيدان (*)

ممالك الشرق أم أدراس أطلال وتلك دُولاً أم رُسْمُها البالى (١)
أصابتها الدهرُ إلا فى مآثرها والدهرُ بالناسِ من حالٍ إلى حال
وصار ما تنغى من محاسنها حديث ذى حجة عن صفوه الخالى
إذا جفا الحق أرضاً هان جانبها كأنها غابة من غير رُبّال (٢)
وإن تحكّم فيها الجهل أسلها لفاتك من عوادي الذلّ قتال
نوابغ الشرق هزّوه لعلّ به من الليالى جُهودَ اليأس السالى
إن تنفخوا فيه من روح البيان ومن حقيقة العلم ينفض بعد إعصال
لا تجعلوا الدين باب الشر بينكم ولا محلّ مُباهاة وإدلال
ما الدين إلا تراث الناس قبلكم كلّ أمرئٍ لآبيه تابع تالى
ليس الغلو أميناً فى مشورته مناهج الرشد قد تحقّى على الغالى
لا تطلبوا حقكم بغياً ولا صلفاً ما أبعد الحق عن باغٍ ومُحتال
ولا يضيعن بالإهمال جانبها فَرُبَّ مصلحة ضاعت بإهمال

(*) الأستاذ الكبير المرحوم جورجى زيدان منقضى دار الهلال الغراء ، هو أحد مؤسسى النهضة الصحفية فى البلاد العربية ، وأحد أساطين رجال العلم والأدب ، الذين يرجع إلى مؤلفاتهم ويحتج بأرائهم . وقد توفى سنة ١٩١٤ بعد أن ترك خلفه من التراث العلمى والأدبى ما يكفى لتسجيل اسمه فى طليعة سجل المصلحين .

(١) الأدراس : جمع دارس ، وهو الطريق الخفى أو الثوب الخلق . والأطلال : جمع طلل ، وهو ما شخّص من آثار الديار . وهذا المطلع الشعرى ملآن بالفجع على ما صارت إليه ممالك الشرق فى هذه الأيام ، فهو يسأل مستنكراً : أهذه ممالك حقاً ؟ أم هى آثار ورسوم من ممالك عظيمة كانت موجودة وذهبت ؟

(٢) رُبّال : أسد .

كم هَمَّةٍ دَفَعَتْ جَيْلاً ذُرّاً شَرِيفٍ ونوْمَةٍ هَدَّمتْ بُنيانَ أَجْيالٍ
 والعِلْمُ في فَضْلِهِ أَوْ في مَفَاخِرِهِ رَكُنُ الْمَمَالِكِ صَدْرُ الدَّوْلَةِ الْحَالِي
 إِذَا مَشَتْ أُمَّةٌ فِي الْعَالَمِينَ بِهِ أَبِي لَهُ اللَّهُ أَنْ تَمْشِيَ بِأَغْلَالٍ
 يَقِلُّ لِلْعِلْمِ عِنْدَ الْعَارِفِينَ بِهِ مَا تُقَدِّرُ النَّفْسُ مِنْ حُبٍّ وَلَا جَلَالٍ
 فَكَيْفَ عَلَى أَهْلِهِ وَاطْلُبْ جَوَاهِرَهُ كَنَافِدٍ مُعْنٍ فِي كَفٍّ لَا لَّالٍ
 فَالْعِلْمُ يَفْعَلُ فِي الْأَرْوَاحِ فَاسِدُهُ مَا لَيْسَ يَفْعَلُ فِيهَا طِبُّ دَجَالٍ
 وَرَبُّ صَاحِبِ دَرَسٍ لَوْ وَقَفَتْ بِهِ رَأَيْتَ شِبْهَ عَلِيمٍ بَيْنَ جَهَّالٍ
 وَتَسْبِيحِ الشَّمْسِ فِي الْأَمْصَارِ حَكْمَتُهُ إِلَى كَهُولٍ وَشُبَّانٍ وَأَطْفَالٍ
 (زِيْدَان) إِنِّي مَعَ الدُّنْيَا كَعَهْدِكَ لِي رَضِيَ الصَّدِيقُ مَقِيلُ الْحَاسِدِ الْقَالِي
 لِي دَوْلَةُ الشَّعْرِ دُونَ الْعَصْرِ وَائِلَّةُ مَفَاخِرِي حِكْمِي فِيهَا وَأَمْشَالِي
 إِنْ تَمَشَّ لِلْخَيْرِ أَوْ لِلشَّرِّ بِي قَدَمُ أَشْمَرِ الذَّيْلِ أَوْ أَعْمُرُ بَأْذَانِي
 وَإِنْ لَقِيتُ ابْنَ أَثْنَى لِي عَلَيْهِ يَدُ جَحَدْتُ فِي جَنْبِ فَضْلِ اللَّهِ أَفْضَالِي
 وَأَشْكُرُ الصَّنْعَ فِي سِرِّي وَفِي عَلَنِي إِنْ الصَّنَائِعَ تَزْكَو عِنْدَ أَمْشَالِي
 وَأَتْرُكُ الْغَيْبَ لِلَّهِ الْعَلِيمِ بِهِ إِنْ الْغُيُوبَ صَنَادِيقُ بَأْفَقَالٍ
 (كَارِغَن) الدَّيْرُ لِكثَارِي وَمَوْقِعُهُ وَكَالْأَذَانِ عَلَى الْأَسْمَاعِ إِقْلَالِي ^(١)
 رَأَيْتُ قَبْلَكَ أَحِبَاباً فُجِعَتْ بِهِمْ وَرَحْتُ مِنْ فُرْقَةٍ الْأَحْبَابِ يُرْتَقَى لِي
 وَمَا عَلِمْتُ رَفِيقاً غَيْرَ مُؤْتَمِنٍ كَالْمَوْتِ لِلرَّءِ فِي حَالٍ وَتَرْحَالٍ
 أُرَحْتُ بِاللَّكِّ مِنْ دُنْيَا بِلَا خُلُقٍ أَلَيْسَ فِي الْمَوْتِ أَفْصَى رَاحَةِ الْبَالِ ؟
 طَالَتْ عَلَيْكَ عَوَادِي الدَّهْرِ فِي خُسْنٍ مِنْ الدُّرَابِ مَعَ الْأَيَّامِ مُنْهَالٍ
 لَمْ نَأْتِهِ بِأَخٍ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ أَخٍ

لا ينفعُ النفس فيه وهى حائرةُ إلا زكاةُ النهى والجاهِ والمالِ
 ما تصنعُ اليومَ من خيرٍ تجِدُه غداً الخيرُ والشرُّ مثقالٌ بمثقالِ
 قد أكملَ اللهُ ذِيَّكَ (الهِلالَ) لنا فلا رأى الدهرَ نقصاً بعدَ إكمالِ
 ولا يَزَلُ فى نفوسِ القارئِ له كرامةُ الصُّحفِ الأولى على التالى
 فيه الروائعُ من علمٍ ومن أدبٍ ومن وقائعِ أيامٍ وأحوالِ
 وفيه هَمُّهُ نفسِ زانها خُلِقَ هما لباغى المعالى خيرٌ مِنوالِ
 علَّتْ كُلَّ نَوِّمٍ فى الرجالِ به إن الحياةَ بِأمالٍ وأعمالِ
 ما كان من دُولِ الإسلامِ مُنصرِماً صَوَّرَتْهُ كلَّ أيامٍ بِمثالِ
 نرى به القومَ فى عزٍّ وفى ضِعَةٍ والمسلِكُ ما بين إدبارٍ وإقبالِ
 وما عرضتْ على الأبوابِ فاكهةٌ كالعلمِ تُبرِزه فى أحسنِ القالِ
 وضعتْ خيرَ (رواياتِ) الحياةِ فضَعُ روايةَ الموتِ فى أسلوبيها العالى
 وصِفْ لنا كيفَ تجفُّو الروحَ هَمِكَلها وَيَسْتَبْدُّ السِّلَى بالهيكَلِ الخالى
 وهل تَجِنُ إليه بعدَ فُرقتِه كما يَحِنُ إلى أوطانه الجالى^(١)
 هَضابُ بُنَّانٍ مِن مَنَعاتِكَ اضْطَرَبَتْ كأنَّ بُنَّانَ مَرْمَى يُزَلْزَلِ
 كذلكِ الارضُ تبكى فَقَدَ عالمِها كالأمِّ تبكى ذهابَ النافعِ العالى

شهداء العلم والغربة (*)

ألا في سبيل الله ذاك الدم الغالي وللجِدِّ ما أبقى مِنَ المَثَلِ العالى
وبعضُ المنايا هَمَّةٌ من ورائها حياةٌ لأفوايمٍ ودنيا لأجيال
أعْيَيْتِ جوداً بالدموعِ عَلَى دِمِّ كَرِهَ المَصْفَى من شبابٍ وآمال
تناهت به الأحداثُ من غُرْبَةِ النوى إلى حادثٍ من غُرْبَةِ الدهرِ قتال
جَرى أَرْجُوَانِيًّا كُمَيْتًا مُشْعَشَعًا بأبيضٍ من غَسْلِ الملائِكِ سَلْسَالٍ ^(١)
ولاذ بقضبانِ الحديدِ شهيدَه فعادت رفيفاً من عُيُونٍ وأطلال
سَلامٌ عليه فى الحياةِ وهامداً وفى العُصْرِ الحالى وفى العالمِ التالى
خَلِيلٌ قوماً فى رُبِّ الغربِ واسقيا رياحينِ هامٍ فى الترابِ وأوصالٍ ^(٢)
من الناعماتِ الراوياتِ من الصِّبا ذوتُ بين حلٍّ فى البلادِ وترحال
لَعَاها لنا الناعى فمال على أبٍ هُلُوعٍ وأُمِّ (بالكنانة) مِشْكال
طوى الغرب نحو الشرقِ يعدو سُلَيْكَه بمضطربٍ فى البرِّ والبحرِ مرقالٍ ^(٣)

(*) شهداء العلم والغربة : هم طائفة من شباب مصر سافروا لتلقى العلم فى جامعات أوروبا ، فاصطدم القطار الذى يقلمهم من أرض إيطاليا ، فقتل أحد عشر طالبا وجيء بهم إلى مصر ، فاستقبلت جيشهم استقبالا رهيبا ، واشتركت فى جنازتهم جميع طوائف البلاد . وبما كان يزيد الهول فى هذا المصاب حدوثه والبلاد مشتتة بثورتها فى سنة ١٩٢٠ .

(١) الأرجوانى : منسوب إلى الأرجوان ، وهو صبغ أحمر يشبه به الدم لشدة حرته .
والكميت : حمرة يخالطها السواد . ومعنى المشعشع ، المزوج بالماء . والنسل (بكسر الغين) : ما يفصل به . يصف دم هؤلاء الشهداء بأنه يجرى أحمر مشوبا بسواد بمزوجا بلون أبيض كأنه الماء السلسال الذى أصابه من غسل الملائكة .

(٢) الأوصال : الأعضاء .

(٣) سليك : رجل من العرب اشتهر بقوة الجرى ، ويضرب به المثل فى السرعة .
أراد تشبيه الناعى به . مرقال : مشية سريعة .

يُسِرُّ إِلَى النَفْسِ الْأَسَى غَيْرَ هَامِسٍ وَيُلْقِي عَلَى الْقَلْبِ الشَّجَى غَيْرَ قَوَّالٍ
سَمَاءَ الْحِمَى بِالشَّاطِئِينَ وَأَرْضَهُ مَنَاحَةَ أَقْمَارٍ وَمَأْتَمُ أَشْبَالٍ

* *

تَرَى الرِّيحَ تَدْرِي مَا الَّذِي قَدْ أَعَادَهَا بِسَاطًا وَلَكِنْ مِنْ حَدِيدٍ وَأَثْقَالٍ
يُقَلُّ مِنْ الْفَتَيَانِ أَشْبَالٍ غَابَةٍ غُدَاةً عَلَى الْأَخْطَارِ رُكَّابِ أَهْوَالٍ
نَلْتَهُ الْعَوَادِي دُونَ (أَوْدِينَ) فَانْتَنَى بَأْخَرَ مِنْ دُهِمِ الْمَقَادِيرِ ذِيَالٍ (١)
قَدْ اعْتَنَقْنَا تَحْتَ الدِّخَانِ كَمَا التَّقَى كَيْمَانَ فِي دَاجٍ مِنَ النَّعَقِ مُنْجَالٍ (٢)
فَسَبْحَانَ مَنْ يَرَى الْحَدِيدَ وَبَأْسَهُ عَلَى نَاعِمٍ غَضٍّ مِنَ الزَّهْرِ مِنْهَالٍ
وَمَنْ يَأْخُذُ السَّارِينَ بِالْفَجْرِ طَالِعًا طُلُوعَ الْمَنِيَا مِنْ نَبِيَّاتِ أَجَالٍ (٣)
وَمَنْ يَجْعَلُ الْأَسْفَارَ لِلنَّاسِ هِمَّةً إِلَى سَفَرٍ يَنْوُوهُ غَيْرَ قُفَّالٍ

* *

فِيَا نَاقِلِيهِمْ لَوْ تَرَكْتُمْ رُفَاتِهِمْ أَقَامَ يَتِيمًا فِي حِرَاسَةِ لَّالٍ (٤)
وَبَيْنَ (غَرِيْبَالِدِي) وَكَافُورٍ مُضْجَعُهُ لُنْزَاعِ أَصْصَارٍ عَلَى الْحَقِّ مُزَالٍ (٥)
فَهَلْ عَطَفْتُمْ رَنَّةَ الْأَهْلِ وَالْحِمَى وَضِجَّةَ أَتْرَابٍ عَلَيْهِمْ وَأُمُشَالٍ ؟
لَنْ فَاتَ مَصْرًا أَنْ يَمُوتُوا بِأَرْضِهَا لَقَدْ ظَفَرُوا بِالْبَعْثِ مِنْ تُرْبِهَا الْغَالِي
وَمَا شَعَلَتْهُمْ عَنْ هَوَاهَا قِيَامَةٌ إِذَا اعْتَلَّ رَهْنُ الْمُحْبِسِينَ بِأَشْغَالٍ (٦)

-
- (١) دهم : جمع أدهم ، وهو الأسود . وذبال : طويل الذيل . والذيل من كل شيء .
آخره ، ومن الفرس : ذنبه .
(٢) كيمان : مثني كمي . وهو الشجاع المتكبي ، أى المتغطى في سلاحه . والنقع : الغبار
(٣) النبيات : قم الجبال .
(٤) يريد باليتيم : اللؤلؤ . والآل : بائع الآلى وصاندها وصانعها .
(٥) غريبالدى وكافور : بطلان من أبطال الحركة الاستقلالية في إيطاليا .
(٦) رهن الحبسين : أول ما أطلق هذا التعبير كان يطلق على أبى العلاء المعرى .
والحبسان : هما العمى ولزومه البيت .

خَمَلْتُمْ مِنَ الْغَرْبِ الشَّمُوسَ لِمَشْرِقِ
عَوَاتِرُ لَمْ تَبْلُغْ صَبَاها وَلَمْ تَنْلُ
يَطَافُ بِهِمْ نَعْشًا فَنَعْشًا كَأَنَّهُمْ
تَوَابَيْتُ فِي الْأَعْنَاقِ تَتَرَى زَكِيَّةَ
مُلَقَّفَةٍ فِي حُلَّةٍ شَفِيفَةٍ
أَظَلَّ جَلَالَ الْعِلْمِ وَالْمَوْتِ وَفَدَّهَا
تُفَارِقُ دَارًا مِنْ غُرُورٍ وَبَاطِلٍ
فِيَا حَلْبَةَ رَقَّتْ عَلَى الْبَحْرِ حَلِيبَةً
جَرَتْ بَيْنَ إِبِمَاضِ الْعَوَاصِمِ بِالضُّحَى
كَثِيرَةً بَاغَى السَّبْقِ لَمْ يُرَ مِثْلُهَا
لَكَ اللَّهُ هَذَا الْخَطْبُ فِي الْوَهْمِ لَمْ يَقَعْ
بِإِلَى كُلِّ ذِي نَفْسٍ أَخُو الْمَوْتِ وَابْنُهُ
وَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ يَمُوتَ أَخُو الصَّبَا
وَكُلُّ شَبَابٍ أَوْ مَشِيبٍ رَهِينُهُ
وَمَا الشَّيْبُ مِنْ خَيْلِ الْعَلَا فَا رَكِبِ الصَّبَا
يَسْنُ الشَّبَابُ الْبَاسَ وَالْجُودَ لِلْفَتَى
تَلْقَى سَنَاها مُظْلَمًا كَاسِفَ الْبَالِ
مَدَّاهَا وَلَمْ تُوَصِّلْ مُخْجَاهَا بِأَصَالِ
مَصَاحِفُ لَمْ يَعْلُ الْمُصَلَّى عَلَى النَّالِ (١)
كُنَابُوتِ مُوسَى فِي مَنَاكِبِ إِسْرَآلِ (٢)
هَلَالِيَّةٍ مِنْ رَايَةِ النِّيلِ تَمْشَالِ
فَلَمْ تُنَلِّ إِلَّا فِي خُشُوعٍ وَإِجْلَالِ
إِلَى مَنْزِلٍ مِنْ جَبَرَةِ الْحَقِّ مُخَالِ
وَهَزَّتْ بِهَا (حُلُوانُ) أَعْطَافَ مَخْتَالِ (٣)
وَبَيْنَ ابْتِسَامِ الثَّغْرِ بِالْمُوكِبِ الْحَالِ
عَلَى عَهْدِ إِسْمَاعِيلِ ذِي الطَّلُوعِ وَالنَّالِ (٤)
وَتِلْكَ الْمَنَايَا لَمْ يَكُنْ عَلَى بَالِ
وَأِنْ جَرَّ أَذْيَالُ الْحَدَاثَةِ وَالْخَالِ
وَلَكِنْ عَجِيبٌ عَيْشُهُ عَيْشَةُ السَّالِ
بِمُعْتَرِضٍ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ مُغْتَالِ
إِلَى الْمَجْدِ تَرْكَبُ مَتْنٌ أَقْدَرِ جَوَّالِ
إِذَا الشَّيْبُ سَنَّ الْبَخْلَ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ

- (١) المصلى : هو الذى يحىء أول الخيل فى السبق . والتالى ، هو الذى يحىء تالياه .
(٢) تابوت موسى : هو الذى وضع فيه سيدنا موسى عليه السلام وألقى فى البحر فالتقطه آل فرعون وقاموا على تربيته حتى كبر . وإسرائيل ، أى لإسرائيل .
(٣) الحلبة : الخيل التى تجمع للسباق . حلوان : اسم الباخرة التى أقلت رفات الشهداء فى عودتهم إلى مصر .
(٤) النال : العطاء . وفى هذا البيت إشارة إلى السباق الذى كان يقام فى مدينة حلوان فى عهد إسماعيل باشا .

ويا نَشَأَ النِيلِ الكَرِيمِ عِزَاءَكُمْ
فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَرُدُّهُ
عَلَيْكُمْ لَوَاءُ الْعِلْمِ فَالْفَوْزُ تَحْتَهُ
إِذَا مَالٌ صَفٌّ فَاخْلُقُوهُ بِآخِرٍ
وَلَا يَصْلُحُ الْفَتْيَانُ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ
وَلَيْسَ لَهُمْ زَادٌ إِذَا مَا تَزَوَّدُوا
إِذَا جَزِعَ الْفَتْيَانُ فِي وَقْعٍ حَادِثٍ
وَلَوْلَا مَعَانٍ فِي الْفِدَى لَمْ تُعَانِهِ
فَغَنُّوا بِهَاتِيكَ الْمَصَارِعِ بَيْنَكُمْ
أَلَسْتُمْ بَنِي الْقَوْمِ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا
رُدِّدْتُمْ إِلَى فِرْعَوْنَ جَدًّا وَرَبِّهَا
وَلَا تَذْكُرُوا الْإِقْدَارَ إِلَّا بِإِجْمَالٍ
تَأْتَفُ قَالَ أَوْ تَلَطَّفُ مُحْتِمَالٌ (١)
وَلَيْسَ إِذَا الْأَعْلَامُ خَانَتْ بِخَدَّالٍ (٢)
وَصُورٌ مَسَاعٍ لَا مَكُولٍ وَلَا آلٍ (٣)
وَلَا يَجْمَعُونَ الْأَمْرَ أَنْصَافَ جَهَّالٍ
بَيَانًا جُرَافَ الْكَئِيلِ كَالْحَشَفِ الْبَالِي (٤)
فَمَنْ لَجَلِيلِ الْأَمْرِ أَوْ مُعْضِلِ الْحَالِ؟
نُفُوسُ الْحَوَارِيِّينَ أَوْ مُهْجُ الْآلِ (٥)
تَرْتُمُّ أَبْطَالٍ بِأَيَّامٍ أَبْطَالٍ
عَلَى الضَّرَبَاتِ السَّبْعِ فِي الْإَبَدِ الْخَالِي (٦)
رَجَعْتُمْ لَعْمٍ فِي الْقَبَائِلِ أَوْ خَالٍ

(١) قال : مبغض .

(٢) عليكم لواء العلم ، أى الزموا أو التزموا .

(٣) آل ، من قوهم : هو لا يألو جهدا .

(٤) الحشف البالي : التمر اليابس .

(٥) الحواريون : أصحاب عيسى . والآل : أصحاب محمد صلوات الله عليهما .

(٦) الضربات السبع : يشير إلى نوازل سماوية امتحن الله بها قدماء الصريين . ويريد

بالأبد : الزمن القديم المديد .

سعيد بك زغلول (*)

- آل (زغلول) حَسْبُكُمْ مِنْ عَزَائِهِ سُنَّةُ الْمَوْتِ فِي النَّبِيِّ وَآلِهِ
 فِي خِلَالِ الْخُطُوبِ مَارَاعَ إِلَّا أَنَهَا دُونَ صَبْرِكُمْ وَجَمَالِهِ
 حَمَلُ الرِّزَّةِ عَنْكُمْ فِي (سَعِيدِ) بَلَدُ شَيْخِكُمْ أَبُو أَحْمَالِهِ (١)
 قَدْ دَهَاهُ مِنْ فَقْدِهِ مَا دَهَاكُمْ وَبَكَى مَا بَكَيْتُمْ مِنْ خِلَالِهِ
 فِكَمَا كَانَ ذُخْرَكُمْ وَمُنَاكُمْ كَانَ مِنْ ذُخْرِهِ وَمِنْ آمَالِهِ
 لَيْتَ مِنْ فَكٍّ أَسْرَكُمْ لَمْ يَكَلِهِ لِلنَّسَايَا تَمْثُلُهُ فِي اعْتِقَالِهِ
 حَجَبَتْ مِنْ رَيْبِهِ مَا رَجَوْتُمْ وَطَوَتْ رَحْلَةَ الْعُلَا مِنْ هِلَالِهِ
 أَنْسَتْ صِحَّةَ فَرَّتْ عَلَيْهَا وَتَخَطَّتْ مُشَابَهَهُ لَمْ تُبَالِهِ
 إِنَّمَا مِنْ كِتَابِهِ يُتَوَفَى الْمَر ءَ لَا مِنْ شَبَابِهِ وَاسْتَهَالِهِ
 لَسْتُ تَذَرِي الْحِمَامَ بِالْغَابِ هَلْ حَا مَ عَلَى اللَّيْلِ أَمْ عَلَى أَشْبَالِهِ
 يَا (سَعِيدِ) اتَّهَدَ وَرِفْقًا بِشَيْخِ وَالِدٍ مِنْ لَوَاعِجِ الشُّكْلِ وَالهِ (٢)
 مَا كَفَاهُ نَوَائِبُ الْحَقِّ حَتَّى زِدَتْ فِي هَمِّهِ وَفِي أَشْغَالِهِ
 فِجَاءُ الدَّهْرِ فَاقْتَضَبْتُ الْقَوَافِي مِنْ فُجَاءَاتِهِ وَخَطَفَ ارْتِجَالِهِ
 قَمَّ فَشَاهِدَ لَوْ اسْتَطَعْتَ قِيَامًا حَسْرَةَ الشَّعْرِ وَالتِّيَاعَ خِيَالِهِ
 كَانَ لِي مِنْكَ فِي الْمَجَامِعِ رَاوٍ بَحْزَ (ابْنِ الْحُسَيْنِ) عَنْ أَمْثَالِهِ (٣)

(*) تفتح شباب سعيد بك زغلول عن رجولة ممتازة ، وبشر طالعه عن طالع عظيم
 ولـسـكـنـه لم يسـكـد يـؤـثـر عمره حتى اقتطفه الموت ، فـقـضى سنة ١٩٢٢ وكان خاله سعد باشا
 زغلول متبنيًا له .

- (١) شيخكم أبو أحماله : هو الزعيم سعد باشا . والبلد : مصر .
 (٢) الواله : الذي ذهب عقله أو كاد من شدة الوجد .
 (٣) ابن الحسين : الشاعر المتنبي . وراوى الشعر وراويته : الذي يروى شعره ويحفظه

فِطْنٌ لِلصَّاحِاحِ مِنْ أُولَئِكَ الْقَوِ
 لٍ وَأَدْرَى بِهِنَّ مِنْ لَأَلِه (١)
 لَمْ يَسْكُنْ فِي غُلُوِّهِ ضَيْقُ الصَّدِّ
 رٍ وَلَا كَانَ عَاجِزًا فِي اعْتِدَالِهِ
 لَا يُعَادَى وَيُتَّقَى أَنْ يُعَادَى
 وَيُخَلَّى سَبِيلَ مَنْ لَمْ يُوَالِهِ
 فَامْضِ فِي ذِمَّةِ الشَّبَابِ نَقِيًّا
 طَاهِرًا مَا تَنَيْتَ مِنْ أَذْيَالِهِ
 إِنَّ لِلْعَصْرِ وَالْحَيَاةِ لَلْوُ مَا
 لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا مِنْ بَحَالِهِ
 صَانِكَ اللَّهُ مِنْ فَسَادِ زَمَانٍ
 دَنَسَ اللَّوْمُ مِنْ ثِيَابِ رِجَالِهِ
 سَيَقُولُونَ مَا رَنَاهُ عَلَى الْفَضْلِ
 وَلَكِنْ رَنَاهُ زُلْفَى لِحَالِهِ
 أَتَيْهِمْ مَنْ أَتَى بِرَأْسِ كَلْبٍ
 أَوْ شَفَى الْقَطْرَ مِنْ عِيَاءِ أَحْتِلَالِهِ
 لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ خَالِكَ إِلَّا
 أَنْتَى مَا حَمَيْتُ فِي إِجْلَالِهِ
 أَتَمَنَّى لِمَصْرٍ أَنْ يَجْرَى الْخِيَمِ
 رَ لَهَا مِنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ
 لَسْتُ أَرْجُوهُ كَالرِّجَالِ لَصِيدٍ
 مِنْ حَرَامِ اتِّخَابِهِمْ أَوْ حِلَالِهِ
 كَيْفَ أَرْجُو (أَبَاسَعِيدٍ) لَشَيْءٍ
 كَانَ يَقْضِي بِكُفْرِهِ وَضَلَالِهِ
 هُوَ أَهْلٌ لِأَنْ يَرَدَّ لِقَوْمِي
 أَمْرَهُمْ فِي حَقِيقَةِ اسْتِقْلَالِهِ
 وَأَنَا الْمَرْءُ لَمْ أَرَ الْحَقَّ إِلَّا
 كُنْتُ مِنْ حُزْبِهِ وَمِنْ عَمَلِهِ
 رُبَّ حَزْبٍ صَنَعْتُ فِيهِ ثَنَاءً
 عَجَزَ النَّاحِتُونَ عَنْ تَمْنَاهُ (٢)

(١) اللآل : صانع الأولئ وبائعه .

(٢) يقول : إننى كثيرا ما أصنع للأحرار قصائد ثناء فتقوم في تصويرهم وتخليد
 أشيكلهم ومزايهم مقام التماثيل التي تعجز المتألمين الناحتين أن يصنعوا منها لها .

أمين بك الرافعى (*)

مالَ أحبابُهُ خليلًا خليلًا وتَوَلَّى اللداتُ إلا قليلاً
نَصلوا أمسٍ من غُبار اللبالي ومَضَى وحدَهُ يَحُثُّ الرحيلًا (١)
سَمَكَنَتْ منهمُ الركبُ كأنَّ لم تَضطربُ ساعةً ولم تمض ميلاً
جُرِّدوا مِن مَنَازِلِ الأرضِ إلا حَجَرًا دارِسًا ورَمَلًا مَهيلًا (٢)
وتَعَرَّوا إلى البلى فكسَّاهم خُشْنَةُ اللَّحْدِ والدُّجى المَسدولا
في يَبَابٍ مِنَ الثرى رَدَّه المَو تُ تَقِيًّا مِنَ الحَقودِ غَسيلًا (٣)
طَرَحوا عنَدَهُ الهمومَ وقالوا إِنَّ عِبَاءَ الحَيَاةِ كانَ ثَقيلًا
إنما العالَمُ الذى منه جُئنا مَلْعَبٌ لا يُنْصَوِّعُ التَّمشيلًا
بطلُ الموتِ فى الرواية رَكْنٌ بَنِيَتْ مِنْهُ هيكلاً وفصولًا
كلما راح أو غدا الموتُ فيها سَقَطَ السَّيْرُ بالدُّموعِ بليلاً

(*) أمين بك الرافعى ، كان كاتباً سياسياً عظيماً ، وكان فى الصحفيين السياسيين يعد مثلاً عالياً ؛ لظاهرة التهمة ونبيل الغاية ونزاهة الضمير . وله فى تمسكه برأيه وصلابته على الحق الذى يعتقده مواقف تضحية لا يصبر عليها إلا من وطن نفسه على احتمال جميع مكاره الحياة . وقد وقف حياته منذ نشأته على خدمة القضية المصرية ، وظل مجاهداً فى سبيل استقلال مصر حتى مات فى سنة ١٩٢٨ .

(١) نصلوا من غبار اللبالي ، تعبير كئنائى عن الموت ؛ إذ غبار اللبالي عبارة عن أحداثها وليس فى إمكان الحى التوصل من هذه الأحداث إلا بالموت . يقول : إن أحبابه وخلافه سبقوه وتوصلوا من الدنيا وحوادثها ، وها هو ماض على لأثرهم مسرعاً ليلحق بهم وينصل من بلاء الدنيا كما نصلوا .

(٢) يصف خروج الناس من الدنيا وليس فى أيديهم من ممتلكاتهم إلا الحجر الموضوع تحت رؤسهم ، والتراب المهيل فوق قبورهم ، فكأنه يقول : ليت شعرى بعد ! لم يتقاتل الناس ويتكالبون على بناء القصور وشراء الضياع وهم إذا ماتوا لا يصحبهم من هذه الممتلكات إلا حجر واحد وحفنة من تراب تدارى جسومهم وتوارى رمهم؟ .

(٣) البباب : الخراب . يقول : إن هذا البباب الذى نسميه بالمقابر موضع تقاه الموت من الأكدار وغسله من الأحقاد ، فهو من أجل ذلك صار أرواح للأرواح من المواضع الإلهة بالعمران .

ذكريات من الأحبة تُمحي بيد الزمان تمحو الطلولا
كل رسم من منزل أو حبيب سوف يمشى البلى عليه محملا
رب ثكل آساک من قرحة الشك. بل ورزء نساك رزءا جليلا

يا بنات القريض ثمن مناحي وأرسلن لوعة وعويلا
من بنات الهديل أنتن أحنى نعمة في الاسبى وأشجى هديلا (١)
إن دمعا تذر في إثر رفاقي سوف يبكي به الخليل الخليلا
رب يوم يباح فيه علينا لو نحس التواح والترتيلا
بمراث كنتين بالدمع عنا أسطرا من جوى وأخرى غليلا
يجيد القائلون فيها المعاني يوم لا يأذن البلى أن نقولا

أخذ الموت من يد الحق سيفًا خالدى الغرار عصبًا صقيلا (٢)
من سيوف الجهاد فولأذه الحق فهل كان قينته جبريلا؟ (٣)
لمسته يد السماء فكان ال برق والرعد خفقة وصليل
ولباء الرجال أمضى من السيف ف على كف فارس مسلولا
رب قلب أصاره الخلق ضرغا ما وصدر أصاره الحق غيلا (٤)

(١) الهديل: الحمام. وصوت الحمام والهديل أيضا: فرخ قالوا إنه كان على عهد نوح فصاده جراح من جوارح الطير فليس من حمامة إلا وهى تبكى عليه.
(٢) العصب: السيف. والغرار: حد السيف. وقوله «خالدى» نسبة إلى خالد بن الوليد. والصقيل: المصقول.

(٣) القين: هو الحداد الذى يصنع السيوف.

(٤) الضرغام: من أسماء الأسد. والغيل: موضع الأسد.

قِيلَ حَلَّهْ قُلْتُ عِرْقُ مِنَ التَّبِ رَ أَرَا حَ الْبَيَانَ وَالتَّحْلِيلَا
 لَمْ يَزِدْ فِي الْحَدِيدِ وَالنَّارِ إِلَّا لِحْمَةً حَرَّةً وَصَبْرًا جَمِيلَا
 لَمْ يَخَفْ فِي حَيَاتِهِ شَيْبَحَ الْفَقْدِ رَ إِذَا طَافَ بِالرِّجَالِ مَهُولَا
 جَاعَ حِينًا فَكَانَ كَاللَّيْثِ أَبِي مَا تُلَاقِيهِ يَوْمَ جُوعٍ هَزِيلَا
 تَأْكُلُ الْهَرَّةُ الصَّغَارَ إِذَا جَا عَتَ وَلَا تَأْكُلُ اللَّبَاءُ الشُّبُولَا
 قِيلَ غَالٍ فِي الرَّأْيِ قُلْتُ هَبْهُ قَدْ يَكُونُ الْغُلُوُّ رَأْيًا أَصِيلَا
 وَقَدِيمًا بَنَى الْغُلُوُّ نَفُوسًا وَقَدِيمًا بَنَى الْغُلُوُّ عُقُولًا
 وَكَمْ اسْتَمْضَى الشَّيُوخَ وَأَذَكِي فِي الشَّبَابِ الطَّمَاخَ وَالتَّامِيلَا
 وَمِنْ الرَّأْيِ مَا يَكُونُ نِفَاقًا أَوْ يَكُونُ اتِّجَاهَهُ التَّضْلِيلَا
 وَمِنْ النَّقْدِ وَالْجِدَالِ كَلَامُ يُشَبِّهُ الْبَغْيَ وَالْخَنَا وَالْفُضُولَا
 وَأَرَى الصَّدَقَ دَيْدَنًا لِسَلِيلِ رَ أَفْعَيْتَيْنِ وَالْعَفَافَ سَيْدِلَا
 عَاشَ لَمْ يَغْتَبِ الرِّجَالَ وَلَمْ يَجِدْ مَعْلَ شُورَنَ النَّفُوسِ قَالًا وَقِيلَا
 قَدْ فَقَدْنَا بِهِ بَقِيَّةَ رَهْطٍ أَيْقَظُوا النَّيْلَ وَادِيًا وَنَزِيلَا
 حَرَّ كَوِّهِ وَكَانَ بِالْأَمْسِ كَالِكَهْ فِ حُزُونًا وَكَالرَّقِيمِ سَهُولَا^(١)
 يَا أَمِينَ الْحَقُوقِ أَذَيْتَ حَتَّى لَمْ تَخُنْ مِصْرَ فِي الْحَقُوقِ فِتِيلَا
 وَلَوْ اسْطَظَعَتْ زِدَّتْ مِصْرَ مِنَ الْحَقِّ عَلَى نِيلِهَا الْمُبَارِكِ نِيلَا
 لَسْتُ أَنْسَاكَ قَابَعًا بَيْنَ دُرَجِيهِ كَ مُكَبَّأًا عَلَيْهِمَا مَشْغُولَا

(١) الكهف: كالبيت المنقور في الجبل. والرقيم، يقال هو الكتاب، وإذن فيكون تشبيهه سهول النيل بالرقيم، معناه أنها كانت وقتئذ مبسوطة خالية مهيأة لأن يخط فوقها حروف الحياة الأولى. ولو سئل أحد الحكماء: ما هي الحروف الأولى للحياة؟ لأجاب على الفور: هي اليقظة. ولعمري إن ربة الحكمة إذن هي التي ألهمت أمير الشعراء قوله في البيت السابق: «أيقظوا النيل واديا ونزيلا» ففي تصويره الذهني لمعنى اليقظة سبق خياله إلى تشبيه سهول وادي النيل بالرقيم.

قد تواريت في الخشوع نخالو لك ضئيلاً وما خلقت ضئيلاً
سائل (الشعب) عنك و (العلم) الخفّاق أو سائل النواء الظليلاً^(١)
كم إمام قربت في الصف منه ومغنٍ قعدت منه رسيلاً
تُشدُّ الناس في القضية لحناً كالحواريّ رتل الإنجيلاً
ماضيّاً في الجهاد لم تتأخّر تزين الصف أو تُقيم الرعيلاً^(٢)
ما تُبالي مَضيت وحدك تحمي حوذة الحق أم مضيت قبيلاً

* * *

إن يُقت فيك منبرِ الامسِ شعري إن لي المنبرَ الذي لن يزولا
جلّ عن مُفسدٍ سوى الدهر يُلقيه على الغابرين جيلاً فجيلاً

(١) الشعب والعلم والنواء : أسماء : صحفي كان الفقيه يحررها مناضلاً فيها عن مبادئه .
(٢) الرعيلى : طائفة من الخيل . والمراد أنه كان في جيش المجاهدين في القضية المصرية يقوم الصفوف إذا مالت ، ويرد الطوائف إذا نفرت .

الشيخ سلامة حجازي (*)

يا ترى النَّيْلَ في نواحيك طَيْرٌ كان دُنْيَا وكان فرحة جِيلِ
لم يزلْ ينزلُ الخِثَالُ حتَّى حلَّ في رُبُوعٍ على سلسبيلِ
أفعد الروضَ في الحياة مَلِيًّا وأقامَ الرُّبَى بسحر الهديلِ (١)
يا لواءَ الغِناءِ في دولة الفنِّ إليك اتَّجَهِتُ بالإكليلِ
عقبَ رِيًّا كأنه زَنْبُقُ الخلدِ على فرعة السرى الأسيلِ (٢)
أَيْنَ مِنْ مسمع الزمانِ أغانيُّ عليهنَّ رَوْعَةُ التَّمثيلِ
أين صَوْتُ كأنه رَنَّةُ البُلْبُلِ في الناعم الوريْفِ الظِّلِيلِ
فيه من نَعْمَةِ المزاميرِ معنًى وعليه قَدَّاسَةُ الترتيلِ
كَلَّسَارَنَ في المسارحِ ، إن كنتُ ، أنثى بالهتافِ والتَّهليلِ (٣)
كعِتابِ الحبيبِ في أذنِ الصَّبِّ وهَمْسِ النَّدِيمِ حول الشَّمولِ (٤)
كيف إخواننا هناك على الكو ثر بين الصِّبا وبين القَبولِ (٥)

(*) بلغ الشيخ سلامة حجازي أعلى قمم المجد في فني الغناء والتمثيل في عصره ، وقد رأى أن يعترف له بهذا النبوغ اعترافاً عملياً . فتألفت جماعة من أهل الفضل واتفقوا على نقل جثمانه إلى صريح يتناسب وهذا التقدير ، ورأوا من أفضل الوسائل لهذه الغاية أن يقيموا حفلة تذكارية تعجيداً لذكرى الفقيه ، وتم لهم ذلك ، وأقيمت الحفلة في شهر ديسمبر سنة ١٩٣١ وأنشدت فيها هذه القصيدة العصماء .

(١) الهديل : الصوت الحسن الذي يشبه صوت الحمام .

(٢) السرى : الجدول .

(٣) إن كنت ، يشير إلى أن الفقيه قد ذاعت من أغانيه قصيدة مطلعها :

إن كنت في الجيش أدعى صاحب العلم * فإنني في هواكم صاحب الألبم

(٤) الشمول : الحُر .

(٥) الصِّبا : نسيم مهبها إذا استوى الليل والنهار .

كيف في الخلد ضَرْبُ أحمد بالعو دِ وَنَفْخُ الأمين في الأرغول (١)
 فَرَحُ كله النعيمِ وَعُرسُ كيف (عثمان) فيه كيف (الحمولى) (٢)
 فهنيئًا لكم ونعمه بالِ اسْتَرَحْتُمْ من ظِلِّ كلِّ ثَقِيلِ
 إنما مَنَزَلُ رِفَاتِكِ فِيهِ لَبَقَايا من كلِّ فَنٍّ يَمِيلِ
 ذُبُلَتِ في ثَرَاهُ رِيحَانَةُ الفَنِّ وَجَفَتْ رِيحَانَةُ التَّمْثِيلِ

قام يَجْزَى (سلامة) في ثَرَاهُ وطنٌ بالجزاء غَيْرُ بَحِيلِ
 قد يُوقِي البناء والغرسَ أَجْرًا وَيُكَافِي على الصنيعِ الجليلِ
 مُحَسِّنٌ بالبنينِ في حاضر العيدِ شِ وفي سالف الزمان الطويلِ
 ويعدُّ الضريح من مَرَمَرِ الخلدِ يد الكريم المَهْدَبِ المَصْفُولِ (٣)
 يَدْفَنُ الصالحينِ في ورقِ المَصِّ حَفَّ أَوْ في صحائف الإنجيلِ

مِصرُ في غَيْبَةِ المشايخِ والحَا سدِّ والحاقِدِ اللَّثِيمِ الذَّلِيلِ
 قامت اليومَ حولَ ذِكْرِكَ تجزى وطنيًّا من الطَّرازِ القليلِ
 من رجالِ بنو مصرَ حديثًا وأذاعوا مَحاسِنًا لِلنَّيْلِ
 هم سُقَاةُ القلوبِ بالودِّ والصفِّ و هم تارَةً سُقَاةُ العقولِ
 ليس منهم إلّا قَتَى عبقريُّ ليس في المجدِ بالدَّعَى الدَّخِيلِ

(١) أحمد ، اسم أحد المعاصرين ، اشتهر بضرب العود . وأمين ، معاصر آخر اشتهر بالأرغول .

(٢) عثمان ، هو محمد عثمان ، وكان من المغنين الكبار . والحمولى هو عبده الحمولى .

(٣) الضريح ، هو البناء الذى اتفقت لجنة إحياء ذكرى الفقيد علي صنعه من الرمر المصقول ليدفن فيه جثمان الفقيد تكريمًا له .

أدهم باشا (*)

مُصاب بِنِي الدنيا عَظِيمٌ (بأدهم) وأعظمُ منه حيرةُ الشَّعرِ في فَمِي
أَنطَقُ والانباءُ تَتَرى بِطَيْبٍ وَأَسْكُتُ والانباءُ تَتَرى بِمَوْمٍ ؟
أَتَيْتُ بَغالٍ في الشَّاءِ مُنْضَـدٍ فَمَنْ لِي بِغالٍ في الرِّثاءِ مُنْظَمٍ
عَسَى الشَّعْرُ أَنْ يَجْزِيَ جَرِيئًا لِفَقْدِهِ بَكَى التُّركُ واليونانُ بالدَّمْعِ والدَّمِ
وَكَمْ مِنْ شُجاعٍ في العِداءِ مُسَكَّرِمٍ وَكَمْ مِنْ جَبانٍ في اللِّدَاءِ مُدَمَّمٍ
وَهَلْ نافعُ جَرى القوافي لِنَعايَةٍ وَقَدْ فَتَكَتْ دُهمُ المنايا بأدهم (١)
رَمَتْ فَأَصَابَتْ خَيْرَ رَأَمٍ بِهَا العَدَى وَمَا السَّهْمُ إِلَّا لِلْقَضَاءِ المحمَّمِ
فَتَى كانَ سَيْفَ الهِنْدِ في صُورَةٍ آمِرِيَّ وَكانَ قَتَى الفَتَيانِ في مَسَكٍ ضِيعَمٍ (٢)
لَحاهُ على الإِقْدامِ حُسادُ مجديهِ وَمَا خُلِقَ الإِقْبالُ إِلَّا لِمُقْدَمٍ
مُزَعزَعُ أَجبالٍ وَغاشِي مَعاقلٍ وَقائِدُ جَزارٍ وَمُزَجِّجِي عَرَمَرَمٍ (٣)
سَلَوْا عَنْهُ (مِيلونا) وَمَا في شِعابِهِ وَفي ذُرُوتَيْهِ مِنْ نُسُورٍ وَأَعْظَمِ
لِيالِي بَاتَ الدِّينُ في غَيْرِ قَبْضَةٍ وَزُلْزَلَ في إِيْمانِهِ كُلُّ مُسْلِمٍ
وَقَالَ أَناسُ آخِرِ العَهْدِ بِالْمِلا وَهَمَّتْ ظُنُونٌ بِالتُّراثِ المَقْسمِ (٤)
فَأَطْلَعَ للإِسلامِ والمُلُكِ كَوَكَبًا مِنْ النِّصْرِ في داجٍ مِنْ الشُّكِّ مُظْلَمِ
وَرُخْنا نُباهى الشَّرْقَ والغَرْبَ عِزَّةً وَكنا حَدِيثَ الشَّامِ المِترَحِمِ
مِفاخِرُ للتَّاريخِ تُحْصَى لِأَدَهِمْ وَمَنْ يَقْرُضُ التَّاريخَ يَرَبِّحُ وَيَقْنَمُ

(*) أدهم باشا : هو القائد التركي الذي اشتهر في الحروب العثمانية اليونانية .

(١) دهم المنايا ، أى سود المنايا .

(٢) المسك (بفتح الميم) : الجلد . والضيعم : الأسد .

(٣) العرمم : الجيش الكبير .

(٤) الملا : الجماعة ؛ ويريد بها الدولة العثمانية . والتراث المقسم : البلاد التابعة للدولة

في ذلك الوقت .

*
* *

ألا أيها الساعون هل ليس الصفا سواداً وقد غصّ الورود بزمرم ؟
وهل أقبل الركبان ينعون (خالداً) إلى كل راي بالجمار ومحرم ؟
وهل مسجد تتلون فيه رثاءه فيكم قد تلوثتم مدحه بالترتم
وكان إذا خاض الاسنة والظبي تنحت إلى أن يعبر الفارس الكمي
ومن يعط في هذي الدنية فُسحة يُعمر وإن لاقى الحروب ويسلم
(على) أبو الزهراء داهية الوغى دهاه بباب الدار سيف ابن ملجم
(فروق) أضحكى وآبكي فخاراً ولوعة وقوى إلى نعش الفقيد المعظم
كأَمْ شهيد قد أتاها نعيه خففت له بين البكا والتبسم
وخطى له بين السلاطين مضجعاً وقبراً بجنب الفاتح المتقدم
بخلت عليه في الحياة بموكب فتوبى إليه في الممات بمانم
وياداء ما أنصفت أذرعت صدره وقد كان فيه الملك إن ربيع يحتمي
ويأبها الماشون حول سريرته أحطتم بتاريخ فصيح التكلم
ويامص من شيعت أعلى همامة وأثبت قلباً من رواصي المقطم
ويا قوم هذا من يُقام لمثله مثال لباغى قُدوة مُتعلم
ويا بحر تدرى قدر من أنت حامل ويا أرض صونية ويا ربّي أرحم

والعظماء الذين نفيوا عنه لقب (مخلد) عتق لكان

والعظماء الذين نفيوا عنه لقب (مخلد) عتق لكان

والعظماء الذين نفيوا عنه لقب (مخلد) عتق لكان

والعظماء الذين نفيوا عنه لقب (مخلد) عتق لكان

والعظماء الذين نفيوا عنه لقب (مخلد) عتق لكان

عثمان باشا الغازى (*)

هالةٌ للهِلالِ فيها اعتصامٌ كيف حامتِ حِيالُها الأيَّامُ
دخلتُها عليكِ (عثمانُ) في السَّلمِ وقد كنتِ في الوغى لا تُرامُ
وإذا الداءُ كانَ داءَ المنايا صَعَّبَتْهُ لاهِلُها الأعلامُ
فبرغمِ (المُشيرِ) أن يَتَوَلَّى والخطوبُ المروعاتُ جِسامُ
ويُدُّ المُلِكُ تَسْتَجِيرُ يَدِيهِ والسَّرايا تَدْعُوهُ والأعلامُ
وبُنُوهُ يَرْجُوهُ وَهُمْ الجُنْدُ وَهُمْ قَادَةُ الجُنُودِ العِظامِ
مَثَلَتْهُمْ صَفَاتُهُ للبرايا رَبُّ فَرْدٍ سَادَتْ بِهِ أَقْوامُ
بطلَ الشَّرِيقِ قد بَكَتْكَ المعالي ورثاكِ الوليُّ والأخصامُ
خَذَلَ المَلِكُ زَنْدَهُ يَوْمَ أَوْدَيْتَ وَأَهْوَى مِنْ راحَتِهِ الحُسامُ
ودَهَى الدينَ والخِلافةَ أَمْرُ فادْحُ رَائِعُ جَلِيلُ جُسامِ
عَلِمُ العَصْرِ والمَمالِكِ وَلَى وقَلِيلُ أَمْثالِهِ الأعلامِ
سَلْ (بلفنا) أَكُنْتَ تُدْرِكُ فِيهَا ولو آنَ المُحاصِرِينَ الأنامِ
خَيْمَ الرُّوسِ حَوْلَ حِصْنِكَ لَكِنْ أَيْنَ مِنْ هَامَةِ السَّيْكِ الخِيامِ
وأحاطتْ بعِزِّكَ الجُنْدُ لَكِنْ عِزُّكَ الشُّهُبُ والجُنُودُ الظلامِ
كلُّها جَرَّدَ (المُحاصِرُ) سَيْفًا قَطَعَ السَّيْفُ رَأْيَكَ الصَّمَامِ
وإذا كانتِ العُقُولُ كِبَارًا سَلِمَتْ فِي المَضايِقِ الأجسامِ
وعَجِيبٌ لَا يَأْخُذُ السَّيْفُ مِنْكُمْ وَيَنالُ الطَّوَى وَيُعْطَى الأوامُ
فَخَرَجْتُمْ إِلَى العِدا لَمْ تُبَالُوا ما لاسِيْدٍ عَلَى سُغُوبِ مَقامِ

(*) هو قائد تركى كبير ، اشتهر في الحروب العثمانية الروسية .

تَخْرِقُونَ الْجِيُوشَ جَيْشًا بَجَيْشًا
وَالْمَنَايَا مُحِيطَةً وَحُصُونُ الرُّ
لِنَارِ الْعَدُوِّ فِيكُمْ قَعُودُ
جُرَحَ اللَّيْثِ يَوْمَ ذَلِكَ نَفَّانُ
مَا دَفَعَتِ الْحَسَامُ عَجْزًا وَلَكِنْ
فَأَعَادُوهُ خَيْرَ شَيْءٍ أَعَادُوا
فَتَقَلَّدَتْهُ وَكَنتَ خَلِيَّتَهَا
سَلْ (كَرِيدًا) وَأَيْنَ مَنَّا كَرِيدُ
مَا لَهَا عَوْدَةٌ وَلَا لَكَ رَدُّ
إِنَّمَا الْمَلِكُ صَارِمٌ وَيَرَاعُ
وَنِظَامُ الْأُمُورِ عَقْلٌ وَعَدْلٌ
وَعَجِيبٌ خُلِقَتْ لِلْحَرْبِ لَيْشًا
فَهِيَ فِي رَأْيِكَ الْقَوِيمُ حَلَالٌ
لَكَ سَيْفٌ إِلَى الْيَتَامَى بِفَيْضٍ
مُسْتَبَدٌّ عَلَى قَوِيٍّ حَلِيمٌ

بطرس باشا غالى (*)

قبرَ الوزيرِ تحيَّةً وسَلاماً الحِلْمُ والمعروفُ فيكَ أَقاما
ومحاسنُ الاخلاقِ فيكَ تَغَيَّبَت عامًّا وسوفَ تَغَيَّبُ الاعواما
قد كنتَ صومعةً فصرتَ كنيسةً في ظلِّها صَلَّى المُطِيفُ وصاما
القومُ حولك يابن (غالى) خُشَّعُ يقضونَ حقًّا واجبًا وذِماما
يَسْعَوْنَ بالابصارِ نحو سَريـرِه كالارض تَنشُدُ في السماء غماما
يَكُونُ موئلهم وكهفَ رَجايمهم والاريجيَّ المفضلَ المِقْداما
مُتسابقين إلى ثَراكِ كَانهم ناديكَ في عِزِّ الحِياةِ زِحاما
وَدُّوا عِداةً تُقَلِّتَ بَيْنَ عُيُونهم لو كانَ ذلكَ مُحْشَرًا وَقِياما
ما ذا لَقِيتَ من الرِياساتِ العِلا وأخذتَ مِن نِعمِ الحِياةِ جِساما
اليومُ يُغْنِي عَنكَ لوعَةُ بائِسٍ وعِزاءِ أرملةٍ وَحُزْنُ يَتامى
والرأى للتاريخِ فيكَ فِى غَدٍ يَزُنُ الرجالَ وينطقُ الاحكاما
يقضى عليهم فى البريةِ أو لهم ويُدِيمُ حَمْدًا أو يُؤَيِّدُ ذاما
أنتَ الحَكيمُ فلا ترعكَ مَنيَّةُ أعلِمتَ حَيًّا غيرَ رَfidِكَ داما
إنَّ الذى خَلَقَ الحِياةَ وِضدَها جَعَلَ البقاءَ لوجهِه إِكراما
قد عِشتَ تُحَدِّثُ للنصارى أُلُفَّةً وَتُجِدُّ بينَ المسلمينَ وَثاما
واليومَ فوقَ مَشيدِ قَبْرِكَ مَيِّتًا وَجَدَ الموقِفُ للبقالِ مَقاما

(*) بطرس باشا غالى ، كان رئيس الوزارة المصرية فى أيام حُكم الخديو عباس الثانى .
وقد اغتاله إبراهيم الوردانى فى سنة ١٩١٠ لأسباب سياسية .

الحقَّ أبلغُ كالصَّباحِ لِناظِرٍ لو أنَّ قومًا حَكَمُوا الأحلاما
أعهدتْنا والقِيْطَ إلا أمةً للأرضِ واحدةً تروم مراما
نعلی تعالیمَ المسيحِ لاجلهم ويوقِّرونَ لأجلنا الإسلاما
الدينُ للديانِ جلَّ جلاله لو شاء ربُّك وحَّدَ الأفواما
يا قوم بان الرُّشْدُ فأقصوا ما جرى وخذوا الحقيقةَ وابْئذُوا الأواما
هذي ربوعُكُمْ وتلك ربوعُنا مُتقابلينَ تُعالِجُ الأياما
هذي قبورُكُمْ وتلك قبورُنا مُتجاورينَ بجماعٍ وعظاما
فبحُرمةِ الموتى وواجبِ حقِّهم عيشوا كما يَقضى الجوارُ كراما

بيـكى والدته (*)

إلى الله أشكو من عوادي النوى سَهْمًا أصاب سُوداءَ الفؤادِ وما أَصْنَى (١)
 من الهاتكات القلبِ أوَّلَ وهلةٍ وما داخلتُ لحماً ولا لامستُ عظاماً
 توارَدَ والنَّاعِي فأوجستُ رنةً كلاماً على سمعي وفي كبدي كَلَمًا (٢)
 فما هتفا حتى نَزَا الجنبُ وأنزوى فيا ويح جنبي كم يسيلُ وكُم يَدِي (٣)
 طوى الشرق نحو الغربِ والماءَ للشرى إلى ولم يركبِ بساطاً ولا يَمًا (٤)
 أبان ولم يَتَبَسَّسْ ، وأدَّى ولم يَفْه وأدى وما داوَى ، وأوهى وما رَمَا
 إذا طُوِيَتْ بالشَّهْبِ والدِّهْمِ شَقَّةٌ طَوَى الشَّهْبَ أوجابَ الغدافيةِ الدِّهْمَا (٥)
 ولم أركباً لأحداث سَهْمًا إذا جِرتْ ولا كالليالي راميًا يُبعد المرعى !
 ولم أَرُ حُكْمًا كالْمَقَادِيرِ نافذًا ولا كلفاء الموت من بينها حَتْمًا

(*) نظام أمير الشعراء - هذه المراثية الرائعة على إثر إعلان الهدنة وهو في منفاه في الأندلس سنة ١٩١٨ ، إذ كان يعلى النفس بالعودة إلى الوطن العزيز ولقاء آله ، وفي مقدمتهم والدته الحبيبة ، ولكنه ما كاد يتحدث إلى نفسه بهذا الأمل الرموق حتى وافاه البرق بنعيمها . فأثر هذا المصاب الجسيم في نفسه تأثيراً بالغاً ولم تمض ساعة حتى كتب هذه المراثية ، وقد قيل إنه من فرط تأثره بها تحاشى أن ينظر إليها بعد ، فبقيت مستورة ضمن أوراقه الخاصة حتى نشرت في الصحف غداة وفاته رحمه الله .

(١) عوادي النوى : عوائقه . وقوله « أصاب سُوداءَ الفؤادِ وما أَصْنَى » ، أى أصاب صميم القلب ولم يقتل .

(٢) الكلام (بفتح الكاف) : الجرح .

(٣) نزا الجنب ، يريد نزا القلب ، ويقال : نزا الطائر . إذا هم بالطيران .

(٤) بساطاً ولا يَمًا ، أى لم يركب طيارة تسير في الهواء كما سار بساط الريح بسليمان

عليه السلام ، ولم يركب باخرة تسير على اليم ، أى البحر .

(٥) الشَّهْبُ : البيض . والدِّهْمُ : السود . وجاب : قطع . والغدافية : السوداء . ويقصد

بالشَّهْبِ وبالدِّهْمِ : الحيل البيضاء والسوداء ، أو النهار والليل : كأنه يتعجب من سرعة هذا النعي في وصوله إليه .

إلى حيثُ آباءُ الفتى يذهبُ الفتى سبيلُ يدينِ العالمونَ بها قدما
وما العيشُ إلا الجسمُ في ظلِ رُوحه ولا الموتُ إلا الروحُ فارتقتِ الجسما
ولا خُلدَ حتى تملأَ الدهرُ حكمةً على نُزلاءِ الدهرِ بعدك أوعلى

*
* *

زَجَرْتُ تصاريِفَ الزمانِ فما يَنَعُ لى اليوم منها كان بالأمس لى وهما (١)
وقدَرْتُ (للتعمانِ) يوما وضده فما اغترَّت البُوسى ولا غرَّت النعمى (٢)
شَرِبْتُ الأسى مصروفةً لو تعرضتُ بأنفاسِها بالقَمِّ لم يستفِق غمّا
فَأَتَرَعُ وناولُ يازمانُ فإنما نديمُكَ (سقراطُ) الذى ابتدع السِّما (٣)
قتلتُكَ حتى ما أبالى أدت لى بكأسِكَ نَجْمًا أم أدت بها رَجْمًا !
لَكَ اللهُ من مطعونةٍ بقنا النوى شهيدةٍ حربٍ لم تُعارفَ لها إثمًا
مُدْهَلَةٌ أَزكى من النارِ زفرةً وأنزه من دَمعِ الحيا عبرةً سَحْمًا (٤)
سقاها بَشيرى وهى تبكى صبايةً فلم يقو مغناها على صَوْبِهِ رَسْمًا (٥)
أَسَتْ جُرْحَها الأنباءَ غيرَ رفيقةٍ وكم نازعَ سَهْمًا فسكان هو السهما !
تغار على الحُمى الفضائلُ والعلا لما قبِلْتُ منها وما ضَمَّت الحمى !
أُكُنْتُ تَمَنّاها وَهَوَى لِقاءِها إذا هى سَمّاها بذى الارض من سَمّى !

(١) الزجر : العياقة والتسكهن . يقول : إنه كات متسكهن بما صنعه الزمن معه وكان متوقعا له .

(٢) كان للنعمان بن المنذر يوم بؤس لايفد فيه عليه أحد إلا قتله ، ويوم نعمى لايسأل فيه إلا أعطى ولهذاذين البومين حوادث سارت من أجلها أمثال كثيرة للعرب . ويرجع فى هذا إلى السكتب الأدبية المطولة من شاء .

(٣) سقراط : إمام الفلاسفة المتكشفين ، حكم عليه بالإعدام فشرب السم بيده ، ولم يرض أن يفر مع أصحابه الذين عزموا عليه بالفرار .

(٤) العبرة السحما ، أى السوداء ، ولا يكون هذا إلا من أثر الحزن العميق .

(٥) الرسم : ضرب من السحر .

أَلَمَّتْ عَلَيْهَا وَانْتَقَتْ ثَمَرَاتِهَا فَلَهَا وَفُوا الْأَسْوَاءَ لَمْ تَرَهَا ذَمًّا
فِيَا حَسْرَتَا أَلَا تَرَاهُمُ أَهْلَةً إِذَا أَقْصَرَ الْبَدْرُ التَّمَامُ مَضُوءًا قَدْ مَّا
رِيَّاحِينَ فِي أَنْفِ الْوَلِيِّ وَمَالِهَا عَدُوُّ تَرَاهُمْ فِي مَعَاطِسِهِ رَغْمًا
وَأَلَا يَطُوفُوا خُشْعًا حَوْلَ نَعِشِهَا وَلَا يُشْبِعُوا الرُّكْنَ اسْتِلَامًا وَلَا كَثْمًا
حَلَفْتُ بِمَا أَسْلَفْتُ فِي الْمَهْدِ مِنْ يَدٍ وَأُولَيْتُ جِثْمَانِي مِنَ الْمِثَّةِ الْعَظْمَى
وَقَبْرِ مَنْوُطٍ بِالْجَلَالِ مَقْلِدٍ تَلِيدِ الْخِلَالِ الْكَثْرُ وَالطَّارِفَ الْجَمًّا (١)
وَبِالْغَادِيَّاتِ السَّاقِيَّاتِ نَزِيلِهِ مِنْ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْآيِ وَالْأَسْمَا
لِمَا كَانَ لِي فِي الْحَرْبِ رَأْيٌ وَلَا هَوًى وَلَا رُمْتُ هَذَا الشَّكْلَ لِلنَّاسِ وَالْيَتَامَا
وَلَمْ يَكْ ظَلُمُ الطَّيْرِ بِالرَّقِّ لِي رِضًا فَكَيْفَ رِضَانِي أَنْ يَرَى الْبَشَرُ الظَّلَامَا ؟
وَلَمْ أَلْ شُبَّانَ الْبَرِيَّةِ رِقَّةً كَأَنَّ ثَمَارَ الْقَلْبِ مِنْ وَلَدِي ثَمًّا
وَكُنْتُ عَلَى نَهْجٍ مِنَ الرَّأْيِ وَاضِحٍ أَرَى النَّاسَ صِنْفَيْنِ: الذَّنَابَ أَوِ الْبُهِمَّا (٢)
وَمَا الْحَكْمَ إِلَّا فِي أَوَّلَى الْبَاسِ دَوْلَةً وَلَا الْعَدْلَ إِلَّا حَاطِطٌ يَعْصِمُ الْحَكْمَا

* *

نَزَلْتُ رَبِّي الدُّنْيَا وَجَنَاتٍ عَدِيدًا فَمَا وَجَدْتُ نَفْسِي لِأَنْهَارِهَا طَعْمًا
أَرِيحُ أَرِيحُ الْمَسْكَ فِي عَرَصَاتِهَا وَإِنْ لَمْ أُرْجِ (مَرْوَانَ) فِيهَا وَلَا (الْخَنَّا) (٣)
إِذَا ضَحَكْتُ زَهْوًا إِلَى سَمَاوِهَا بَكَيْتُ النَّدَى فِي الْأَرْضِ وَالْبَاسَ وَالْخَزْمَا
أَطِيفٌ بِرِسْمٍ أَوْ أَلَمْ بِدِمْنَةٍ أَخَالَ الْقُصُورَ الزُّهْرَ وَالْعُرْفَ الشُّمَّا
فَمَا بَرَحْتُ مِنْ خَاطِرِي (مَصْرُ) سَاعَةً وَلَا أَنْتَ فِي ذِي الدَّارِ زَايِلَتْ لِي وَهْمَا

(١) التليد : القديم . والطارف : الجديد .

(٢) البهم (بضم الباء) : الغم .

(٣) مروان ولحم : قبيلتان عريبتان ، وهما من القبائل التي تولت السيادة في بلاد

إذا جَنَنِي اللَّيْلُ أَهْتَزْتُ إِلَيْكَ فُجِنَّا إِلَى سَعْدَى وَجُنَحًا إِلَى سُلَى (١)
 فلما بدا للناسُ صُبْحُ من المُنَى وأبصرَ فيه ذو البصيرة والاعْمَى
 وقرَّتْ سيوفُ الهندِ وارتكَزَ القَنَا وأقْلَعَتِ البلوى وأقْشَعَتِ الغُمَى
 وحنَّتْ نواقيسُ ورتَّتْ مآذِنُ ورقَّتْ وجوهُ الأرضِ تستقبلُ السَّلَى
 أنى الدهرُ من دون الهناء ولم يزلْ ولَوْعًا يُبْنِيانِ الرجاءَ إذا تَمَّا !
 إذا جال في الأعيادِ حلَّ نظامُها أو العُرسِ أنلى في معالِه هَدَمًا
 لئن فات ما أَمَلْتِه من مواكبِ فدونك هذا الحشدُ والموكبُ الضخمُ !
 رثيت به ذاتَ الشَّقَى ونظمتُه لعنصره الأزكى وجوهره الاسْمَى
 نمتكِ مناجيبُ العُلا ونميتها فلم تُلَحِّقْ بِنَتَّا ولم تُسَبِّحْ أُمَّا
 وكنت إذا هذى السماءُ تخايلت تواضعتِ لكنْ بعد ما فُتَّها نَجْمًا !
 أتيت به لم ينظم الشعرَ مثله وجئتِ لاخلق السَّكرامَ به نظما
 ولو نهضتُ عنه السماءُ ومَحَضَّتْ به الأرضُ كان المُرْنُ والتبرُّ والكُرمُ ! (٢)

(١) الجنح (بضم الجيم وكسر ها) : طائفة من الليل .

(٢) يريد أنه يشبه المزن في السَّكرَم ، والتبر في العرق والنفاسة ، والخمر في السَّكر الذي يسَّكر الناس به من شعره .

الملك حسين (*)

لك في الأرض والسماء ماتم قامَ فيها أبو الملائك هاشم (١)
 قعد الآل للعرء وقامت باكياتٍ على الحسين القواطم (٢)

يا أبا العليّة البهاليل سلّ آ باءك الزهر هل من الموت عاصم (٣)
 المنايا تَوازَلُ الشّعِرِ الآب بيضٍ جاراتُ كلِّ أسودٍ فاحم (٤)
 ما الليالى إلا قصارٌ ولا الدنّ سِيا سِوى ما رأيت أحلام نائم
 انحسارُ الشّفاء عن سنٍّ جذلا ن وراء الكرى إلى سنٍّ نادِم
 سمّة أفرحت وأخرى أساءت لم يذم في النعيم والكربِ حالم

المناحات في ممالك أنبنا ثك بذريّة العزراء قوائم (٥)
 تلك (بغداد) في الدموع وعمّا ن وراء السّواد والشّام واجم (٦)

(*) هو ملك الحجاز الحسين بن علي ، زعيم الحركة العربية في طلب تحرير أصقاع الجزيرة من حكم الأتراك ، وقد توفي سنة ١٩٣١ ودفن بالقدس الشريف .
 (١) أبو الملائك ، أى أبو الملوك . وهاشم ؛ هو أحد جدود النبي صلوات الله عليه .
 (٢) الآل : آل البيت النبوى الشريف . والقواطم ، يطلقن على طائفة من السيدات الصبايات كل منهن تسمى فاطمة ، فنهن فاطمة الزهراء ، ومنهن فاطمة بنت حمزة .. الخ والغرض الشعري من هذه المجانسة في السياق معروف .
 (٣) عليّة (بكسر العين) : جمع على ، وهو الشريف العالى القدر من الناس .
 والبهايل : جمع بهلول ، وهو العيد الجامع لكل خير . وآباءك الزهر ، أى آباءك المشابهون للنجوم الزهر .
 (٤) يقول : إن المنايا تنزل بالشيب كما تنزل بالشباب ، فليس هناك من عاصم منهن .
 (٥) يشبه الحزن على الفقيده بالحزن على صرعى بدر ، أولى غزوات الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم .
 (٦) عمات ، المقصود هنا : هو الصقم المعروف بالشام . والشام : دمشق .
 والسواد : القرى .

والحجازُ النّيل ربُّ مُصلٍّ من ربوع الهدى وآخرُ صائم^(١)
واشترطنا فِصْرَ عَبْرَى ولُبنا ن سَكوبُ العيون باكي الحمام

*
*
*

قُمْ تأمل بفيك في الشرق زين الدَّجَّاج ملء السرير نور العواصم^(٢)
الزكيون عُصرا مثل إبرا هيم والطيبون مثل القاسم^(٣)
وعليهم إذا العيون رمّتهم عوذٌ من محمدٍ وتمائم^(٤)
قد بنى الله بيتهم فهو باقٍ ما بنى الله ماله من هادم
دَبَرُوا الملكَ في العراق وفي الشَّام م فسئوا الهدى ورَدُّوا المظالم
أمنَ الناسُ في ذَرَاهم وطابت عَرَبُ الأرضِ تحتم والأعاجم
وبَنَوْا دولةً وراءَ فلسطين من كعابِ الهدى فتاة العزائم
سأسها بالأناة أروعُ ك (الدا خل) ماضى الجنان يقظان حازم^(٥)
قُبْرُصُ كانت الحديد وقد تَدَّ يزل قضبانَه الليوث الضراغم^(٦)
كره الدهرُ أن يقومَ لواءُ تُحشِرُ البيد تحتَه والعائم

(١) الحجاز النّيل ، يقصد الحجاز الذى بقى محافظا على عهده للفقيد . والربيع : الدار .

(٢) العواصم : جمع عاصمة ، وهى البلدان الكبيرة التى تقيم فيها الحكومات .

(٣) إبراهيم والقاسم ، هما من أولاد النبي صلوات الله عليه .

(٤) عوذ : جمع عوذة ، وهى الرقية تحفظ من العين كالتميمة ، وجمع التيممة تمائم .

(٥) الأناة : الرفق . ويريد «بالأروع» الملك فيصل . يشبهه بالداخل وهو عبد الرحمن

الداخل صقر قریش مؤسس دولة بنى أمية فى الأندلس .

(٦) قبرص : جزيرة فى البحر الأبيض المتوسط . قضا فيها الملك حسين بقية عمره بعد

ما اعتزل الملك . يشبهها أمير الشعراء فى حالة إقامة الفقيد فيها بالفص الحديد الذى يحمى فيه الأسد ، وصنع الأقفاص الحديدية لحبس الأسود مألوف لمنظمي الحدائق فى عصرنا هذا .

* *

قُمْ تَحَدَّثْ (أَبَا عَلِيٍّ) إِلَيْنَا كَيْفَ غَامَرْتَ فِي جِوَارِ الْأَرَاقِمِ (١)
لَمْ تُبَالِ الثِّيُوبَ فِي الْهَامِ خَشِنًا وَتَعَلَّقْتَ بِالْحَوَاشِي النَّوَاعِمِ
هَاتِ حَدَّثَ عَنِ الْعَوَانِ وَصِفْهَا لَا تُرْعَ فِي التَّرَابِ مَا أَنَا لَا أُنِمْ (٢)
كُلْنَا وَارِدُ السَّرَابِ وَكُلُّ حَمَلُ فِي وَلِيمَةِ الذَّنْبِ طَاعِمِ (٣)
قَدْ رَجَوْنَا مِنَ الْمَغَانِمِ حَظًّا وَوَرَدْنَا الْوَعَى فَكُنَا الْغَنَائِمِ

* *

قَدْ بَعَثَ الْقَضِيَّةَ الْيَوْمَ مَيِّتًا رَبُّ عَظَمَ أَتَى الْأُمُورَ الْعَظَامِ
أَنْتَ كَالْحَقِّ أَلْفَ النَّاسِ يَقْظَا نَ وَزَادَ ائْتِلَافَهُمْ وَهُوَ نَائِمِ
إِنَّمَا الْهِمَّةُ الْبَعِيدَةُ غَرَسَ مُنَاتِي الْجَنَى بَطْلَى السَّكَّامِ (٤)
رُبَّمَا غَابَ عَنِ يَدِ غَرَسَتِهِ وَحَوْتِهِ عَلَى الْمَدَى يَدُ قَادِمِ
حَبِذَا مَوْقِفُ غُلْبَتِ عَلَيْهِ لَمْ يَقِفْهُ لِلْعُربِ قَبْلَكَ خَادِمِ
ذَانِدًا عَنِ مَمَالِكِ وَشُعُوبِ نُقِلْتُ فِي الْأَكْفِ نَقْلَ الدَّرَاهِمِ
كُلُّ مَاءٍ لَهُمْ وَكُلُّ سَمَاءٍ مَوْطِئُ الْخَيْلِ أَوْ مَطَارُ الْقَشَاعِمِ (٥)
لَمْ تَكُنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهِمَّةِ الشَّامِ مَاءَ الْعِلْمِ وَالطَّمَّاحِ الْمَزَاحِمِ

(١) يشير إلى انضمام الفقيه في صف الخلفاء ضد تركيا في أثناء الحرب الكبرى ، وقد كان لهذا الانضمام أثره في نهاية تلك الحرب .
(٢) العوان : الحرب .

(٣) كلنا في وليمة الذئب طاعم : يريد كلنا مطعموم مأكول لهذا الذئب .

(٤) الجنى : الثمار . والسكَّام : محل ما تنبت تلك الثمار .

(٥) القشاعم : النسور ، جمع قشع . ويريد « بالنسور » : الطيارين الذين يشبهون النسور .

وَرُكُوبَ اللَّجَاجِ وَهِيَ طَوَاغٍ وَالسَّمَوَاتِ وَهِيَ هُوجُ الشَّكَاثِمِ (١)
وَالِى الْقُطْبِ وَالْجَلِيدُ عَلَيْهِ وَالصَّحَارَى وَمَا بَهَا مِنْ سَمَائِمِ (٢)
أَغْسَلُوهُ بِطَيِّبٍ مِنْ وَضُوءِ السَّرِّ سَلْ كَالْوَرْدِ فِي رُبَاهِ الْبَوَاسِمِ (٣)
وَأُخَذُوا مِنْ وَسَادِهِمْ فِي الْمُصَلَّى رَقْعَةً كَفَّنُوا بِهَا فِرْعَ هَاشِمِ
وَأَسْتَعِيرُوا لِنَعَشِهِ مِنْ ذُرَى الْمُنِيرِ عُودًا وَمِنْ شَرِيفِ الْقَوَائِمِ
وَاحْمَلُوهُ عَلَى الْبُرَاقِ إِنْ اسْطَعْتُمْ فَقَدْ جَلَّ عَنْ ظُهُورِ الرُّوَاسِمِ (٤)
وَأَدِيرُوا إِلَى الْعَتِيقِ (حُسَيْنًا) يَبْتَهِلُ رُكْنَهُ وَتَدْعُو الدَّعَائِمِ (٥)
وَإِذْ كَرُوا لِلْأَمِيرِ مَكَّةَ وَالْقَصْرَ وَعَهْدَ الصَّافَا وَطِيبَ الْمَوَاسِمِ
ظَلَمَى الْحَرُّ لِلدَّيَّارِ وَإِنْ كَانَ عَلَى مَنَهْلٍ مِنَ الْخُلْدِ دَائِمِ

نَقَّلُوا النَّعْشَ سَاعَةً فِي رُبَا الْفَتْحِ وَطُوفُوا بِرَبِّهِ فِي الْمَعَالِمِ
وَقِفُّوا سَاعَةً بِهِ فِي تَرَى الْأَفْصَارِ مِنْ قَوْمِهِ وَتَرْبِ الْغَنَائِمِ
وَإِذْ فَنَسُوهُ فِي الْقُدْسِ بَيْنَ سُلَيْمَانَ وَدَاوُدَ وَالْمُلُوكِ الْإِكْرَامِ
إِنَّمَا الْقُدْسُ مَنْزِلُ الْوَحْيِ مَغْنَى كُلِّ حَبِيرٍ مِنَ الْإِوَاتِلِ عَالِمِ
كُنُفَتْ بِالْغُيُوبِ فَالْأَرْضُ أَشْرَا رَمَدَى الدَّهْرِ وَالسَّمَاءُ طَلَّاسِمِ
وَتَحَلَّتْ مِنَ الْبُرَاقِ بَطْفَرَا ءَ وَمِنْ حَافِرِ الْبُرَاقِ بِخَاتَمِ (٦)

(١) يريد «ركوب السموات» ركوب الطيارات . ويريد «هوج الشكاثم» : اللجم ، أى اللجم الصعبة القياد .

(٢) السمائم : جمع سموم ، الريح الحارة المحرقة .

(٣) الوضوء (بفتح الواو) : ما يتوضأ به .

(٤) الرواسم : الإبل ، أو الخيل ، أو الركائب عامة .

(٥) العتيق : مسجد بيت المقدس حيث دفن الفقيده .

(٦) الظفرأ : ما يكتب فى أول الكتاب . والبراق : هو ركوبة النبي صلوات

الله عليه ليلة أسرى به .

يرثي أباه (*)

سَأَلُونِي لِمَ لَمْ أَرِثِ أَبِي ؟ ورثاء الأب دَيْنٌ أَى دَيْنٍ
أُشِيهَا الْأَسْوَأُ مَا أَظْلَمَكُمْ أَيْنَ لِي الْعَقْلُ الَّذِي يُسْعِدُنِي ؟ (١)
يَا أَبِي مَا أَنْتَ فِي ذَا أَوَّلٍ كُلُّ نَفْسٍ لِلْمَنَايَا قَرْضٌ عَيْنٍ
هَلَكْتَ قَبْلَكَ نَاسٌ وَقُرَى وَتَعَى النَّاعُونَ خَيْرَ الثَّقَلَيْنِ (٢)
غَايَةُ الْمَرِّ وَإِنْ طَالَ الْمَدَى أَخِذْهُ يَاخِذْهُ بِالْأَصْغَرَيْنِ (٣)
وَطَيْبٌ يَتَوَلَّى عَاجِزًا نَافِضًا مِنْ طِبِّهِ خُفِّي حُنَيْنٍ (٤)
إِنَّ لِلْمَوْتِ يَدًا إِنْ ضَرَبَتْ أَوْ شَكَتْ تَصْدَعُ شَمْلَ الْفَرَاقَيْنِ
تَنْفُذُ الْجَوَّ عَلَى عِقْبَانِهِ وَتُلَاقِي اللَّيْتَ بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ
وَتَحُطُّ الْفَرَخُ مِنْ أَيْكَتِهِ وَتَنَالُ الْبَبَّغَا فِي الْمُسْتَيْنِ
أَنَا مَنْ مَاتَ وَمَنْ مَاتَ أَنَا لَقِيَ الْمَوْتَ كَلَانَا مَرَّتَيْنِ
نَحْنُ كُنَّا مُهْجَةً فِي بَدَنِ ثُمَّ صِرْنَا مُهْجَةً فِي بَدَنَيْنِ (٥)
ثُمَّ عُدْنَا مُهْجَةً فِي بَدَنِ ثُمَّ نَلَقِي جُشَّةً فِي كَفَيْنَيْنِ

(*) نظم هذه القصيدة حوالى سنة ١٨٩٧ يرثي بها والده الطيب الذكر المرحوم على بك شوق رحمه الله .

(١) يسعد : يعين .

(٢) الثقلان : الإنسان والجن . وخير الثقلين ، هو سيدنا محمد صلوات الله عليه .

(٣) الأصغران : القلب واللسان .

(٤) خفي حنين : مثل عربي يضرب عند اليأس من الحاجة المطلوبة والرجوع عن الطلب بالحنينة

(٥) المهجة : الدم ، وقد يعبر بها عن الروح ، يقال : خرجت مهجته ، أى روحه .

- ثم نَحْيَ فِي (عَلَى) بَعْدَنَا وَبِهِ تُبْعَثُ أُولَى الْبَعْثَيْنِ (١)
 أَنْظِرِ الْكَوْنَ وَقُلْ فِي وَصْفِهِ كُلُّ هَذَا أَصْلُهُ مِنْ أَبَوَيْنِ
 فَإِذَا مَا قِيلَ مَا أَصْلُهُمَا قُلْ هُمَا الرَّحْمَةُ فِي مَرَحَتَيْنِ
 فَقَدْ دَا الْجَنَّةَ فِي إِيجَادِنَا وَنَعِمْنَا مِنْهُمَا فِي جَنَّتَيْنِ
 وَهُمَا الْعَذْرُ إِذَا مَا أَغْضِبَا وَهُمَا الصَّفْحُ لَنَا مُسْتَرْضَيْنِ
 لَيْتَ شَعَرَى أَيْ حَيٍّ لَمْ يَدِنْ بِالذِّى دَانَا بِهِ مُبْتَدَيْنِ
 وَقَفَّ اللَّهُ بِنَا حَيْثُ هُمَا وَأَمَاتَ الرُّسُلَ إِلَّا الْوَالِدَيْنِ (٢)
 مَا أَبَى إِلَّا أَخٌ فَارْقُتْهُ وَذَهَبَ الصَّدُوقُ وَوَدَّ النَّاسُ مِنْ (٣)
 طَالَمَا قُمْنَا إِلَى مَائِدَةٍ كَانَتْ الْكِسْرَةُ فِيهَا كِسْرَتَيْنِ
 وَشَرَبْنَا مِنْ إِنْاءٍ وَاحِدٍ وَغَسَلْنَا بَعْدَ ذَا فِيهِ الْيَدَيْنِ
 وَتَمَشَّيْنَا يَدَى فِي يَدِهِ مَنْ رَأَى قَالَ عَنَا أَخَوَيْنِ
 نَظَرَ الدَّهْرُ إِلَيْنَا نَظْرَةً سَوَتْ الشَّرَّ فَكَانَتْ لَظَرَتَيْنِ
 يَا أَبَى وَالْمَوْتُ كَأْسٌ مَرَّةً لَا تَذُوقُ النَّفْسُ مِنْهَا مَرَّتَيْنِ
 كَيْفَ كَانَتْ سَاعَةٌ قَضَيْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَهَا أَوْ بَعْدَهَا ؟

(١) على ، هو أحد نبلي أمير الشعراء .

(٢) يريد في هذا البيت أن يقرر أن الأبوة ضرب من ضروب الرسالة التي لم تنقطع كما انقطعت رسالة الأنبياء ، وإنما هي ستمثل قائمة بوظيفتها من طبع الأبناء على غرار الآباء مصداقا للأثر القائل : ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .

(٣) اللين : الكذب . وفي هذا البيت على سهولة أدائه أعظم ألوان المدائح لوالد ، فإن الوالد الذى لا يشعر ابنه بسلطة الأب هو الوالد المشتمل على جميع مكارم الأخلاق ، البالغ أعلى درجات الحكمة .

(١) أَشْرَبْتُ الْمَوْتَ فِيهَا جُرْعَةً أَمْ شَرِبْتُ الْمَوْتَ فِيهَا جُرْعَتَيْنِ؟
 لَا تَخَفْ بَعْدَكَ حُزْنًا أَوْ بَكَاءً جَمَدْتُ مِنِّي وَمِنْكَ الْيَوْمَ عَيْنِ
 أَنْتَ قَدْ عَلَّمْتَنِي تَرْكَ الْأَمْرِ كُلُّ زَيْنٍ مِنْهَا الْمَوْتُ شَيْنٌ
 لَيْتَ شَعْرَى هَلْ لَنَا أَنْ نَلْتَقَى مَرَّةً أَمْ ذَا أَفْتِرَاقِ الْمَلَوَيْنِ (١)
 وَإِذَا مَثُ وَأُودِعْتَ الثَّرَى أَنْلَقَى حَفْرَةً أَمْ حُفْرَتَيْنِ؟

(١) الملوان : الليل والنهار ، الواحد منهما ملا :

مصطفى كامل باشا (*)

المَشْرِقَانِ عَلَيْكَ يَنْتَحِيَانِ قاصِيهما في مآتمٍ والدَّانِي
يا خادِمَ الإسلامِ أجزُ مجَاهِدِ في اللَّهِ مِنْ خُلْدٍ وَمِنْ رِضْوَانِ
لَمَّا نُعِيتَ إِلَى الْحِجَازِ مَشَى الْأَسَى في الزَّائِرِينَ وَرُوعَ الْحَرَمَانِ (١)
السَّكَّةُ الْكُبْرَى حِيَالِ رَبَاهُمَا مَنكُوسَةُ الْأَعْلَامِ وَالْقَضِيَانِ (٢)
لَمْ تَأْلَهَا عِنْدَ الشَّدَائِدِ خِدْمَةً في اللَّهِ وَالْمُخْتَارِ وَالسُّلْطَانِ
يَا لَيْتَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ فَازَتَا في الْمُحْفَلَيْنِ بِصَوْتِكَ الرِّثَانِ
لِيرَى الْأَوَاخِرُ يَوْمَ ذَاكَ وَيَسْمَعُوا مَا غَابَ مِنْ قَسٍّ وَمِنْ سَجَبَانِ (٣)
جَارَ التَّرَابِ وَأَنْتَ أَكْرَمُ رَاحِلِ مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْوُجُودِ الْفَانِي؟
أَبْكِي صَبَاكَ وَلَا أُعَاتِبُ مَنْ جَنَى هَذَا عَلَيْهِ كِرَامَةُ الْجَانِي
يَتَسَاءَلُونَ أَبَ (السَّلَاةِ) قَضَيْتَ أَمْ بِالْقَلْبِ أَمْ هَلْ مُتَ بِالسَّرَطَانِ؟
اللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ مَوْتَكَ بِالْحِجَا وَالْجِدِّ وَالْإِفْقَادِ وَالْعِرْفَانِ
إِنْ كَانَ لِلْأَخْلَاقِ رُكْنٌ قَائِمٌ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَأَنْتَ الْبَانِي
بِاللَّهِ فَتَشَّ عَنْ فَوَادِكَ فِي الثَّرَى هَلْ فِيهِ آمَالٌ وَفِيهِ أُمَانِي؟
وَجَدَانُكَ الْحَيُّ الْمُقِيمُ عَلَى الْمَدَى وَكُرْبٌ حَيٌّ مَيِّتِ الْوِجْدَانِ
النَّاسُ جَارٍ فِي الْحَيَاةِ لِنَايَةِ وَمُضَلِّلٍ يَجْرَى بِغَيْرِ عِنَانِ

(*) هو الزعيم الخالد الذكر مصطفى كامل باشا مؤسس الحزب الوطني ، وقد توفى سنة ١٩٠٨ .

(١) الحرمان : حرم مكة والمدينة .

(٢) السكة الكبرى : يريد سكة حديد الحجاز ، وقد كان الفقيد أعظم الدعاة المجاهدين في سبيل إنشائها .

(٣) قس وسجبات : خطيبان عرييان يضرب بهما المشل في الطلاقة الخطابية والفصاحة والحكمة .

والخلدُ في الدنيا وليس بهيِّنَ
فلو أنَّ رسلَ الله قد جَبُنُوا لَمَا
المجدُ والشرفُ الرفيعُ صحيفَةٌ
وأحبُّ من طُولِ الحياةِ بذلَّةٌ
دَقَّاتُ قلبِ المرءِ قاتلةٌ له
فارفع لنفسك بعد موتك ذِكْرَهَا
لِلمرءِ في الدنيا وجمَّ شؤونها
فهى الفضاة لراغبٍ مُتطلِّعٍ
الناسُ غادٍ في الشقاءِ ورائحُ
ومنعمهم لم يَلْقَ إلا لذةً
فأصبرْ على نُعمى الحياةِ وبُوسها
باطاهرَ الغدواتِ والروحاتِ والإعلاناتِ
هل قامَ قبلكَ في المدائنِ فأنحَ
يدعو إلى العلمِ الشريفِ وعنده
لُفُوكَ في عِلْمِ البلادِ منكَسًا
ما احمرَّ من خجلٍ ولا من رِيبةٍ
يُرْجُونَ نَعشَكَ في السناءِ وفي السَّنا
وكانه نَعشُ الحُسَيْنِ « بكربلا »
في ذمَّةِ الله الكريمِ وبرِّه

علميا المراتبِ لم تُتَمَّحْ لجبان
ماتوا على دينٍ من الأديان
جعلت لها الأخلاقُ كالعنوان
قَصْرُ يُريك تَقاصرَ الاقتران
إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثوانٍ
فالذكرُ للإنسانِ عمرُ ثانی
ما شاء من رِبحٍ ومن خسران
وهي المِضيقُ لمؤثر السلوان
يَشقى له الرُحماءُ وهو الهاني
في طيِّها شَجَنٌ من الأشجان
نُعمى الحياةِ وبُوسها سيَّان^(١)
يَا طاهرَ الغدواتِ والروحاتِ والإعلاناتِ
غازٍ بغيرِ مُهَنِّدٍ وَسِنَانٍ؟
أنَّ العلومَ دعائمُ العُمرانِ
جَزَعُ الهلالِ على قَى الفتيانِ
لكنما يَبكى بدمعِ قاني^(٢)
فكأنما في نَعشِكَ القَمَرانِ
يُخْتالُ بين بكى وبين حنانِ
ما ضَمَّ من عَرفٍ ومن إحسانِ

(١) سيان : مثلان ، الواحد سى .

(٢) قاني : أحمر .

وَمَشَى جَلالُ الموتِ وهو حقيقةٌ وَجَلالُكَ المصدوقُ يلتقيانِ
شَقَّتْ لِمُنْظَرِكَ الجيوبَ عقائِلُ وَبِسَكَّتِكَ بالدَّعِ الهتون غَوافِي^(١)
وَالْخَلْقُ حَوْلَكَ خاشعون كعهدهم إِذْ يَنْصِتُونَ لِحُطْبَةِ وَبَيانِ
يَتَسَاءَلُونَ بِأَيِّ قَلْبٍ تُرْتَقَى بَعْدُ الْمُنَابِرُ أَمْ بِأَيِّ لِسَانِ
لَوْ أَنَّ أَوْطَانًا تُصَوِّرُ هَيْكَلًا دَفَنُوكَ بَيْنَ جَوَانِحِ الْإِوْطَانِ
أَوْ كَانَ يُحْمَلُ فِي الْجَوَارِحِ مَيِّتٌ حَمْلُوكَ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْإِجْفَانِ
أَوْ صِيغَ مِنْ غَرِّ الْفَضَائِلِ وَالْعَلَا كَفَنُكَ لَبَسَتْ أَحاسِنَ الْإِكْفَانِ
أَوْ كَانَ لِلذِّكْرِ الْحَكِيمِ بَقِيَّةٌ لَمْ تَأْتِ بَعْدُ؛ رُئِيتَ فِي الْقُرْآنِ
وَلَقَدْ نَظَرْتُكَ وَالرَّدَى بِكَ مُحْدَقٌ وَالِدَاءِ مِلءُ مَعَالِمِ الْجَنَانِ
يَبْغِي وَيُطْعَى وَالطَّيِّبُ مُضَلَّلٌ قَنِيطُ وَسَاعَاتُ الرِّحِيلِ دَوَانِي
وَنَوَاطِرُ الْعَوَادِ عَنَبُكَ أَمَالُهَا دَمْعُ تُعَالِجِ كَتْمِهِ وَتُعَانِي
تُمَلَى وَتَكْتَبُ وَالْمَشَاغِلُ جَمَّةٌ وَيَدَاكَ فِي الْقِرَاطِ تَرْتَجِفَانِ
فَهَشَشْتُ لِي حَتَّى كَأَنَّكَ عَائِدِي وَأَنَا الَّذِي هَذَا السَّقَامُ كَيَانِي
وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَمُوتُ آسَادُ الشَّرَى وَعَرَفْتُ كَيْفَ مِصَارِعُ الشُّجْعَانِ^(٢)
وَوَجَدْتُ فِي ذَاكَ الْخَيَالِ عِزًّا مَا لِلنُّونِ بِدَكِّهِ يَدَانِ
وَجَعَلْتَ تَسْأَلُنِي الرِّثَاءَ فَهَا كَ مِنْ أَدْمُعِي وَسِرَّاتِي وَجَنَانِي
لَوْلَا مُعَالِجَةُ الشُّجُونِ لَخَاطِرِي لِنَظْمَتِي فِيكَ يَلِيمَةُ الْإِزْمَانِ
وَأَنَا الَّذِي أَرْتِي الشُّمُوسَ إِذَا هَوَتْ فَتَعُودُ سِيرَتَهَا إِلَى الدَّوَرَانِ

(١) القائل جمع عقيلة ، وهي من كل شيء كريمته . والهتون : من هتن الدمع ، إذا فطر والغواني جمع غانية ، وهي الفتاة تغتنى بجهاها عن الخلى .

(٢) آساد : جمع أسد . والشري : طريق في جبل سلمي كثيرة الأسد .

قد كنت تهتفُ في الورى بقصائدى وتُجلُّ فوق النيراتِ مكانى
 ماذا دهانى يومَ بُنتَ فعقنى فيك القريضُ وخانى إمكاني
 هَوْنٌ عليك فلا شماتَ بميتٍ إن المنيةَ غايةُ الإنسانِ
 من للحسودِ بميتةٍ بلغتها عزّت على (كسرى) أنو شروان
 عوفيت من حرب الحياة وحربها فهل استرحت أم استراح الشانى^(١)
 يا صَبِّ مصرَ ويا شهيدَ غرامها هذا ترى مصرٍ فتم بأمان
 إخلعْ على مصرٍ شبابك عاليا وألبسْ شباب الحورِ والولدان
 فلعل مصرًا من شبابك ترتدى مجدًا تتيه به على البلدان
 فلو أنّ بالهرمين من عزماته بعض المضاء تحرك الهرمان
 علّت شُبَّان المدائن والقُرى كيف الحياة تكونُ فى الشبان
 مصرُ الاسيفه ريفها وصعيدُها قَبْرُ أبرُّ على عظامك حانى
 أقسمت أنك فى التراب طهارة ملك يهابُ سؤاله الملكان

حسن بك أنور (*)

تُسَائِلُنِي (كَرَمَتِي) بِالنَّهَارِ وبالليل : أين سميري (حسن) ؟^(١)
 وأين النَّدِيمُ الشَّهْنِي الحَدِيثُ وأين الطَّرُوبُ اللطيف الأذُن
 نَجَّيْتُ البَلَابِلَ فِي عَشَّهَا ومُلِّهْمَهَا صَبِيَّةً فِي الْقَيْنِ
 فَقُلْتُ لَهَا مَاكَ ، وَاسْتَشْعَرْتَ ليلَى الشُّرُورِ عَلَيْهِ الحزن
 لِيْنِ نَاءٍ مِنْ سَيْنِ جِسْمِهِ فما عَرَفْتَ رُوحَهُ مَا السَّمَنِ
 وَمَا هُوَ مَيِّتٌ وَلَكِنَّهُ بِشَاشُهُ دَهْرٍ مَحَاها الزَّمن
 وَمَعْنَى خَلَا الْقَوْلُ مِنْ لَفْظِهِ وحُلْمُ تَطَايُرِ عَنْهُ الوَسَنِ^(٢)

وَلَا يَذْكُرُ المَعْهَدُ الشَّرْقِيَّ (لأنور) إِلَّا جَلِيلَ المِنَنِ
 وَمَا كَانَ مِنْ صَبْرِهِ فِي الصَّعَابِ وَمَا كَانَ مِنْ عَوْنِهِ فِي المَحَنِ
 وَخِدْمَةٍ فِي بُدَاوِي القُلُوبِ وَيَشْفِي النَفُوسَ وَيُذَكِّي الفِطْنَ
 وَمَا كَانَ فِيهِ الدَّعَى الدَّخِيلَ وَلَكِنْ مِنَ الفَنِّ كَانَ الرُّكْنَ^(٣)

وَلَوْ أَنْصَفَ الصَّحْبُ يَوْمَ الْوَدَاعِ دُفِنْتُ (كَيْسَحَاق) لَمَّا دُفِنَ
 فَغُيِبَتْ فِي المِسْكِ لَا فِي التُّرَابِ وَأُدرِجَتْ فِي الْوَرْدِ لَا فِي الْكَفَنِ

(*) المرحوم حسن بك أنور أحد الأعضاء المؤسسين لنادى الموسيقى الشرقي . وكان من الأصدقاء المقربين لأمير الشعراء ، وقد توفي سنة ١٩٣٠ .

(١) كان يطلق على دار أمير الشعراء كرمة ابن هاني .

(٢) الوسن : النعاس .

(٣) الركن : الركن ، وقد حركت السكاف من أجل الشعر . والركن من كل شيء :

جانبه الأشد والأقوى .

وُخِطَ لك القبرُ في رَوْضَةٍ يَمِيلُ على الغُصْنِ فيها الغُصْنُ
 ويفتَحِبُ الطَّيْرُ في ظِلِّهَا ويَخْلَعُ فيها النِّسِيمُ الرِّسْنُ (١)
 وقامت على العود أوتارُهُ تُعيد الحنين وتُبْدِي الشَّجْنَ
 وطارحك (النَّايُ) شَجْو النواح وكنت تَيْن إذا النَّايُ أَنْ
 ومالَ فَناحَ عليك (الكَانُ) وأظهرَ من بَشَّه ما كمن

سَلامٌ عليك سَلام الرُّبَا إذا نَفَعَت والغوايِ الهَتَن
 سَلام على جيرة بالإمام ورَهْط بَصْرانَه مُرْتَهَن
 سَلام على حُفَرٍ كالقِباب وأخرى ، كمندرسات الدِّمَن (٢)
 وجمع تَأَلَّف بعدَ الخِلاف وصافى وَصُوفَى بعد الصُّغْن
 سَلامٌ على كُلِّ طَوْدٍ هناك له حَجَرٌ في بِناء الوطن

(١) الرسن : الحبل . ويقال : رسن الفرس : شده بالرسن .
 (٢) الدمن : جمع دمنة ، وهي آثار الناس .

أم الحسين (*)

- أَخَذَتْ نَعَشِكَ مِصْرَ بِالْمِينِ وَحَوَّتهِ مِنْ يَدِ الرُّوحِ الْإَمِينِ (١)
لَقِيتُ طَهْرَ بَقَايَاكَ كَمَا لَقِيتُ (يُثْرَبُ) أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ
فِي سَوَادِهَا وَفِي أَحْشَائِهَا وَوَرَاءَ النَّحْرِ مِنْ حَبْلِ الْوَتِينِ (٢)

- خَرَجْتَ مِنْ قَصْرِكَ الْبَاكِ إِلَى رَمْلَةِ الثَّغْرِ إِلَى الْقَصْرِ الْحَزِينِ
أَخَذَتْ بَيْنَ الْيَتَامَى مَذْهَبًا وَمَشَتْ فِي عَبْرَاتِ الْبَائِسِينَ
وَرَمَتْ طَرْفًا إِلَى الْبَحْرِ تَرَى مِنْ وَرَاءِ الدَّمْعِ أَسْرَابَ السَّفِينِ
فَبَدَتْ جَارِيَةً فِي حُضْنِهَا فَتَنُ الْوَرْدِ وَقَرَعُ الْيَاسَمِينِ (٣)
وَعَلَى جُوجُئِهَا نُورُ الْهَدْيِ وَعَلَى سُكَّانِهَا نُورُ الْيَقِينِ (٤)
تَحَمَلَتْ مِنْ شَاطِئِي (مَرْمَرَةٍ) جَوْهَرَ السُّودِّ وَالْكَنْزَ الثَّمِينِ (٥)
وَطَوَتْ بِحَرًّا بِبَحْرٍ وَجَرَتْ فِي الْأَجَاكِ الْمِلْحِ بِالْعَذْبِ الْمَعِينِ
وَاسْتَقَلَّتْ دُرَّةً كَانَتْ سَيِّ وَسَنَاءً فِي جِبَاهِ الْمَالِكِينَ (٦)

(*) أم الحسين ، هي والدته سمو الحديوي عباس باشا الثاني . وقد توفيت بالآستانة سنة ١٩٣١ .

(١) أخذت نعشك مصر بالمين ، تعبير مقصود به القول أن مصر كلها أظهرت اهتماما وعناية كبيرين في استقبال نعش الفقيده . أما الشطر الثاني من البيت فهو كناية عن أن النعش كان يحوى ذخيرة من الذخائر المقدسة ، ومن أجل ذلك قام جبريل أمين الملائكة بحراسته حتى يسلم هذه الذخيرة لقومها يدا بيد .

(٢) النحر : موضع القلادة من الصدر . والوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه

(٣) جارية : سفينة . وفي القرآن الكريم : « وله الجوارى للنشأت في البحر كالأعلام »

(٤) جوجؤ السفينة : مقدمها . وسكانها : مؤخرها .

(٥) مرمرة : بحر في بلاد الترك . يقول : لأن هذه السفينة لم تحمل من شاطئ تلك

البلاد نعش ميتة وإنما حملت خلاصة السؤدد وجوهر الكنز الثمين .

(٦) السني ، بالقصر : الضوء ؛ وبالمد : الرفعة .

ذَهَبَتْ عَنْ عِلْمِيهِ صَيْدٍ وَعَنْ
الْتَقِيَاتِ بُنَاتُ الْمُتَقِي
خُرِّدَ مِنْ خَفِرَاتِ الْبَيْتِ عَيْنِ
وَالْأَمِينَاتِ بُنْيَاتُ الْأَمِينِ
كَبَسَتْ فِي مَطْلَعِ الْعَزِّ الضُّحَى
وَلَضَّتْهُ كَالشَّمْسِ الْآفَلِينَ (١)
يَذُهَا بِأَنْبِيئِهِ غَارِسُهُ
كَيْدِ الشَّمْسِ وَإِنْ غَابَ الْجَبِينِ

رَبَّةَ الْعَرْشَيْنِ فِي دَوْلَتِهَا
أَضْجَعَتْ قَبْلَكَ فِيهِ (مَرْيَمُ)
قَدَرَ كَبَتِ الْيَوْمَ عَرْشَ الْعَالَمِينَ
وَتَوَارَى بِنِسَاءِ الْمُرْسَلِينَ
إِنَّهُ رَحْلُ الْأَوَالِي شَدَّه
لَهُمْ أَدَمُ رَسُلِ الْآخِرِينَ

إِخْلَعِي الْأَلْقَابَ إِلَّا لَقَبًا
وَدَعِي الْمَالَ يَسِرْ سُلَّتَهُ
عَبْقَرِيَا هُوَ (أُمُّ الْمُحْسِنِينَ)
يَمُضُّ عَنْ قَوْمٍ لَا يَدَى آخِرِينَ
وَإِطْرَحِي مِنَ حَالِقِ عِبَاءِ السَّنِينَ (٢)
لَيْسَ بِالْمُخْطِئِ يَوْمُ الشَّامِتِينَ
وَتَعَزَّى عَنْ عَوَادِي دَوْلَةٍ
وَإِزْهَدِي فِي مَوَكِبِ لَوْشِدْتِهِ
لَتَغَطَّى وَجْهَهَا بِالْأَدَارِعِينَ (٣)
مَا الَّذِي رَدَّ عَلَى أَصْحَابِهِ
لَيْسَ يُنْجِي مَوَكِبُ الدَّفَنِ الدَّفِينِ
رُبَّ مَحْمُولٍ عَلَى الْمُدْفَعِ مَا
مَنْعَ الْحَوْضَ وَلَا حَاطَ الْعَرِينِ (٤)
بَاطِلٌ مِنْ أُمَمٍ تَحْدُو عِيَةً
يَتَحَدَّثُونَ بِهِ الْحَقَّ الْمُبِينِ

(١) نضته : خلعتة . والآفلين : جمع آفل . والأفوال للشمس : المغيب .

(٢) حالق الجبل : أعلاه ، كأنه يقول : إن الموت ارتفاع عظيم .

(٣) الدارعين : جمع دارع ، أى لا بس الدرع .

(٤) العرين للأسد ، كالبيت للإنسان . يقول : كثير من تحمل نعوشهم فوق المدافع لم يدافعوا عن الحق ولم يمنعوا العدوان عن الحى ، فما دام هذا المظهر قد يناله في الدنيا غير مستحقه فهو إذن ليس بذى خطر وليس بالذى يعتز به حقيقة .



فِي (فَرُوقٍ) وَرُبَاهَا مَا تَمَّ ذَرَفَتْ أَمَاقَهَا فِيهِ الْعُيُونُ
 قَامَ فِيهَا مِنْ عَقِيلَاتِ الْحِمَى مَسَلًا بُدِّلَ مِنْ عِزِّ بَهُونِ
 أَسْرَتْ مَا لَتْ بِهَا الدُّنْيَا فَلَمْ تَلَقْ إِلَّا عِنْدَكَ الرُّكْنَ الرُّكْنِ
 قَدْ خَلَا (بَيْبِكَ) مِنْ حَاتِمِهِ وَمِنْ الْكَاسِيْنَ فِيهِ الطَّاعِمِينَ (١)
 طَارَتْ النِّعْمَةُ عَنْ أَيْكَتِهِ وَأَنْقَضَى مَا كَانَ مِنْ خَفْضِ وَلَيْنِ
 الْيَتَامَى نُوحٍ نَاحِيَةً وَالْمَسَاكِينَ يُمِدُّونَ الرِّينِ
 دَوْلَةٌ مَالَتْ وَسُلْطَانٌ خَلَا دُورَكَتْ نُعْمَاهُ بَيْنَ الْإِفْرِينِ
 مُنْهَضُ الشَّرْقِ (عَلِيٌّ) لَمْ يَزَلْ مِنْ بَنِيهِ سَيِّدٌ فِي (عَابِدِينَ)
 يُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ مَا أَفْسَدَتْ قَتَرَاتُ الدَّهْرِ مِنْ دُنْيَا وَدِينِ
 أَمَّ عَبَاسٍ وَمَالَى لَمْ أَقْلُ أَمَّ مَصْرٍ مِنْ بَنَاتٍ وَبَنِينَ
 كُنْتُ كَالْوَرْدِ لَهُمْ وَاسْتَقْبَلُوا دَوْلَةَ الرِّيحَانِ حِينًا بَعْدَ حِينِ
 فَيُقَالُ الْإِثْمُ فِي مَوَاصِيهَا وَيُقَالُ الْحَرَمُ الْعَالِي الْمَصُونِ (٢)



(الْعَفِيفِيُّ) عَفَافٌ وَهُدًى (كَالْبَقِيعِ) الطُّهْرَضَمُ الطَّاهِرِينَ (٣)
 أَدْخَلِي الْجَنَّةَ مِنْ رَوْضَتِهِ إِنَّ فِيهَا غُرْفَةً لِلصَّابِرِينَ

(١) بيبك : قصر الفقيدة في الآستانة ، كان مصيفها كل عام . وحاتم : اسم رجل .
 يضرب به المثل في السكرم البالغ ، يقال : كرم حاتمى . وقد شهرت الفقيدة بالسكرم ،
 ومن أجل ذلك قيل لها أم المحسنين .

(٢) يشير هذا البيت إلى أن الفقيدة العظيمة كانت أم خديوى وزوجة خديوى .

(٣) العفيفي : علم على الموضع الذى أقيم فيه مدفن الفقيدة بجوار مدفن قرينها .

الدكتور أحمد فؤاد(*)

أوحى لظرفك فاستهلَّ شؤونا دار مررت بها على (قيسونا) (١)
 غاضت بشاشتها وقضت شملها دنيا تغر السادر المفتونا
 نزلت عوادى الدهر في ساحاتها وأقل رفرفها الخطوب العونا (٢)
 فسكاد من أسف على آسى الحى من كل ناحية ثور شجوننا
 تلك (العيادة) لم تكن عبثا ولا شركا لصيد مارب وكينا
 دار (ابن سينا) نزهت حجارها عن أن تضم ضلالة ومجوننا (٣)
 خبت المطالع من أعر مؤمل كالفجر تغرا والصباح جينا (٤)
 ومن الوفود كأنهم من حوله مرضى (بعيسى الروح) يستشفونا
 مثل تصور من حياة حرة للشئ ينطق فى السكوت مبينا
 لم تخلص من عهد الصبا حركاته وتخالهن من الخشوع سكونا

(*) كان الدكتور أحمد فؤاد مثالا نادرا من أمثلة حسن الخلق ، ونايفة من نوابغ الطب المحدثين ، وقد توفى سنة ١٩٣١ .

(١) قيسون : علم على مسجد بهذا الاسم فى شارع محمد على بالقاهرة ، كانت دار الفقيد قريبة منه ، والشؤون : الدموع . يقول : إن المرور على هذه الدار يجعل العين تفيض دموعا حزنا لما أصاب تلك الدار من التحول بعد النباهة ، والسكوت بعد الحركة ، والوجوب بعد الطلاقة والسرور ، وهذا لفقد صاحبها طبعها .

(٢) أقل : حمل . والرفرف : شئ مثل الطاق يجعل عليه طرائف البيت . والعون : جمع عون . والخطوب العون : أى التى نزلت مرة قبل هذه . يريد أن هذه الدار قد عرفت عوائق الدهر وخطوبه قبل هذا الخطب الأخير الذى حل بها .

(٣) يشبه الفقيد فى الطب والأمانة للعلم بابن سينا .

(٤) خبت المطالع : انطفأ نورها .

* *

جَمَحَتْ جِرَاحُ الْمُعْزِينَ وَأَعْضَلَتْ أَدَوَاؤُهُمْ وَتَغَيَّبَ الشَّافُونَ^(١)
مَاتَ الْجَوَادُ بِطَبِّهِ وَبَاجِرِهِ وَلرَّبِّمَا بَذَلَ الدَّوَاءَ مُعِينَا
وَتَجَسَّ رَاحَتُهُ الْعَلِيلَ وَتَارَةً تَكْسُو الْفَقِيرَ وَتُطْعِمُ الْمِسْكِينَا
أَدَى أَمَانَةٍ عَلَيْهِ وَلَطَالَمَا حَمَلَ الصَّدَاقَةَ وَافِيَا وَأَمِينَا
وَقَضَى حَقُّهُ الْإِهْلَ يُحْسِنُ تَارَةً بِأَبِيهِ أَوْ يَصِلُ الْقَرَابَةَ حِينَا
خُلِقَ وَدِينٌ فِي زَمَانٍ لَا تَرَى خُلُقًا عَلَيْهِ وَلَا تُصَادَفُ دِينَا

* *

أُمْدَاوَى الْأَرْوَاحِ قَبْلَ جُسُومِهَا قُمْ دَاوِ فِيكَ فُؤَادَى الْمُخْزُونَا
رُوحٌ بَلْفَظِكَ كُلَّ رُوحٍ مُعَذَّبٍ حَيْرَانَ طَارَ بَلْبُهُ النَّاعُونَا
قَدْ كَالُ الْقَدَرِ الْعِتَابَ وَرَبِّمَا ظَنَّ الْمُدْلَةَ بِالْقَضَاءِ ظَنُونَا^(٢)
دَاوَيْتَ كُلَّ مُحْطَمٍ فَشَفَيْتُهُ وَتَسَيَّتَ دَاءً فِي الضَّلُوعِ دَفِينَا
كَبِدٌ عَلَى دَمِهَا اتَّكَاتٌ وَلَحْمِهَا فَحَمَلَتْ هَمَّ الْمُسْلِمِينَ سِينِنَا
ظَلَّتْ وَرَاءَ الْحَرْبِ تَشْقَى بِالنَّوَى وَتَذُوبُ لِلْوَطَنِ الْكَرِيمِ حَنِينَا

* *

نَاصَرَتْ فِي فُجْرِ الْقَضِيَّةِ (مُصْطَفَى) فَتَنَصَّرَتْ خُلُقًا فِي الشَّبَابِ مَتِينَا^(٣)
أَقْدَمَتْ فِي الْعَشْرِينَ تَحْتَ لَوَانِهِ وَرَوَائِعُ الْإِقْدَامِ فِي الْعَشْرِينَا
لَمْ تَبْغِ دُنْيَا طَالَمَا أَغْضَى لَهَا خُمْسَ الدَّعَاةِ وَطَاطَأُوا الْعَرْنِينَا^(٤)

(١) أدواء : جمع داء .

(٢) المدلة : الذي ذهب فؤاده من هم وعشق ونحوه .

(٣) يشير إلى أنه كان من الأنصار الكبار للزعيم مصطفى كامل باشا .

(٤) خمس : جمع خمس ، بكسر الميم ، أو أحسن : وهو الصلب في القتال والمقيدة ؛
والخمس : لقب لغريش ، ومن تابعهم في الجاهلية لتحمسهم والتجاهم للحمساء ، أي الكعبة ،
والعرنين : الأنف .



رُحْمَاكَ (يوسف) قِفْ رَكَا بَكَ سَاعَةً وَأَعْطِفْ عَلَى يَعْقُوبَ فِيهِ حَزِينَا (١)
 لَمْ يَذَرِ خَلْفَ النَّعْشِ مِنْ حَرِّ الْجَوَى أَيْشُقْ جَبِينًا أَمْ يُشَقْ وَتِينَا (٢)
 سَارُوا بِمُهْجَتِهِ فَحَمَلَتْ نُكْلَهَا وَقَضُوا بِعَائِلِهِ فَمَالُ غِينَا (٣)
 أَتَعُودُ فِي رَكْبِ الرِّبْعِ إِذَا أَنْشَى بِهِجًا يَزِفُ الْوَرْدَ وَاللَّسْرِينَا
 هِيَاةَ مَنْ سَقَرِ الْمُنْيَةِ أَوْبَةً حَتَّى يَهْبِ السُّبْحُ بِالسَّارِينَا
 وَيُقَالُ لِلْأَرْضِ الْفَضَاءِ تَمَخَّضِي فَتَرَدُّ شَيْخًا أَوْ تَمُجَّ جَنِينَا



اللَّهُ أَبْقَى، أَيْنَ مِنْ جَسَدِي يَدُّ لَمْ أَنْسَ رِفْقَ بَنَانِهَا وَاللَّيْنَا (٤)
 حَتَّى تَمَثَّلَتْ الْعِنَايَةُ صُورَةً تُؤْمِي بِرَاحٍ أَوْ تُجِيلُ عَيُونَا
 فَجَرَّتْ جُفَايَ وَهَانَتْ كَرْبُهُ لَوْلَا اعْتِنَاؤُكَ لَمْ تَكُنْ لَتَهُونَا
 إِنَّ الشِّفَاءَ مِنَ الْحَيَاةِ وَعَوْنَهَا مَا كَانَ آسٍ بِالشِّفَاءِ ضَمِينَا
 وَالْيَوْمَ أَرْتَجِلُ الرِّثَاءَ وَأُنْزَوِي فِي مَأْتَمٍ أَبْكِي مَعَ الْبَاكِينَا
 سَبْحَانَ مَنْ يَرِثُ الطَّيِّبَ وَطِبَّهِ وَيُرِي الْمَرِيضَ مَصَارِعَ الْآسِينَا (٥)

-
- (١) يشبه الفقيد بسيدنا يوسف الصديق ليهد لتشبيه أبيه بسيدنا يعقوب في صبره على فراق ابنه ومحنته .
- (٢) الوتين : عرق في القلب إذا قطع مات صاحبه .
- (٣) المهجة : تطلق على الدم وعلى الروح ؛ يقال : خرجت مهجته ، أى روحه .
- (٤) يشير : إلى أن الفقيد كان أحد أطباءه الذين تمثلت عناية الله به في عنايتهم بعلاجهم واعتنائهم بشفاؤه .
- (٥) الآسينا : جمع آسي ، وهو الطبيب .

نجل إمام اليمن (*)

مَضَى الدهرُ بِأَبْنِ إِمَامِ الْيَمَنِ وَأَوْدَى بَزِينَ شَبَابِ الزَّمَنِ
وَبَاتَتْ بِصَنْعَاءَ تَبْكِي السِّیُوفُ عَلَيْهِ ، وَتَبْكِي الْقَنَا فِي عَدَنِ (١)
وَأَعُولَ نَجْدٍ ، وَضَجَّ الْحِجَازُ وَمَالَ الْحُسَيْنُ فَعَزَّ الْحَسَنُ
وَعَصَّتْ مَنَاحِيَهُ فِي الْحِيَامِ وَغَصَّتْ مَاتَمُهُ فِي الْمُدُنِ
وَلَوْ أَنَّ مَيِّتًا مَشَى لِلْعِزَاءِ مَشَى فِي مَاتَمِهِ ذُو يَزَنَ (٢)
فَتَى كَاسِمِهِ كَانَ سِیْفَ الْإِلَهِ وَسِیْفَ الرَّسُولِ وَسِیْفَ الْوَطَنِ
وُلُقِبَ بِالْبَدْرِ مِنْ حُسْنِهِ وَمَا الْبَدْرُ ، مَا قَدْرُهُ ، وَأَبْنُ مَنْ ؟

عِزَاءً جَمِیلاً إِمَامَ الْحَمَى وَهَوَّوْنَ جَلِيلَ الرِّزَايَا يَهْنُ
وَأَنْتَ الْمُعَانُ بِإِيْمَانِهِ وَظَنُّكَ فِي اللَّهِ ظَنُّ حَسَنٍ
وَلَكِنْ مَتَى رَقَّ قَلْبُ الْقَضَاءِ وَمِنْ أَيْنَ لِلْبُوتِ عَقْلُ يَزَنٍ
يَجَامِلُكَ الْعَرَبُ النَّازِحُونَ وَمَا الْقَرِيبَةُ إِلَّا وَطَنُ
وَيَجْمَعُ قَوْمَكَ بِالْمُسْلِمِينَ عَظِيمُ الْفُرُوضِ وَسَمِحُ السَّنَنِ
وَأَنْ نَبِيَّهُمْ وَاحِدٌ نَبِيُّ الصَّوَابِ ، نَبِيُّ اللِّسَنِ
وَمِصْرُ الَّتِي تَجْمَعُ الْمُسْلِمِينَ كَمَا اجْتَمَعُوا فِي ظِلَالِ الرُّكْنِ (٣)

(*) هو الأمير سيف نجل الإمام يحيى ، وقد توفي غرقاً وهو يحاول إنقاذ رفيق له من الفرق سنة ١٩٣٢ .

(١) صنعاء : حاضرة اليمن . وعدن : إحدى الموانئ هناك ، وفيها خليج عدن المشهور .
(٢) ذو يزن : أحد أقبال اليمن الأقدمين . ولشجاعة هذا الملك في اجترياد عرش أبيه وأجداده أضيفت إليه أساطير كثيرة .
(٣) پرید بالركن : السكبة .

تَعَزَّى الْيَمَانِينَ فِي سَيْفِهِمْ وَتَأْخُذُ حِصَّتَهَا فِي الْحَزَنِ
وَتَقْعُدُ فِي مَأْتَمِ ابْنِ الْإِمَامِ وَتَبْكِيهِ بِالْعَبْرَاتِ الْهَتَنِ
وَتَنْثُرُ رِيحَانَتِي زَنْبِقٍ مِنْ الشَّعْرِ فِي رَبَوَاتِ الْيَمَنِ
تَرْفَأُ فَوْقَ رُفَاتِ الْفَقِيدِ رَفِيفَ الْجَنَى فِي أَعَالَى الْغُصَنِ
قَضَى وَاجِبًا فَقَضَى دُونَهُ فَتَى خَالِصَ السَّرِّ صَافِي الْعَلَنِ
تَطْوَحُ فِي لُجَجِ كَاجِلِبَالِ عِرَاضُ الْأَوَاسِي طَوَالَ الْقَيْنِ (١)
مَشَى مِشْيَةَ اللَّيْلِ لَا فِي السَّلَاحِ وَلَا فِي الدَّرُوعِ وَلَا فِي الْجُنَنِ (٢)

مَتَى صِرْتَ يَا بَحْرُ غَمَدِ السَّيُوفِ وَكُنَّا عَهْدُكَ غَمَدَ السُّفُنِ ؟
وَكُنْتَ صَوَانِ الْجَبَانِ الْكَرِيمِ فَكَيْفَ أَزِيلَ وَلَوْ لَمْ يُصْنِ
ظَفِيرَتَ بِجَوْهَرَةٍ فَذَّةٍ مِنْ الشَّرَفِ الْعَبْقَرَى الْيَمَنِ
فَتَى بَذَلَ الرُّوحَ دُونَ الرَّفَاقِ إِلَيْكَ وَأَعْطَى التَّرَابَ الْبَدَنِ
وَهَانَتْ عَلَيْهِ مَلَاهِي الشَّبَابِ وَلَوْلَا حَقُوقُ الْعُصْلَا لَمْ تَهْنُ
وَخَاضَكَ يُنْقِذُ أَتْرَابَهُ وَكَانَ الْقَضَاءُ لَهُ قَدْ كَمَنْ
غَدَرْتَ فَتَى لَيْسَ فِي الْغَادِرِينَ وَخُنْتَ امْرَأً وَافِيًّا لَمْ يَخُنْ
وَمَا فِي الشُّجَاعَةِ حَتْفُ الشُّجَاعِ وَلَا مَدَّ عَمَرَ الْجَبَانِ الْجَبَنِ
وَلَكِنْ إِذَا حَانَ حَيْنُ الْفَتَى قَضَى وَيَعِيشُ إِذَا لَمْ يَحْنِ (٣)

(١) القَيْنُ : جمع قنة ، وهي رأس الجبل . والأَوَاسِي من البناء : الدعاء .

(٢) الجُنُنُ : جمع جنة ، بالضم ، وهي ما استترت به من سلاح ودروع ونحو ذلك .

(٣) الحَيْنُ : الأجل .

* *

ألا أيهذا الشريف الرضئ أبو السمراء الرّماح اللدن
 شهيد المروءة كان البقيعُ أحقَّ به من تراب اليمن
 فهل غسلوه بدمع العفاة وفي كلِّ قلبٍ حزينٍ سكن
 لقد أغرق ابنك صرفُ الزمانِ وأغرقت أبناءه بالمين
 أتذكر إذ هو يطوى الشهورُ وإذ هو كالخشفِ (حلو) أغن^(١)
 وإذ هو حولك حسنُ القصورِ وطيبُ الرياض وصفو الزمن
 بشاشته لذة في العيونِ ونعمته لذة في الاذن
 يلاعب طرته في يدَيك كما للاعب المهرُ فضل الرسن
 وإذ هو كالشبل يحكي الاسود أدلَّ بمخلبه وافتتن^(٢)
 فشبَّ فقام وراء العرين يشبُّ الحروب ويطفى الفتن^(٣)
 فما باله صار في الهامدين وأمسى عفاءً كأن لم يكن
 نظمتُ الدموعَ رثاءً له وفصلتها بالاسى والشجن

(١) الخشف (مثلة الحاء) : ولد الظبي . والأغن : الذي يخرج صوته من خياشيمه .
 وهذا كناية عن ميعه الشباب .
 (٢) الشبل : ولد الأسد إذا أدرك الصيد . وأدل بمخلبه ، أى تباهى به وتحايل
 على أقرانه .
 (٣) العرين : بيت الأسد . ويشب الحروب : يوقدها .

عبد الله بك الطوير (*)

يا قلبُ وئحك والمودَّةُ ذمَّةُ ماذا صنعتَ بعهدِ (عبد الله)
جاذبتني جنبي عشيَّةَ نعيِّهِ وخفقت خفقةً موجَّعٍ أوَّاه^(١)
ولو أنَّ قلبًا ذابَ لِأثرِ حبيبِهِ لهوى بك الركنَ الضعيفَ الواهي
فعليك من حُسنِ المروءةِ أمرٌ وعليكَ من حُسنِ التَّجلُّدِ ناه
نزلَ الطَّويرُ ، في الترابِ منازلًا تهوى المكارمُ نحوها بشغاه
عرَّصَتْها مَمْطُورَةٌ بمِدامِعِ مَمْطُورَةٌ بمَفَارِقِ وجِياه
لولا يمينُ الموتِ فوقَ يمينِهِ فيها لفاضت من جَنَى ومياه^(٢)

* *

يا كابرًا من كابرين وطاهرًا من آلِ طهٍ عارفٍ بالله
ومُحْكَمًا عِلْمَ القضاءِ مكانَهُ في المُقسطينَ الجِلَّةِ الانزاه^(٣)
وحكيماً استعصتْ أَعْنَتُهُ على كَذِبِ النِّعيمِ وتُرَّهاتِ الجاه
وأخا سقى الإخوانَ من (راووقه) يودادٍ لا صِلَفٍ ولا تِيَّاه^(٤)

(*) المرحوم عبد الله بك الطوير ، كان أحد رجال القانون في مصر . وقد توفي

سنة ١٩١٥ .

(١) خفق القلب : اضطرب في موضعه . والأوَّاه : كثير التأوه ، وفي القرآن الكريم

« إن إبراهيم لأوَّاه حليم » .

(٢) اليمين ، يراد بها هنا القوة . والجنى الثمار .

(٣) المقسطين ، أى العادلون . والجلَّة (بكسر الجيم) : قوم سادة عظماء ذوو أخطار

والانزاه : جمع نزه ، وهو الغفيف المتسكر .

(٤) الراووق : المصفاة ، كالباطية ونحوها من الآنية التى يوضع فيها المشروب .

والصاف : مجاوزة قدر الظرف والإدعاء فوق ذلك تكبرا .

قد كان شعري شغل نفسك فافترح من كل (جائله) على الافواه
 أنزلت منه حين فانك جمعه في منزل بهج بنورك زاه
 فقرأ على « حسان » منه لعله بفتاه في مدح الرسول مباه (١)
 وأنزل بنور الخلد جدك واتصل بملائك من آله أشباه (٢)
 ناعيمك ناعي حاتم أو جعفر فالناس بين نوازل ودواه (٣)

-
- (١) حسان : هو ابن ثابت ، شاعر الرسول صلوات الله عليه .
 (٢) جدك : منصوب على نزع الخافض ، أى أنزل على جدك . وكان الفقيه منسوباً
 لآل البيت النبوي .
 (٢) حاتم : هو الطائي المشهور بالكرم . وجعفر ، لعله يقصد به جعفر البرمكي
 أو عبد الله بن جعفر أحد أجواد العرب في العصر الأموي . والمقصود تشبيه الفقيه في
 كرمه بهذين الرجلين ، اللذين ضرب المثل بكرمهما .

سعد باشا زغلول (*)

شيعوا الشمسَ ومالوا بضحاها وانحنى الشرقُ عليها فبكها
ليتنى فى الركبِ لما أفلتُ (يوشع) هَمَّتْ فنادى فثناها (١)
جللَ الصبحَ مَوادًا يومها فكانَ الارضَ لم تَخْلَعْ دُجَها (٢)
انظروا تَلَقُّوا عليها شَفَقًا من جِراحاتِ الضحايا ودِماها
وتَرَوْا بَيْنَ يديها عَبرَةً من شهيدٍ يَقْطُرُ الوردَ شَذَاها
أذنَ الحَقُّ صَحاياها بها ويحه !! حتى إلى الموتى نَعاها

* *

كَفَنُوهَا حُرَّةَ علوية كَسَتِ الموتَ جلالًا وكساها
مِصرُ فى أَكفانِها إلا الهدى لَحْمَةُ الأَكفانِ حَقٌّ وُسْداها (٣)
خَطَرَ النَعشُ على الارضِ بها يَحْصِرُ الأَبْصارَ فى النَعشِ سَناها (٤)
جاءها الحَقُّ ومن عاداتها تَوَثَّرُ الحَقُّ سَبِيلًا واتجاها (٥)
مَادَرَتْ مِصرُ بدفنِ صُبْحَتِ أم على البعثِ أَفاقَتْ من كَراها
صَرَختْ تحسبُها بنتُ الشَّرى طَلَبْتُ من مِخْلَبِ الموتِ أبَها (٦)
وكانَ الناسَ لما نَسَلوا شُعْبُ السَّيْلِ طَغَتْ فى مُلتقاها

(*) زعيم مصر الخالد سعد باشا زغلول المتوفى سنة ١٩٢٧ .

(١) يوشع : أحد أنبياء بنى إسرائيل ، دعا الله أن يؤجل له الغروب فأجابه ونفى الشمس عن غروبها .

(٢) جلل الصبح : كساه وغطى ضوءه .

(٣) اللحمة : ما سدئ به الثوب . والسدى ضد اللحمة .

(٤) يحصر الأبصار ، أى يردها كليلية ضعيفة .

(٥) الحق الأول ، يقصد به الموت . والحق الثانى ، يقصد به العدل .

(٦) بنت الفرى : أنثى الأسد .

وَصَعَوْا الزَّاحَ عَلَى النِّعْشِ كَمَا يَلْبَسُونَ الرِّكْنَ فَارْتَدَّتْ نِزَاهَا
خَفَضُوا فِي يَوْمٍ (سَعِدٍ) هَامَهُمْ وَ (بِسَعِدٍ) رَفَعُوا أَمْسَ الْجِبَاهَا

* *

سَاطِلُوا زَحَلَةً عَنْ أَعْرَاسِهَا هَلْ مَشَى النَّاعَى عَلَيْهَا فَعَهَا (١)
عَطَلُ الْمُصْطَافِ مِنْ سُمَارِهِ وَجَلَا عَنْ ضِفَّةِ الْوَادَى دُمَاهَا (٢)
فَتَحَّ الْأَبْوَابَ لَيْلًا (دِيرُهَا) وَ إِلَى (النَّافُوسِ) قَامَتْ بَيْعَتَاهَا
صَدَعَ الْبَرْقُ الدَّجَى تَفْشُرُهُ أَرْضُ (سُورِيَا) وَتَطْوِيهِ سَمَاهَا (٣)
يَحْمِلُ الْإِنْبَاءَ تَسْرِي مَوْهِنًا كَعَوَادَى الثَّكَلِ فِي حَرِّ سُرَاهَا (٤)
عَرَضَ الشُّكُّ لَهَا فَاضْطَرَبَتْ تَطَأُ الْأَذَانَ هَمَسًا وَالشَّفَاهَا
قَلْتُ يَا قَوْمِ اجْمَعُوا أَحْلَا مَكَمَ كُلُّ نَفْسٍ فِي وَرِيدِهَا رَدَاهَا (٥)

* *

يَا عِدُوَّ الْقَيْدِ لَمْ يَلْحَظْ لَهُ شَبَحًا فِي خَطَّةٍ إِلَّا أَبَاهَا
لَا يَضِقُ ذَرْعَكَ بِالْفَيْدِ الَّذِي حَزَّ فِي سُوقِ الْإِوَالِي وَبَرَاهَا
وَقَعَ الرُّسُلُ عَلَيْهِ وَالتَّتَوَتْ أَرْجُلُ الْإِحْرَارِ فِيهِ فَعَهَا
يَارُقَاتَا مِثْلَ رَيْحَانِ الضُّحَى كَلَلْتُ (عَدْنُ) بِهَا هَامَ رُبَاهَا (٦)

(١) يشير البيت إلى أن أمير الشعراء وقت نعي الفقيده كان يصطاف في زحلة إحدى مصايف لبنان .

(٢) السمار : جمع سامر ، وهم إخوان الحديث في المساء . والضفة من النهر ومن الوادى : الجانب . الدى : جمع دمية ، وهى الصورة يعملها المثال من الرخام .

(٣) صدع : شق وقطع .

(٤) الموهن : نصف الليل أو بعده بنحو ساعة .

(٥) الوريدان : مثنى الوريد ، أحد شرايين الجسم .

(٦) عدن : الجنة . وهام رباه ، أى رؤوس ربواتها . والربوات : الأمكنة المرتفعة فيها .

- وبقايا هيكل من كريم
وحياة أترع الأرض حياها (١)
ودع العدل بها أعلامه
وبكت أنظمة الشورى صواها (٢)
حصنت نعشك والتفت به
راية كنت من الذل فداها
ضمت الصدر الذى قد ضمها
وتلقى السهم عنها فوقها
تجى منها ومن قائدها
كيف يحى الاعزل الشيخ حماها

* *

- منبر الوادى ذوت أعواده
من أواسيها وجفت من ذراها
من رمى الفارس عن صهوتها
ودها الفصحى بما ألجم فاهها
قدر بالمدن ألوى والقرى
ودها الاجبال منه مادهاها
غال (بسطورا) وأردى عصبه
لمست جرثومة الموت يداها
طافت الكأس بساق أمة
من رحيق الوطنيات سقاها
عطلت آذانها من وتر
ساحر رن مليا فشجاها
أرغن هام به وجدانها
وأذان عشقته أذنانها
كل يوم خطبة روحية
كالزماير وأنغام لغاها
دللت مصرا ولو أن بها
فلوات دلت وحش فلاها
ذائد الحق وحامى حوضه
أنفذت فيه المقادير منهاها
أخذت (سعدا) من البيت يذ
تأخذ الأساد من أصل شراها
لو أصابت غير ذى روح لما
سليت منها الثريا وسهاها
تتحدى الطب فى قفازاها
علة الدهر التى أعيا دواها

(١) أترع : ملأ . والحيا : المطر .

(٢) الصوى : جمع صوة ؛ بضم الصاد ، وهى حجر يوضع فى الطريق كعلامة

يهتدى بها .

مِنْ وَرَاءِ الْأَذْنِ نَالَتْ ضَيْعَةً لَمْ يَنْتَلِ أَقْرَانَهُ إِلَّا وَجَاهَا
لَمْ تُصَارِحْ أَصْرَحَ النَّاسِ بَدًّا وَلِسَانًا وَرُقَادًا وَانْتَبَاهَا

* *

هَذِهِ الْأَعْوَادُ مِنْ آدَمَ لَمْ يَهْدُ خُفَّاهَا وَلَمْ يَعْرِ مَطَاهَا
نَقَلْتُ (خُوفُو) وَمَالَتْ (بَيْنَا) لَمْ يَفُتْ حَيًّا تُصِيبُ مِنْ خَطَاهَا (١)
تَخْلُطُ الْعُمَرَيْنِ شَيْبًا وَصَبًّا وَالْحَيَاتَيْنِ شَقَاهَا وَرَقَاهَا
زَوْرُقُ فِي الدَّمْعِ يُطْفِئُ أَبَدًا عَرَفَ الضِّفَّةَ إِلَّا مَا تَلَاهَا
تَهَاجَ التَّكَلَّى عَلَى آثَارِهِ فَإِذَا خَفَّ بِهَا يَوْمًا شَفَاهَا

* *

تَسْكُبُ الدَّمْعَ عَلَى (سَعْدٍ) دَمًّا أُمَّةٌ مِنْ صَخْرَةِ الْحَقِّ بَنَاهَا
مِنْ لَبَانٍ هُوَ فِي يُنْبِوِعِهَا وَإِبَاءٍ هُوَ فِي صُمِّ صَفَاهَا
لَقَنَّ الْحَقَّ عَلَيْهِ كَهْلُهَا وَاسْتَقَى الْإِيمَانَ بِالْحَقِّ قَتَاهَا
بَذَلَتْ مَالًا وَأَمْنًا وَدَمًّا وَعَلَى قَائِدِهَا أَلْقَتْ رَجَاهَا
حَمَلَتْهُ ذِمَّةٌ أَوْقَى بِهَا وَابْتَلَتْهُ بِحَقْرِ فَقَضَاهَا
ابْنُ سَبْعِينَ تَلَقَّى دَوْنَهَا غُرْبَةَ الْأَسْرِ وَوَعْثَاءَ نَوَاهَا (٢)
سَفَرٌ مِنْ عَدَنَ الْأَرْضِ إِلَى مَنْزِلٍ أَقْرَبُ مِنْهُ قُطْبَاهَا
قَاهِرُ أَلْقَى بِهِ فِي صَخْرَةٍ دَفَعَ النَّسْرَ إِلَيْهَا فَأَوَاهَا
كَرِهَتْ مَنْزِلَهَا فِي تَاجِهِ دُرَّةٌ فِي الْبَحْرِ وَالْبَرِّ نَفَاهَا
أَسْأَلُهَا وَأَسْأَلُهَا شَانِئَهَا لَمْ لَمْ يَنْفِ مِنَ الدَّرِّ سِوَاهَا ؟
وَلَدَ الثَّوْرَةَ سَعْدُ حُرَّةٍ بِحَيَاتِي مَا جِدَّ حُرِّ نَمَاهَا

(١) خوفو ، ومنا : من ملوك مصر القراعنة .

(٢) الوعْثاء : الطريق العسر أو المشقة .

ما تَمَنَّى غَيْرَهَا نَسْلاً وَمَنْ يَلِدُ الزَّهْرَاءُ يَزْهَدُ فِي سِوَاهَا
 سَأَلَتْ الْغَابَةَ مِنْ أَشْبَاهِهَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَمَا جِثَّ بِلَبَاهَا (١)
 بَارَكَ اللَّهُ لَهَا فِي قَرْعِهَا وَقَضَى الْخَيْرَ لِمَصْرِ فِي جَنَاهَا
 أَوْ لَمْ يَكْتُبْ لَهَا دُسْتُورَهَا بِالْدَمِ الْحَرِّ وَيَرْفَعُ مُتَدَاهَا؟ (٢)
 قَدْ كَتَبْنَاها فَكَانَتْ صُورَةً صَدْرُهَا حَقٌّ وَجُوقُ مُتَبَاهَا
 رَقَدَ النَّاسُ إِلَّا ثُورَةً فِي سَبِيلِ الْحَقِّ لَمْ تَحْمَدُ جُذَاهَا
 قَدْ تَوَلَّاهَا صَبِيًّا فَكَوَتْ رَاحَتَيْهِ وَفَتِيًّا فَرَعَاهَا (٣)
 جَالَ فِيهَا قَلْبًا مُسْتَهْضًا وَلِسَانًا كُلَّمَا أَعْيَتْ حَدَاهَا (٤)
 وَرَمَى بِالنَّفْسِ فِي بُرْكَانِهَا فَتَلَقَّى أَوَّلَ النَّاسِ لَظَاهَا
 أَعْلَمْتَ بَعْدَ (مُوسَى) مَنْ يَدِ قَدْ فَتَتْ فِي وَجْهِهِ (فِرْعَوْنَ) عَصَاهَا؟ (٥)
 وَطِئَتْ نَادِبَةً صَارِخَةً شَاءَ وَجْهُ الرِّقِّ يَأْقُومُ وَشَاهَا (٦)
 ظَفَرَتْ بِالْكَبِيرِ مِنْ مُسْتَكْبِرٍ ظَافِرِ الْإِيَّامِ مَنْصُورِ لُؤَاهَا
 الْقَنَا الصُّمُّ نَشَاوَى حَوْلَهُ وَسَيُوفُ الْهِنْدِ لَمْ تَصْحُحْ طُبَاهَا

* *

أَيْنَ مِنْ عَيْنِي نَفْسُ حُرَّةٍ كُنْتُ بِالْأَمْسِ بَعِينِي أَرَاهَا ؟
 كَلِمَا أَقْبَلْتُ هَزَّتْ نَفْسَهَا وَتَوَاصَى بِشْرُهَا بِي وَتَدَاهَا

(١) اللَّيْلَا : جمع لباءة ، كقطة .

(٢) الْمُتَدَى : البرهان .

(٣) يُشِيرُ إِلَى عَمَلِ سَعْدِ بَاشَا فِي الثَّوْرَةِ الْعَرَابِيَّةِ وَهُوَ فِي مَقْتَبِلِ شَبَابِهِ .

(٤) أَعْيَتْ : تَعَبَتْ . حَدَاهَا ، مِنْ قَوْلِهِمْ : حَدَا الْإِبِلَ ، أَيْ سَاقَهَا وَزَجَرَهَا .

(٥) لِإِشَارَةِ إِلَى تَعْدِي مُوسَى لِفِرْعَوْنَ وَسَجَرَتِهِ بِالْعَصَا ، فَكَانَتْ كَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ :

« تَلْقَفْ مَا يَأْفِكُونَ » .

(٦) شَاءَ وَجْهُ الرِّقِّ : أَيْ قَبَحَ .

وَجَرَى الْمَاضِي فَمَاذَا أَذْكَرَتْ وَادَّكَرُ النَّفْسِ شَيْءٌ مِنْ وَفَاها
 الْمَحْ الْأَيَّامَ فِيهَا وَأَرَى مِنْ وَرَاءِ السَّنِّ تَمَثَّالَ صِبَاها
 لَسْتُ أَدْرَى حِينَ تَنْدَى نَضْرَةً عَلَتِ الشَّيْبُ أُمُّ الشَّيْبِ عَلاها
 حَلَّتِ السَّبْعُونَ فِي هَيْكَلِها فَتَدَاعَى وَهِيَ مَوْفُورٌ بِنَاها
 رَوْعَةُ النَّادَى إِذَا جَدَّتْ فَإِنْ مَرَحَتْ لَمْ يُذْهِبِ الْمَرْحُ بِهَاها
 يَظْفَرُ الْعَذْرُ بِأَقْصَى سُخْطِها وَيَنَالُ الْوَدَّ غَايَاتِ رِضاها
 وَلَهَا صَبْرٌ عَلَى حُسَّادِها يُشْبِهُ الصَّفْحَ وَحِلْمٌ عَنْ عِداها
 لَسْتُ أَنْسَى صَفْحَةً ضَاكِكَةً تَأْخُذُ النَّفْسَ وَتَجْرَى فِي هَوَاها
 وَحَدِيثًا كِرَوَايَاتِ الْهَوَى جَدَّ لِلصَّبِّ حَنِينٌ فَرَوَاها
 وَقَفَاةً صَّعْدَةً لَوْ وَهَبْتُ لِلسَّمَاءِ الْأَعْزَلَ اخْتَالَ وَتَاها (١)
 أَتَيْنَ مَنَى قَلَمٌ كُنْتُ إِذَا سَمِعْتُهُ أَنْ يَرْتَى الشَّمْسَ رثَاها؟
 خَانَنِي فِي يَوْمٍ (سَعِيدٍ) وَجَرَى فِي الْمَرَاتِي فَكَبَا دُونَ مَدَاها
 فِي نَعِيمِ اللَّهِ نَفْسٌ أَوْتَيْتُ أَنْعَمَ الدُّنْيَا فَلَمْ تَنْسَ تُقَاها
 لَا الْحَبَى لِمَا تَنَاهَى غَزَاها بِالْمُقَادِيرِ وَلَا الْعِلْمُ زَهَاها
 ذَهَبَتْ أَوَابَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَالِصًا مِنْ حَيْرَةِ الشَّكِّ هُدَاها
 آتَسْتُ خَلْقًا ضَعِيفًا وَرَأْتُ مِنْ وَرَاءِ الْعَالَمِ الْفَانِي إِلَهَاها
 مَا دَعَاها الْحَقُّ إِلَّا سَارَعْتُ لَيْتَنِي يَوْمَ «وَصَيْفٍ» مَادَعَاها (٢)

(١) القناة : الرخ . والصعدة : هي التي نبئت مستوية ، فلا تحتاج لثقيف . والسماك : ما ارتفع به الغي . والأعزل : نجم في السماء . يقول : إن له قواما لو منح للنجم المرتفع في السماء لاختال به .

(٢) وصيف : يقصد مسجد وصيف ، وهي القرية التي توجد فيها ممتلكات الزعيم ، والتي قضى بها .

الشاعر الموسيقى فردى (*)

ففى العقل والنَّعمةِ العاليه مضى ومحاسنه باقيه
 فلا سُوقَه لم تكن أنسه ولا ملك لم تزن ناديه
 ولم تخل من طيها بلدة ولم تخل من ذكرها ناحيه
 يكاد إذا هو غنى الورى بقافية ينطق القافيه
 يتيه على الماس بعض النحاس إذا ضم الحانه العاليه
 وتحكم فى النفس أوتاره على العود ناطقه حاكيه
 وتبلغ موضع أوطارها وتغشى سريرتها الخافيه
 وكم آية فى الاغانى له هى الشمس ليس لها ثانيه
 إذا ما تنادى بها العارفون قل البرق والرعد من غاديه
 فإن همسوا بعد جهر بها نفق الحلي على الغانبيه
 لقد شاب (فردى) وجاز المشيب و (عيدا) شبيبته زاهيه (١)
 تمثل مصر هذا الزمان كما هى فى العصر الخاليه
 ونذكر تلك الليالى بها وننشد تلك الروى الساريه
 ونبكي على عزنا المنقضى ونندب أيامنا الماضيه
 فيا آل (فردى) نعزيكم ونبكي مع الاسره الباكيه
 فقدنا بمفقودكم شاعرا يقل الزمان له راويه

(*) الشاعر الموسيقى فردى أحد أعلام إيطاليا العالمين ، وقد توفى سنة ١٩٠١ .

(١) عيدا : رواية تمثيلية للفقيد .

إسماعيل أباطه باشا (*)

سقى الله (بالكفر الاباطي) مضجعا
تضوع كافورا من الخلد ساريا
يطيب قري (بردين) من نفح طيبه
كان قري (بردين) مس الغوالي (١)
فيا لك غمدا من صفيح وجندل
حوى السيف مصقول الغرار يمانيا (٢)
وكنا استلنا في الثواب غربه
فلم يلف هيابا ولم يلف نايا (٣)
إذا اهتز دون الحق يحمي حياضه
تأخر عنها باطل القوم ظاميا
طوته يد للوت لا الجاه عاصما
إذا بطشت يوما ولا المال فاديا

* *

تعال صبا الأعمار عند رفيفه
وعند جفوف العود في السن ذاويا
وبعض المنايا تنزل الشهد في الثرى
ويحظن في الثرب الجبال الرواسيا

* *

يقولون يرثي الراحلين فويحهم
أأملت عند الراحلين الجوازيا ؟
أبوا حسدا أن أجعل الحى أسوة
لهم ومثالا قد يصادف حازيا
فلما رثيت الميت أقضى حقوقه
وجدت حسودا للرفات وشانيا
إذا أنت لم ترع العهود لهالك
فلست لحي حافظ العهد راعيا
فلا يطوين الموت عهدك من أخ
وهبه بواد غير واديك نايبا
أقام بأرض أنت لاقيه عندها
وإن يتما تستبعدان التلاقيا

(*) إسماعيل أباطه باشا ، أحد سعاة الزعماء في البلاد المصرية ، كان صاحب الصوت المتبوع في الجمعية التشريعية . وقد توفي سنة ١٩٢٧ بعد أن ترك خلفه تاريخا حافلا بالمواقف الوطنية المحمودة .

(١) بردين : قرية الفقيد ، وهي من أعمال مديرية الشرقية . والغوالي : جمع غالية : المسك

(٢) الغرار من السيف حده .

(٣) غرب السيف : حده أيضا . ونابي : كليل لا يقطع .

رثيتُ حياةً بالشَّناءِ خليقةً وحَلَّيتُ عهدًا بالمفاخرِ حاليا
وعزَّيتُ بيتًا قد تبارتِ سماءُؤه مشايخَ أقطارًا ومُرَدًّا دراريا (١)
إلى الله (إسماعيل) وأنزل بساحه أَظَلَّ النَّدى أَقطارَها والنَّواحيا
تَرى الرَّحمةَ الكُبرى وراءَ سَماها تَلَفُ الثَّقَى في سَينِها والمعاصيا
لدى مَلِكٍ لا يَمْنَعُ الظِّلَّ لَئِذاً ولا الصَّفحَ تَوَّابًا ولا العَفوَ راجيا
وأقسَمُ كُنْتَ المرءَ لم يَنْسُ دِينَه ولم تُلْهه دُنْياؤه وهى ما هيا
وكنتَ إذا الحاجاتُ عَزَّ قضاؤها لحاجِ البِئاسِ والاراملِ قاضيا (٢)
وكنتَ تُصَلِّى بالمُلوكِ جِماعَةً وكنتَ تُقومُ اللَّيْلَ بالنفسِ خاليا
وَمَنْ يُعْطِ مِنْ جاءِ المُلوكِ وَسِيلةً فلا يَصْنَعُ الخِيراتِ لم يُعْطِ غاليا
وكنتَ الجِرَى النَّدْبَ في كُلِّ موقِفٍ تَلَقَّتْ فيه الحَقُّ لم يَلْقَ حاميا (٣)
بَصُرْتُ بأَخلاقِ الرِّجالِ فلم أَجدُ وإنْ جَلَّتْ الأَخلاقُ للعِزِّمِ نانيا
مِنَ العِزِّمِ ما يُنْجِي حُولاَ كَثيرَةً وَقَدَّمَ كَافُورَ الخِصْيِ الطَّوَاشِيا
وما حَطَّ مِنْ رَبِّ القِصائدِ مادِحًا وَأَنزَلَهُ عَن رُتْبَةِ الشُّعْرِ هاجيا
فليسَ البِيانُ الهِجاءُ إِن كُنْتَ سَاخِطًا ولا هو زُورُ المَدحِ إِن كُنْتَ راضيا
ولَكنْ هُدى الله الكَريمِ ووَحيمه حَمَلَتْ بِهِ المِصباحَ في النَّاسِ هاديا
تُفِيضُ عَلى الأَحياءِ نورًا وتارَةً تُضِيءُ عَلى المَوْتى الرَّجاءَ الدَّوَاجِيا (٤)
هَيا كُلَّ نَفْسٍ والبِيانُ مُخَلَّدٌ أَلَا إِنَّ عِثْقَ الخَمْرِ يُنْسِي الأوانيا

(١) يشبه شيوخ الأسرة الأناطية بالأقار ، وشبابها المرد بدرارى النجوم . على حين أن هذه الأقار والنجوم تنبارى فى الإشعاع والإضاءة .

(٢) حاج : جمع حاجة .

(٣) الندب : الخفيف عند الحاجة إليه .

(٤) الرجام : القبور — والدواجى — جمع داجية : المظلة .



ذهبت (أبا عبد الحميد) مُبرِّءًا من الذَّام محمودَ الجوانب زاكيا (١)
 قليلَ المساوي في زمانٍ يرى العُلا ذُنُوبًا وناسٍ يخلُقونَ المساويا
 طَوَّينَاكَ كَالْمَاضِي تَلَقَّاهُ غَمْدُهُ فلم تَمُتْ رِخْ حَتَّى تَشْرُنَاكَ مَاضِيَا (٢)
 فَكُنْتَ عَلَى الْإِفْوَاهِ سِيرَةٌ بِمَحْمِلٍ وَكُنْتَ حَدِيثًا فِي الْمَسَامِعِ عَالِيَا
 وَفِيَتْ لِمَنْ أَدْنَاكَ فِي الْمَلِكِ حَقَبَةٌ فَكَانَ عَجِيبًا أَنْ يَرَى النَّاسُ وَافِيَا
 أَثَارُوَا عَلَى آثَارِ مَوْتِكَ ضَجَّةٌ وَهَاجُوا لَنَا الذِّكْرَى وَرَدُّوا اللَّيَالِيَا
 وَمَنْ سَابِقَ التَّارِيخِ لَمْ يَأْمَنْ الْهَوَى مُلْجَاً وَلَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْحَقْدِ نَازِيَا (٣)
 إِذَا وَضَعَ الْأَحْيَاءُ تَارِيخَ جِيلِهِمْ عَرَفَتِ الْمُلَاجِي مِنْهُمْوَ الْمُحَايَا



إِذَا سَلِمَ الدُّسْتُورُ هَانَ الذِّي مَضَى وَهَانَ مِنَ الْأَحْدَاثِ مَا كَانَ آتِيَا (٤)
 أَلَا كُلُّ ذَنْبٍ لِيَلِيَالِي لَا جِلَّهُ سَدَلْنَا عَلَيْهِ صَفْحَنَا وَالتَّسَامِيَا (٥)

(١) زاكيا : أى ناميا مباركا .

(٢) الماضى ، فى أول البيت : السيف ، وفى آخره : من الزمن الماضى .

(٣) نازيا ، أى واثبا . والملج : المتماذى فى الخصومة .

(٤) الأحداث : نوازل الأيام .

(٥) سدَلْنَا عَلَيْهِ الصَّفْحَ : أى سَحَبْنَا عَلَى كُلِّ الذُّنُوبِ لِإِعْرَاضِنَا وَسِتْرِنَاهَا بِغَفْرَانَا .

فخر

الحسين

من الشوقيات

صفحة	
٣	سليمان باشا أباطه ، مطلعها :
	من ظن بعدك أن يقول رثاء فليث من هذا الوري من شاء
٥	مصطفى باشا فهمي ، مطلعها :
	يأيها الناعى أبا الوزراء هذا أوان جلائل الأنباء
٩	أبو هيف بك ، مطلعها :
	اجعل رثاءك للرجال جزاء وابعه للوطن الحزين عزاء
١٢	مولانا محمد على ، مطلعها :
	بيت على أرض الهدى وسمائه الحق حائطه وأس بناءه
١٤	سيد درويش ، مطلعها :
	كل يوم مهرجانت كلوا فيه ميتا براحين الشتاء
١٧	عمر المختار ، مطلعها :
	ركزوا رفانتك في الرمال لواء يستنهض الوادى صباح مساء
٢٠	عبد الحليم العلايلي بك ، مطلعها :
	لقد لي زعيمكم النداء عزاء أهل دمياط عزاء
٢٢	حافظ إبراهيم ، مطلعها :
	قد كنت أوتر أن تقول رثائي يا منصف الموتي من الأحياء
٢٦	محمد تيمور ، مطلعها :
	ضربوا القباب على اليباب وثنوا إلى يوم الحساب
٢٩	يعقوب صروف ، مطلعها :
	سمائك يا دنيا خداع سراب وأرضك عمران وشيك خراب
٣٣	حسين شرين بك ، مطلعها :
	أرأيت زين العابدين مجهزا نقلوه نقل الورد من محرابه
٣٦	محمد عبد المطلب ، مطلعها :
	قام من علته الشاكي الوصب وتلقى راحة الدهر التعب
٢٨	يرثى جدته ، مطلعها :
	خلقنا للحياة وللمات ومن هذين كل الحادثات

صفحة	
٤١	محمد عبده ، مطلعها :
٤٢	مفسر آى الله بالأمس بيننا رياض باشا ، مطلعها :
٤٩	نمات فى المواكب أم حياة عثمان باشا غالب ، مطلعها :
٥١	ضجت لمصرع (غالب) عبد الحى ، مطلعها :
٥٣	طوى البساط وجفت الأفداح محمد ثابت باشا ، مطلعها :
٥٥	سر أبا صالح إلى الله وأترك محمد فريد بك ، مطلعها :
٥٩	كل حى على المنية غادى البنون والحياة الدنيا ، مطلعها :
٦٢	الضلوع تتقد ثروت باشا ، مطلعها :
٦٦	يموت فى الغاب أو فى غيره الأسد عبد العزيز جاویش ، مطلعها :
٦٩	أصاب المجاهد عقبى الشهيد تعزية ورثاء ، مطلعها :
٧١	كأس من الدنيا تدار ذكرى هيجو ، مطلعها :
٧٣	ما جل فيهم عيدك المسأثور عبده الجمولى ، مطلعها :
٧٦	ساجع الشرق طار عن أوكاره قاسم بك أمين ، مطلعها :
	يأيها الدمع الوفى بدار تقضى حقوق الرفقة الأخيار

- ٨٠ تولستوى ، مطلعها :
(تولستوى) تجرى آية العلم دمعها عليك ويكيك بأئس وفقير
- ٨٣ عمر بك لطفى ، مطلعها :
قفوا بالقبور نسائل عمر متى كانت الأرض مشوى القمر
- ٨٥ عمر بك لطفى ، مطلعها :
اليوم أصعد دون قبرك منبرا وأقلد الدنيا رثاءك جوهرها
- ٨٨ الأميرة ، مطلعها :
حلفت بالمستتره والروضة المعطره
- ٩١ ذكرى مصطفى كامل ، مطلعها :
لم يمت من له أثر وحياة من السير
- ٩٤ المنفلوطى ، مطلعها :
اخترت يوم الهول يوم وداع ونعاك فى عصف الرياح الناعى
- ٩٧ عاطف بركات باشا ، مطلعها :
خففت لعزة الموت اليراعا وجد جلال منطقه يراعا
- ١٠١ المويلحى ، مطلعها :
كاتب محسن البيان صناعه استخف العقول حينما يراعه
- ١٠٤ إسماعيل باشا صبرى ، مطلعها :
أجل وإن طال الزمان موافى أخلى يديك من الخليل الوافى
- ١١٠ فوزى العزى ، مطلعها :
جرح على جرح حنانك جلق حملت مايوهى الجبال ويزهق
- ١١٤ كريمة البارودى ، مطلعها :
أحيث تلوح المنى تأفل كفى عظة أيها المنزل
- ١١٦ فتحى ونورى ، مطلعها :
انظر إلى الأقمار كيف تزول وإلى وجوه السعد كيف تحول
- ١٢١ على باشا أبو الفتوح ، مطلعها :
ما بين دمعى السيل عهد وبين ترى على

- ١٢٥ جورجى زيدان ، مطلعها :
ممالك الشرق أم أدراس أطلال
١٢٨ شهداء العلم والعربة ، مطلعها :
ألا فى سبيل الله ذاك الدم العالى
١٣٢ سعيد بك زغالول ، مطلعها :
(آل زغالول) حسبكم من عزاء
١٣٤ أمين بك الرافعى ، مطلعها :
مال أحبابه خليلا خليلا
١٣٨ الشيخ سلامة حجازى ، مطلعها :
يا ترى النيل فى نواحيك طير
١٤٠ أدهم باشا ، مطلعها :
مصاب بنى الدنيا عظيم (بأدهم)
١٤٢ عثمان باشا الغازى ، مطلعها :
هالة للهلال فيها اعتصام
١٤٤ بطرس باشا غالى ، مطلعها :
قبر الوزير تحية وسلاما
١٤٦ يبكى والدته ، مطلعها :
إلى الله أشكو من عوادى النوى سهمها
١٥٠ الملك حسين ، مطلعها :
لك فى الأرض والسماء ماتم
١٥٤ يرثى أباه ، مطلعها :
سألونى لم لم أرث أبى
١٥٧ مصطفى كامل باشا ، مطلعها :
المشرقان عليك ينتحبان
١٦١ حسن بك أنور ، مطلعها :
تسألنى (كرمى) بالنهار
وبالليل : أين ميمرى (حسن) ؟
وتلك دولاته أم رسمها البالى
وللمجد أبقي من المثل العالى
سنة الموت فى النبى وآله
وتولى اللدات إلا قليلا
كان دنيا وكان فرحة جيل
وأعظم منه حيرة الشعر فى فى
كيف حامت حيالها الأيام
الحلم والمعروف فيك أقاما
أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى
قام فيها أبو الملائك هاشم
ورثاء الأب دين أى دين
قاصيهما فى ماتم والدانى
وبالليل : أين ميمرى (حسن) ؟

- ١٦٣ أم الحسين ، مطلعها :
أخذت نعشك مصر باليمن وحوته من يد الروح الأمين
- ١٦٦ الدكتور أحمد فؤاد ، مطلعها :
أوحى لطرفك فاستهل شثونا دار مررت بها على قيسونا
- ١٦٩ نجل إمام اليمن ، مطلعها :
مضى الدهر بابن إمام اليمن وأودى بزین شباب الزمن
- ١٧٢ عبد الله بك الطوير ، مطلعها :
ياقلب ويحك والمودة ذمة ماذا صنعت بعهد عبد الله
- ١٧٤ سعد باشا زغالول ، مطلعها :
شيعوا الشمس وماوا بضحاها وانحنى الشرق عليها فبكاهها
- ١٨٠ الشاعر الموسيقى فردى ، مطلعها :
ففى العقل والنعمة العاليه مضى ومحاسنه باقيه
- ١٨١ إسماعيل أباطه باشا مطلعها :
سقى الله بالكفر الأباطى مضجعا تزوع كافورا من الخلد ساريا

إيضاح لا بد منه

للأستاذ محمود أبو الوفا

حين طلب إلي أن أشرف على طبع هذا الجزء من « الشوقيات » لم يكن في الوقت متسع لإخراجه على كل ما كنت أتوق له من ضبط وشرح وتعليق ، فقد كان الاتفاق بين الناشر والمطبعة قد تم على إنجازها في عشرين يوما لا تزيد ، ولقد كان لزاما علي أن أكون أداة لإنجاز لا أداة تعويق .

لهذه الاعتبارات رأيت أن أسير في العمل على الوجه الآتي :

(أولا) ترك الشرح والضبط كلما أمّن اللبس ووضح الكلام سواء أكان خوف اللبس من جهة الإعراب أم من جهة النطق بالمفردة اللغوية ، وحيث وجد اللبس فكان لا بد من الضبط أو التعليق أو كليهما .

(ثانيا) رأيت أيضا أن أترك الكلمات التي تستعمل عين الفعل المضارع فيها على وجهين أو ثلاثة بدون شكل مطلقا حيث عدم الخطأ مضمون .

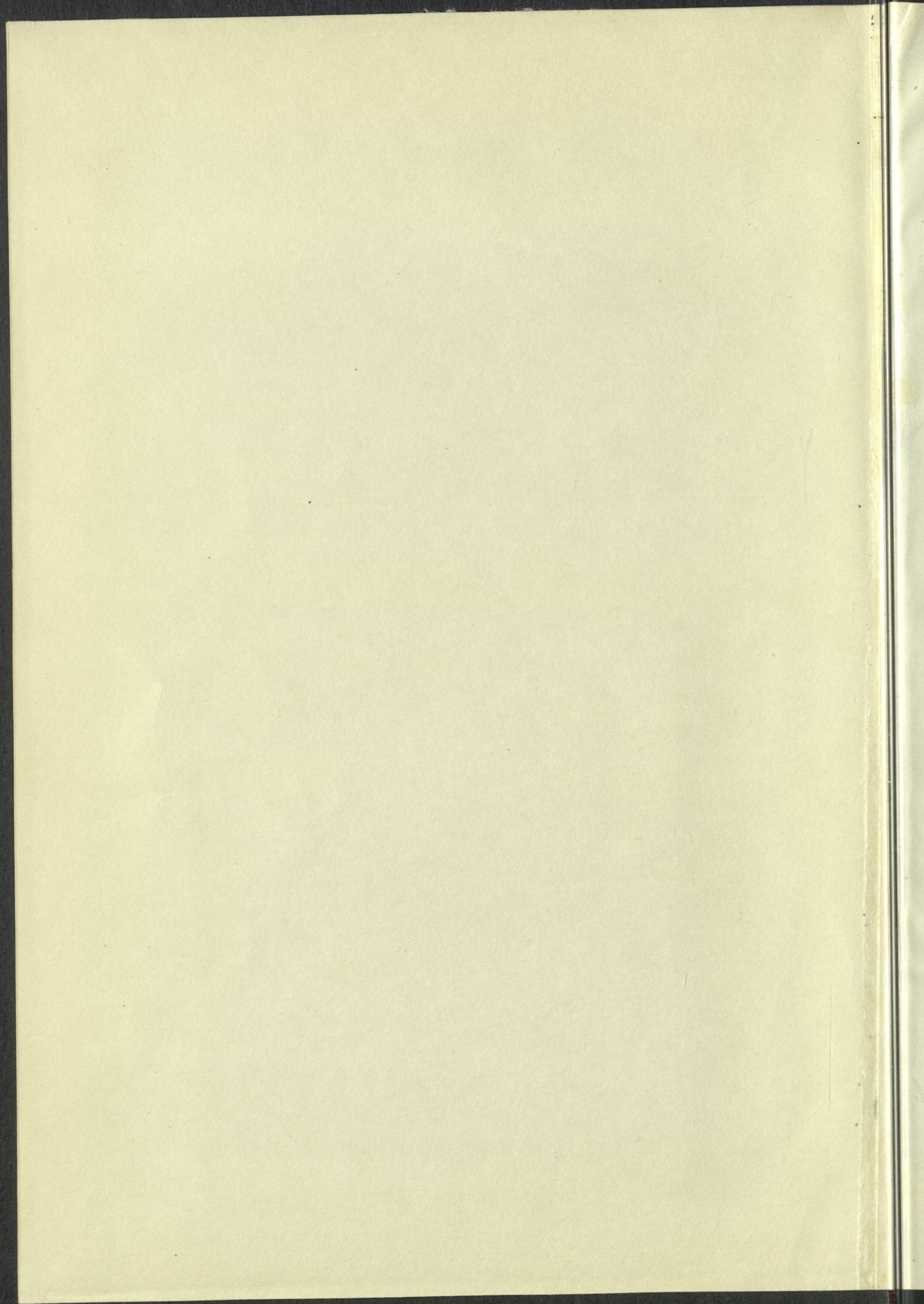
أما الشرح تركته لا لضيق الوقت ومراعاة الاختصار فقط ، بل لأنني أحببت أن لا أتحكم في ذوق القراء والادباء وأفرض عليهم فهمي أنا ، فقد يجوز أن يفهم البيت على أكثر من وجه .

وهذا على ما فيه من تطويل فهو تمرين للعقول على نوع من الكسل الذهني أحب أن يتحاشاه كل طابعي الدواوين .

أما بعد ، فكل ما في هذا الكتاب من خطأ أو من مؤاخذه فهو إلى ، أما
ما فيه من فضل فمرجه إلى الأستاذ حسين شوقي .

فإلى ذوقه وحسن تفسيقه يرجع كل ما في هذا الكتاب من
ذوق وجمال ؟

محمود أبو الوفا



DATE DUE

J. Lib.

~~25 AUG 1983~~





892.78
Sh5985sA
1950
v.3
c.1